

نُظَاهُ الْجَبَانِ

لِرَتِّيبِ مَا سَلَفَ مِنْ اخْبَارِ التَّرْمَانِ

لَا بِنَ الْقَطَانِ الْمُرَاشِي
أَبُو مُحَمَّدٍ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكُتَابِي
(مُنْتَصَفُ الْقَرْنِ السَّابِعِ الرَّهْرِي)

دَرَسَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَحَقَّقَهُ
الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ وَعَلِيُّ مَكِّي
أَسْتَاذُ أَدَبِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ بِمَكْتَبَةِ الْأَدَبِ بِمَدِينَةِ الْقَاهِرَةِ
مَوْضُوعُهُ بِمَجْمَعِ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ



لواحيه : ص ١٤٤٤
استقرت به يوم ١٣٠٦.٣.١٩٥٥
الأمم المتحدة
مكتبة : المكتبة
قرب المسجد الكبير

ح

نظام الحِجَاب

لترتيب ما سلف من أخبار الزمان

لابن القطان المراكشي
بُيُوحَمَّد حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكَتَّانِي
(مُنْتَصَفُ الْقُرُونِ السَّابِعِ الرَّهْوي)

دَرَسَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَحَقَّقَهُ

الدكتور محمود علي مكي

أستاذ الأدب الأندلسي بكلية الآداب جامعة القاهرة
وعضو مجمع اللغة العربية



دار القديم الأندلسي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

هذه الطبعة الثانية من الكتاب الذى نقدم بين يديه بتلك السطور ، بعد خمس وعشرين سنة من ظهور طبعته الأولى (فى سنة 1964) فى تطوان ، تلك المدينة الجميلة من مدن شمال المغرب العربى الشقيق . وكانت الطبعة الأولى قد صدرت وعلى غلافها أن الكتاب من منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط وبمساهمة المركز العلمى الجامعى للبحث العلمى وتحت إشراف معهد مولاي الحسن للبحوث فى تطوان .

وتطوان مدينة أحمل لها أجمل الذكريات ، فقد كانت أول ما عرفته من مدن المغرب الأقصى ، هذا البلد الطيب الحبيب الذى كان من أكثر بلاد عالمنا العربى حفاظاً على تراثه العربى ومنافحة عن شخصيته الإسلامية إزاء هجمات الاستعمار الشرسة ، كما كان ولا يزال مستودعاً لثقافة الأندلس وفكرها بعد أن غربت شمس الإسلام عن تلك البلاد . وقد لقيت من أهل تطوان منذ أن حللت فى رحابها لأول مرة من الحفاوة والإكرام ما لا يزال لسانى يلهمج به . ولم يشب صفاء هذه المشاعر المحبة إلى النفس إلا أن ذلك الكتاب الذى آثرت به تطوان رمزاً لمحبتى لها قد سدر فى طبعة رديئة أصابها من التشوه والتحريف والأخطاء ما لا مزيد عليه ، حتى إننى اضطرت لإلحاق ست صفحات من الاستدراكات والتصويبات لم أستعمل فيها إلا أبرز الأخطاء ، وحتى هذه القائمة لم تسلم بدورها أيضاً من الملاحظات . ومما يثقل على القلب عند صدور الكتاب آنذاك على أنه لم يطبع منه إلا نسخ قليلة لا تتجاوز مئتين ، وإن كنت أسفاً لأن الانتفاع به لم يكن على ما كان ، أرى أنه من السعة والانتشار .

ولست أود إلا أن أذكر أن هذا الكتاب هو الذى نشرته دار النشر

على ذلك الصوره من مرائر كان من بينها أن رثت حبال المودة بينى وبين أصدقاء
قالت لهم ان الله ... الله أثيرة ، وإن لم ينل ذلك من حب تأثل فى نفسى
المطوار ، راعاها الله ورعى ساكنيها .

ورب ما ذكرت من أمر الكتاب أننى أعرضت عن النظر فيه من
ما يراه قرايه ربع قرن ، وكنت أردد حينما ألتقى به قول شاعرنا القديم :
إذا انصرف ، نفسى عن الشيء لم تعد إليه بوجه آخر الدهر تقبل

إلى أن جمعتنى الظروف بالصديق العزيز الناشر التونسي الحاج الحبيب
ال... . النوازل الكبير فى الاهتمام بنشر التراث المغربى والأندلسى ، فألح
على فى إخراج طبعة جديدة من هذا الكتاب الذى أفسدته طبعته الأولى ،
ولم يخش أمانى إزاء حماسه وغيرته إلا أن أستجيب لرغبته شاكرأ له ومقدراً عنايته
الغزيرة . وهكذا استخرت الله وشرعت فى إعداد هذه الطبعة الثانية التى تكفلت
بها . منه المانحى ، وهى طبعة أرجو أن تكون تكفيراً عما ارتكب فى حق
الكتاب فى طبعته الأولى . ويكفى أن أقول إنها سلمت - إن شاء الله - مما كان
يعور الأولى من أخطاء كثيرة لم تكد تسلم منها صفحة واحدة ، وإن فيها
إسرافات كثيرة كانت ثمرة لتقدم البحث العلمى حول تاريخ المغرب والأندلس
خلال السنوات الأخيرة . وقد كنت رجعت فى الطبعة الأولى إلى مصادر كانت
لا تزال مخطوطة ، منها على سبيل المثال قطعة من « البيان المغرب » خاصة بدولة
المراطين كانت مما تفضل بإعاقى إياها المستشرق الإسبانى أمبروسيو أويثى ميراندا
قبل أن ينتقل إلى الدار الآخرة ، ثم نشرت بعد ذلك مرتين ، وكذلك كتاب
« المن بالإمامة » لابن صاحب الصلاة الذى قام بتحقيقه الصديق العالم الجليل
الدكتور عبد الهادى التازى ونشره فى بيروت ، وأجزاء من كتاب « الذيل والتكملة »
لابن عبد الملك المراكشى قبل أن يضطلع بتحقيق أسفاره الصديقان الدكتور
إحسان عباس ومحمد بنشريف . وكذلك تمت خلال السنوات الأخيرة إعادة طبع

عدد من المصادر الرئيسية في تاريخ المغرب مثل القسم الموحدى من كتاب « البيان المغرب » و « الحلل الموشية » و « روض القرطاس » و « الذخيرة السنية » . و حملنى ذلك على إعادة النظر في كثير من حواشى « نظم الجمان » ومراجعتها وجعلها مساوقة لتلك الطبعات الجديدة التى أصبحت فى متناول أيدي القراء .

على أن أهم ما أصاب هذه الطبعة الجديدة من تغيير كان فى الدراسة التى قدمت بها للكتاب والتى كان موضوعها تحقيق نسبة الكتاب وسيرة مؤلفه . وكنت فى الطبعة الأولى قد تبينت خطأ النسبة التى أثبتتها ليفى بروفنسال ، وهو أول من عرّف بالكتاب ونشر صفحات منه ، وكان قد بدر إلى ظنه أنه لأبى الحسن على بن محمد بن عبد الملك الكتامى الفاسى المراكشى المعروف بابن القطان (والمتوفى سنة 1231/628) ، وتابعه على ذلك كل من أتى بعده من الباحثين . غير أننى رجحت ترجيحاً قريباً من اليقين أن الكتاب لابد أن يكون لابن لهذا المؤلف مختلف في اسمه وكنيته ، وأن هذا الابن قد امتدت به الحياة نحواً من عشرين سنة بعد وفاة والده . ولهذا فقد أفردت صفحات لتتبع حياة الرجلين : ابن القطان الأب وابنه ، بقدر ما أعانت المصادر التى كانت تحت يدي . ولم أكد أشرع فى إعداد الكتاب ودفعه للمطبعة حتى وافانى البريد بهدية قيمة مما اعتاد أخى الدكتور محمد بنشريف أن يتحفنى به من جهوده وجهود زملائه من علماء المغرب ، وكانت فى هذه المرة السفر الثامن من كتاب « الذيل والتكملة » لابن عبد الملك المراكشى (طبعة الرباط سنة 1984) وقد تصدرت هذا السفر دراسة طويلة مستقصية لحياة ابن عبد الملك ومؤلفاته وتلاميذه ، كما تضمن الكتاب نفسه ترجمة مطولة لابن القطان الأب حافلة بالأخبار الجديدة عن سيرته ومتضمنة تفاصيل كثيرة عن ابنه أبى محمد حسن الذى ثبت لى أنه هو نفسه مؤلف « نظم الجمان » . وهكذا قطعت هذه المعلومات الجديدة الشك باليقين ، وأثبتت أننى لم أبعد عن الصواب فيما رجحته فى طبعة الكتاب الأولى .

وبهذا كان على أن أعيد صياغة تقديمي للكتاب مضيفاً إليه كل ما استضيفته من هذا المصدر وغيره مما صدر خلال السنوات الأخيرة . ثم زدت على ذلك عدداً من الفهارس الجديدة التي أخلت بها الطبعة الأولى . وقد اقتضى العمل مني في هذه الإضافات جهداً كبيراً على ضيق في الوقت وزحمة من الأعمال ، فحسب أن يكون في هذا الجهد ما يفيد الباحثين في تاريخ مغربنا العربي وادرس الثغرات في دراسة ماضيه القديم .

ولا يبقى لي بعد ذلك إلا التوجه بالشكر أولاً للصديق الكريم الحاج محمد اللامي وللقائمين على طبع الكتاب في مكتبة الخانجي الذين أذكر لهم ما على خلال الوقت الطويل الذي استغرقه العمل في الكتاب وما اقتضته إراءات من تصحيحات وتغييرات كثيرة ، وأخص بالذكر منهم الأخ العزيز الأستاذ محمد الخانجي ، ثم أعبر عن شكري الجزيل لكل من أعانني على متكامل هذا العمل ولا سيما ابن أختي الشاب النابه محمد مغربي مكى الذي ضطلع بالجانب الأكبر من إعداد فهارس الكتاب وأفادني ببعض الملاحظات التي كشف عن مواهب واعدة بمستقبل مشرق في ميدان التحقيق والبحث العلمي ، أنسى أن أقدم الشكر كذلك للأخ العزيز الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف لى راجع معي فصولاً من هذا الكتاب .

ولا يفوتني أن أنه أخيراً - بل أولاً - بفضل شيخى أستاذ المحققين عالمنا محمد أبى فهر محمود محمد شاكر الذى نرجو أن يوفقنا الله للاقتداء به والسير على خطاه مد الله في عمره ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الجديدة في 21 جمادى الآخرة 1410 هـ
محمود على مكى
20 يناير 1990 م

تقديم

تهيد :

بقى تاريخ المغرب والأندلس في ظل دولتي المرابطين والموحدين يكتنفه الغموض والاضطراب حتى نهاية القرن الماضي ، فقد كانت مراجعنا عنه لا تتعدى بضعة كتب لم توله من العناية ما هو جدير به ، مثل كتاب « العبر » لابن خلدون و « الحلل الموشية » لمؤلف مجهول و « روض القرطاس » لابن أبي زرع و « المعجب » لعبد الواحد المراكشي و « تاريخ الدولتين » للزركشي و « الكامل » لابن الأثير ، ولهذا فقد كانت كتابة تاريخ علمي دقيق لهاتين الدولتين أمراً عسيراً كل العسر ، لم يقدم عليه في القرن الماضي إلا المؤرخ الألماني جوزيف أشباخ في كتابه عن المرابطين والموحدين الذي قام بترجمته الباحثة المصري الأستاذ محمد عبد الله عنان ، وهو محاولة طيبة إلا أنه لم يستطع - بحكم قلة المراجع المعروفة في أيام المؤلف - ان يسد الفراغ أو يفي بالغرض . ثم اضطلع المستشرق الهولندي العظيم رينهارت دوزي بكتابة « تاريخ المسلمين في الأندلس » فأخجز منه ثلاثة أجزاء وقف بها عند فتح المرابطين للأندلس ، وأعقبه الأستاذ ليفي بروفنسال ، ولكنه لم يتعد بدوره نهاية الخلافة الأموية في الأندلس ، وإن كان كتابه يدل على مدى التقدم الذي أحرزته الدراسات الأندلسية منذ أن وضع دوزي كتابه حتى العصر الحاضر .

على أن السنوات الأخيرة شهدت اهتماماً متزايداً من جانب بعض الباحثين من عرب ومستشرقين بالدولتين المرابطية والموحدية اللتين اتحدت تحت رايتهما بلاد المغرب والأندلس في نظام سياسي واحد ، فقد نشر عدد كبير من النصوص المتعلقة بهما ، وتقدمت الأبحاث الجزئية الخاصة بهما تقدماً ملحوظاً . وكان على رأس هذه النصوص الجديدة كتاب « أعز ما يطلب » لمحمد بن تومرت المهدي الذي نشره لوشيان في الجزائر سنة 1903 مع تقديم عظيم القيمة

للمستشرق جولد تسيهر ، ثم كتاب « أخبار المهدي بن تومرت » لأبي بكر الصنهاجي الملقب بالبيذق مع مجموعة أخرى من الرسائل الموحدية و « مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية » ، وقد نشر ليفي بروفنسال الكتاين في باريس سنة 1928 وفي الرباط سنة 1938 على الترتيب . كذلك قام الدكتور حسين مؤنس وكاتب هذه السطور بنشر عدة مجموعات من رسائل الدولة المرابطية ، هذا إلى غير ذلك من نصوص ليست تاريخية بمعنى الكلمة وإن كان لها قيمة كبيرة في إجلاء الكثير من جوانب الحضارة المغربية والأندلسية في ظل هاتين الدولتين العظيمتين .

أما الأبحاث الحديثة فقد نشر منها في السنوات الأخيرة كتابان عن دولة المرابطين ، أحدهما بالعربية للدكتور حسن أحمد محمود « قيام دولة المرابطين » (القاهرة سنة 1957) والآخر بالإسبانية للدكتور خايننتو بوسك فيلا وعنوانه « المرابطون » (تطوان سنة 1956) ، وهما بحثان طيبان اجتهد مؤلفاهما ما وسعهما الاجتهاد ، غير أن كتابة تاريخ شامل لدولة المرابطين ما زالت أمراً سابقاً لأوانه ، إذ ما زالت هناك نصوص مخطوطة لا غنى عنها لمؤرخ هذه الدولة ، وكثير منها لم يكن بعد متيسراً بين يدي هذين الباحثين .

وأما الدولة الموحدية فقد كانت أسعد حظاً من تلك ، إذ توفر عليها عالم إسباني يعتبر حجة في تاريخ المغرب والأندلس بين القرنين الخامس والسابع الهجريين ، ونعني به الأستاذ أمبروسيو أويشي ميراندا الذي ظل حتى وفاته منذ سنوات قليلة عاكفاً على العمل في هذا الميدان عملاً متواصلاً بين ترجمة وتأليف ونشر نصوص . وأعانه على ذلك سعة اطلاعه على المراجع الإسلامية والمسيحية على السواء ، ثم إحاطته بجميع النصوص العربية التي تناولت دولتي المرابطين والموحدين ، إذ توفر لديه كل ما صار متاحاً في ذلك العهد . وطبع في باريس سنة 1957 كتابه « تاريخ الدولة الموحدية » ، وهو من أصل مخطوط ، وهو أول ترجمة عربية « للحال الوسيط » و « المعاصر » و « اللاحق » للإدريسي ، وهو أول ترجمة عربية في أثناء هذا العهد .

فريدة من مخطوطات متصلة بهذا الموضوع ، منها القسم الثاني من كتاب « المن بالامامة » لابن صاحب الصلاة ، والجزء الوحيد المعروف لنا من هذا التاريخ القيم لدولة الموحدين هو الذي يوجد الآن في مكتبة « البودليانا » في أوكسفورد⁽¹⁾ ثم عدة نسخ مخطوطة من كتاب « البيان المغرب » لابن عذاري المراكشي ، وهو يعتبر أوسع المصادر التاريخية حول عصر المرابطين والموحدين ، فتوفر على نشره ، وأخرج منه طبعتين في تطوان في سنتي 1956 و 1960⁽²⁾ فضلا عن قطع أخرى عثر عليها بعد ذلك ، ومكنه هذا من إخراج كتابه القيم « التاريخ السياسي لدولة الموحدين » (تطوان 1956 - 1957) ، وهو خير ما صدر في هذا الميدان حتى اليوم .

وقد كان من بين المصادر التي رجع إليها أويشي جزء من كتاب « نظم الجمان » كان قد أعاره إياه المستشرق الفرنسي الأستاذ ليفي بروفنسال ، بعد أن نشر هذا منه قطعاً من قبل دون أن يعرف أن مؤلفه هو ابن القطان الكتامي على وجه التأكيد .

واتفق بعد موت الأستاذ ليفي بروفنسال سنة 1956 أن معهد الدراسات الإسلامية تمكن من شراء جزء من تركته من المخطوطات العربية ، وكان من بين هذه المخطوطات تلك القطعة الباقية من « نظم الجمان » ، فعكفت عليها واجتهدت في تحقيق النص وخدمته حسب هذه المخطوطة الوحيدة إذ أنني لا أعرف له نسخة أخرى في أي مكتبة من مكتبات العالم .

مؤلف الكتاب :

وقد كثر انتفاع الناس من كتاب « نظم الجمان » في القديم والحديث ، ولكن العرب هم أن مؤلفه ربما كان أقل المؤرخين حظاً من عناية متتبعي تراجم

(1) قام على نشر هذا الكتاب الأستاذ عبد الحادي الماري ، وطبعه في بيروت سنة 1964

(2) صدرت الطبعة الأولى ، بمطبع الأستاذ أويشي ، سنة 1960 ، وأما الثانية وهي الأولى وأحسن من الأولى فقد راعم فيها الأستاذ محمد بن طويح ومحمد ابراهيم الشاذلي (تطوان 1960) ، ثم صدرت بعد ذلك طبعة الثالثة أعيد فيها العمل على تصحيحها وأعيدت الطبعة الأولى في سنة 1985

الرجال ، إذ لا نجد أحداً اختصه بترجمة مفردة ولا عنى بالحديث عنه كما عنوا بمن هم أقل كثيراً من طبقته ، حتى اسمه وكنيته اختلف فيهما من أشاروا إليه إشارات عابرة كما سنرى .

وذلك أن معظم من نقلوا عن كتاب « نظم الجمان » مثل ابن عذارى المراكشي وصاحب « الحلل الموشية » وابن الخطيب الغرناطي يكتفون بأن يذكروا الاسم الذي اشتهر به المؤلف أي « ابن القطان » دون أن يضيفوا إلى ذلك علماً مميزاً ، وهذا هو ما أوقع الباحثين المحدثين في خطأ لم يكده يسلم منه أحدهم منذ أن جرهم إليه الأستاذ ليفي بروفينسال الذي كان أول من أشار إلى قيمة الكتاب ونشر فصولاً منه ذلك أن الباحث الفرنسي تنبه إلى شخصية عالم مشهور ترجم له بعض المؤرخين المغاربة والأندلسيين وكانت له صلة وثيقة بالموحدين هو « أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي الفاسي المعروف بابن القطان » والمتوفى سنة 628 هـ . (1230 م .) ، فظن أن هذا هو صاحب « نظم الجمان » ⁽¹⁾ ، وزاد من عقيدة ليفي بروفينسال فيما سبق إليه ظنه أنه رأى ابن القطان يذكر في معرض بعض الأحاديث النبوية في « النظم » أنه ألف كتاباً باسم « الإحكام » ⁽²⁾ ثم رأى في ترجمة علي بن محمد بن عبد الملك بن القطان المذكور أن له كتاباً في شرح « الأحكام » لعبد الحق بن عبد الرحمن الاشيلي ⁽³⁾ ، فأكد ذلك ظنه بأن ابن القطان هذا هو صاحب « النظم » ، وعلى ذلك تابعه بعض

(1) انظر ليفي بروفينسال : « ست قطع مخطوطة من تاريخ مجهول المؤلف لظهور الدولة الموحدية » - في مجموعة الدراسات المهداة إلى ذكرى العالم الفرنسي رينيه باسيه ، ط . باريس 1925 ، المجلد الثاني ص 338 - 336 .

(2) انظر نفس نظم الجمان ص 171 .

(3) ولد سنة 510 هـ . وتوفى سنة 581 ، وهو صاحب كتاب « الأحكام » الذي وضع منه نسخاً : كبرى وصغرى ووسطى ، ومن هذا الكتاب مخطوطات كثيرة في مكتبات متعددة . انظر في ترجمته : بغية الملمس للضبي ، رقم 1104 ، والتكملة لابن الأبار ، رقم 1805 ، وعنوان الدراية للغيريني ص 20 - 23 ؛ وبرو فلمان : تاريخ الأدب العربي 458/1 والملحق 634/1 .

الباحثين اللاحقين مثل الأستاذ عبد السلام بن سودة ⁽¹⁾ والدكتور أحمد غنار العبادي ⁽²⁾ ، وهذا خطأ يتكشف لنا بالمقابلة التاريخية ، فابن القطان المذكور توفي سنة 628 هـ . كما أجمع على ذلك مترجموه ، بينما نرى أن صاحب « نظم الجمان » قد أدرك خلافة المرتضي الموحدي ألى حفص عمر بن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن ⁽³⁾ ، ونحن نعرف أن المرتضي ولى الخلافة بين سنتي 646 و 665 هـ . (1248 - 1266 م .) أي بعد وفاة ابن القطان المذكور بعشرين سنة على أقل تقدير . فالمؤلف إذن شخص آخر يحمل نفس اللقب والنسبة ، ولا يتفق مثل ذلك إلا إذا كان بين الرجلين قرابة وثيقة ، ولا أظنني أبعد عن الصواب إذا قلت إن صاحب « نظم الجمان » لابد أن يكون ابناً لذلك الفقيه المشهور الذي أولاه مؤرخو المغرب بعض عنايتهم كما سنبين في الصفحات التالية .

ابن القطان « الأب » : (562 - 1167/628 - 1231)

ولهذا فلا بأس في أن نعرف شيئاً عن ابن القطان الذى نزع من أنه أبو مؤرخنا ، إذ أن ذلك سوف يلقى الضوء الكاشف على حياة ابنه ⁽⁴⁾ .

-
- (1) في كتابه « دليل مؤرخ المغرب الأقصى » - تطوان 1950 ، ص 184 .
 - (2) في مقاله « دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين » - مجلة تطوان ، العدد الخامس سنة 1960 ، ص 140 .
 - (3) انظر نص نظم الجمان ص 214 حيث ينص المؤلف على صلته بالخليفة المرتضى .
 - (4) كنا في تقديمنا للطبعة الأولى من هذا الكتاب قد استنتجنا على سبيل الظن المقارب لليقين - أن النسبة التي ردها الباحثون المحدثون إلى أبى الحسن على بن محمد بن عبد الملك الكتانى المعروف بابن القطان المراكشى لا يمكن أن تكون صحيحة ، وأن المؤلف الحقيقى لابد أن يكون ابناً له ، وإلا لم نستطع القطع باسمه وكنيته . وسعدنى أن أذكر بين يدي هذه الطبعة الجديدة أن أذكر أن ذلك الاستنتاج كان صحيحاً تماماً . وكان الفضل في الوصول إلى ما تقطع به الآن يرجع إلى ظهور السفر الثامن من كتاب « الذيل والتكملة » لابن عبد الملك المراكشى (الرابط 1984) بتحقيق الصديق الكريم والعالم الفاضل الدكتور محمد بشره ، مع دراسة قام بها لهذا السفر في نحو مائة ومحمسين صفحة وترجم فيها حياته ابن عبد الملك ترجمة تعمد نموذجاً للدة والوسط والإتقان . شأن كل ما اعتدنا أن نطالعنا به الصديق بشره -

وقد ترجم لابن القطان هذا مؤلفون كثيرون ، ولكن أوفى هذه الترجمات وأغناها بالمادة العلمية هي التي أوردها له ابن عبد الملك المراكشي في « الذيل والتكملة » ، وهي تمتد على طول ثلاثين صفحة ⁽¹⁾ . على أننا سنجتزئ من هذه التراجم بما كتبه عنه ابن القاضي في « جذوة الاقتباس » :

« على بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي ، من أهل مدينة فاس ، وأصله من قرطبة ، يعرف بابن القطان ، ويكنى أبا الحسن ، سمع أبا عبد الله بن الفخار وأبا الحسن بن النقرات ، وأبا عبد الله بن البقار ⁽²⁾ ، وأبا العباس بن سلمة اللورقي ، وأبا جعفر بن يحيى الخطيب ، وأبا ذر الحشني ، وأبا الوليد زكريا بن عمر القرطبي ، وأبا الحسن بن مؤمن ، وأبا عبد الله التجيبي ، وأبا البقاء يعيش بن القديم وغيرهم ، ومن كتب إليه ولقيه أبو جعفر بن مضاء ، وأبو محمد التادلي ، وأبو محمد بن الفرس ، وكتب إليه أبو عبد الله بن زرقون ، وأبو محمد بن عبيد الله ، وأبو خالد بن رفاعه ، وأبو الحسن بن كوثر ، وأبو عبد الله بن عروس ، وأبو محمد فليح ، وسواهم . وكان من أبصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لأسماء رجاله ، وأشدّهم عناية بالرواية ، مع التفنن في المعرفة والدراية . وجمع برنامجاً مفيداً في مشيخته ، ورأس طلبة العلم بمراكش ، ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة . له كتاب « شرح الأحكام لعبد الحق » ، ومقالة في الأوزان ، والنظر في إحكام النظر . وحدث وأخذ عنه . وامتنح بالفتنة الحادثة بالمغرب أول سنة

من أعمال علمية . وقد أفرد ابن عبد الملك في هذا السفر ترجمة وافية لابن القطان « الأب » تضمنت إشارات مفيدة إلى ابنه « أبي محمد حسن » الذي كان شيخاً لابن عبد الملك نفسه والذي ثبت لنا أنه مؤلف « نظم الحمان » . وهكذا قطع هذا النص الشك باليقين . على أن الترجمة المذكورة أفادتنا بأخبار أخرى تزيد الأمر جلاء فيما يتعلق بخياة الرجلين : الأب والابن وتطلعنا على علاقتهما بخلفاء الموحدين .

(1) السفر الثامن ، رقم 10 ص 165 195 .

(2) « ملحق الحانوه » ابن البقال « وهو تعريف صحيحه الدكتور بنشره ، ص 165 ،

أحدى وعشرين وستائة ، فخرج من مراکش ، وعاد إليها ، واضطرب أمره إلى أن توفى بسجلماسة وهو متولى قضائها من علة البطن أول شهر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وستائة ⁽¹⁾ .

ولا تخرج الترجمات الأخرى لابن القطان عما ذكره ابن القاضي وإن كانت فيها زيادات وتفصيلات أخرى تستحق أن نتوقف عندها ⁽²⁾ ، هذا باستثناء الترجمة التي أفرد لها ابن عبد الملك ، وهي أحفلها بالمادة مما يعملنا على أن نستصفي ما فيها من فوائد .

ونورد في البداية ما ذكره ابن الزبير حول كتابه عن « الأحكام » لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشيلي ، فهو لا يقول إنه شرح له وإنما عنوانه عند ابن الزبير - وكذلك عند ابن عبد الملك - « | بيان | الوهم والإيهام ، الواقعي في كتاب الأحكام » ثم يضيف إلى ذلك قوله : « وهو من أجل التوليف في بابه ، وإن كان لا يخلو من بعض تعسف وتحامل » ⁽³⁾ . ولسنا نعلم إن كان هذا كتابا آخر غير شرحه للأحكام أو أنه نفسه الشرح المذكور ضمنه ابن القطان ما حازه على كتاب عبد الحق الإشيلي . وعلى كل حال ، فقد وصلت إلينا عدة نسخ مخطوطة من كتاب « الوهم والإيهام » بشهادة بروكلمان ⁽⁴⁾ .

كذلك نسجل اختلاف مترجمي ابن القطان حول أصله وموطنه ،

(1) جنوة الاقتباس ، ط . فاس الحجرية سنة 1309 ص 298 - 299 .

(2) ابن الأبار : التكملة ، رقم 1920 ؛ ابن الزبير : صلة الصلة ، نشر ليفي بروفنسال ، ط . الرباط سنة 1938 رقم 268 ص 131 - 132 ؛ أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج (على هامش الديباج المذهب لابن فرحون) ط . القاهرة سنة 1351 ص 200 - 201 ؛ رحلة البعدي ص 140 ؛ شمس الدين الذهبي : تذكرة الحفاظ 1704/4 ؛ العباس بن إبراهيم المراكشي : الإعلام بمن حل مراکش وأعماله ، ص 75/9 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب 128/5 ؛ بونس بونيس : المؤرخون والمعاصرون الأندلسيون (ط . مدريد 1898) ص 276 ، رقم 233 .

(3) صلة الصلة ص 132 .

(4) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، الأمل الألماني 458/1 ، والملحق 634/1 ، 678/2 .

وهو اختلاف لا يخلو من دلالة لها مغزاها . فابن عبد الملك يقول إنه « فاسي
 سكر مراكش »⁽¹⁾ ، وابن القاضي يجعله « من أهل مدينة فاس وأصله من
 قرطبة » . أما من ترجم له من الأندلسيين فإنهم يعدونه أندلسيا مع أن من
 الواضح أنه ولد في فاس وعاش معظم حياته في المغرب . فابن الأبار - مع اعترافه
 بأنه فاسي - يترجم له بين الأندلسيين ، ولا يضمه إلى « الغرباء » . وابن الزبير
 يقول إنه « من أهل قرطبة » ، وابن سعيد في رسالته التي ذيل بها رسالة ابن حزم
 ، فصل الأندلس يصفه بـ « القرطبي الساكن بحضرة مراكش »⁽²⁾ . وفي هذا
 الاختلاف ، يظهر من مظاهر التنافس بين علماء الأندلس والعدوة المغربية ، فقد
 كان كل من الفريقين يجتهد في أن يضم إلى وطنه من العلماء من ظهر نبوغهم
 ونبرهم في مجال من مجالات المعرفة . وقد تنبه الدكتور بنشريفه إلى هذه الظاهرة
 عند دراسته لابن عبد الملك فسجل اعتزازه بمغربيته وامتناعه من تعصب بعض
 الأندلسيين واحتضامهم حق أهل العدوة وقلة إنصافهم لهم ، وكان ابن الأبار بصفة
 خاصة هادفاً لمجوم ابن عبد الملك واتهامه بالعصبية لأنه عد من أهل الأندلس
 « جماعة من الناقلة إليها » أى من الطائفتين عليها وغير القاطنين في الأصل بها
 « تشبعا واستكثارا وإفراطا في التعصب الذي كان الغالب عليه حتى غلا فيه »
 وقد أورد ابن عبد الملك أمثلة عديدة لهؤلاء العلماء الذين أدرجهم ابن الأبار بين
 الأندلسيين إفراطا في التعصب ، نذكر من بينهم ابن المناصف الذي كان مولده
 بتونس أو المهدية والذي ختم ابن الأبار ترجمته بقوله « وذكره في الغرباء لا يصلح
 ضنانه بعلمه على العدوة »⁽³⁾ . وابن القطان - كما رأينا - يصلح مثالا آخر لهذا
 النزاع عليه بين العدوتين .

وقد استوفى ابن عبد الملك ذكر شيوخ ابن القطان ، إذ أنه نقل ثبت

(1) ويحدد مولده في فاس بفجر يوم عيد الأضحى سنة 562 (27 نوفمبر 1167) .

(2) رسالة ابن سعيد في فضل الأندلس حسبما أوردها المقرئ في نقح الطيب 180/3 .

(3) انظر تقديم الدكتور بنشريفه للسفر الثامن ص 88 - 89 .

أسمائهم من برنامجهم الذى ذكر أنه عمله بأخرة من عمره بعد الخمس والعشرين وستائة ؛ إنما أفاض فى ذكر تلاميذه منها كلامه عنهم بقوله « فى خلق لا يعصون كثرة أخذوا عنه بمراكش وغيرها من بلاد العدو إلى إفريقية وبالأندلس » (1) .

وجدير بالذكر أنه ينص على أن من بين من روى عنه ابنه : أبا محمد حسن شيخ ابن عبد الملك وأبا عبد الله الحسين ، وكذلك ابن أخته أبا على عمر ابن محمد بن على بن عمار (2) .

كذلك أورد ابن عبد الملك قائمة طويلة بكتب ابن القطان زاد فيها على ما ذكره مترجموه الآخرون . هذا فضلا عما عنى بكتابته بخطه من أصول الحديث ، منها نسخة بخطه من « صحيح مسلم » و « السنن » لأبى داود . أما مؤلفاته هو فقد ذكر ابن عبد الملك من بينها :

- كتاب فى الرد على أبى محمد ابن حزم فى كتاب « المحلى » مما يتعلق به من علم الحديث .

كتاب فى أحكام الجنان ، مجلدان متوسطان .

شيوخ الدارقطنى ، مجلد متوسط .

النظر فى أحكام النظر ، وقد ذكره المترجمون الآخرون ، إلا أن ابن عبد الملك يعقب على هذا العنوان بقوله « وهذا الاسم من تسمية ابنه شيخنا أبى محمد » . النزاع فى القياس ، لمناضلة من سلك غير المهيح فى إثبات القياس ، وهو ، فى الرد على أبى على عمر بن محمد بن على الصنهاجى المعروف بابن الطوير (المتوفى سنة 622) . ويكرر ابن عبد الملك هنا عبارته السابقة « وهذه التسمية لشيخنا أبى محمد ابنه أيضا » .

تقريب الفتح القسى ، مجلد متوسط ، (يبدو أنه شرح أو اختصار لهذا الكتاب المعروف من كتب ابن العماد الإصهائى) .

- تجرهد من ذكره الخطيب في تاريخه من رجال الحديث بحكاية أو شعر ،
مجلدان متوسطان .

- ما يحاضر به الأمراء ، مجلد متوسط .

- أسماء الخيل وأنسابها وأخبارها ، مجلد متوسط .

- أبو قلمون ، مجلدان ضخمان .

- كتاب حافل جمع فيه الحديث الصحيح محذوف السند حيث وقع من
المسندات والمصنفات ، كمل منه كتب الطهارة والصلاة والجنائز والزكاة ، في نحو
عشرة مجلدات .

- مسائل من أصول الفقه ، زعم أنه لم يذكرها الأصوليون في كتبهم ، مجلد
لطيف .

ويورد ابن عبد الملك بعد ذلك أسماء عدد من رسائله التي يسميها
« مقالات متنوعة المقاصد » فيذكر منها :

- مقالة في الإمامة الكبرى .

- مقالة في القراءة خلف الإمام .

- مقالة في الوصية للوارث .

- مقالة في المنع من إلقاء التَّفَثِّ في عشر ذى الحجة للمضحى .

- مقالة في صنع المجتهد من تقليد المحدث في تصحيح الحديث

لدى العمل .

- مقالة في الدين يوضع على يد أمين فيتعدى فيه .

- مقالة في مشاطرة العمال .

- مقالة في الأوزان والمكايل .

- مقالة في الطلاق الثلاث .

- مقالة في الأيمان اللازمة .

- مقالة في الختان .

- مقالة في التفسير (أى تجليد الكتب) .

- مقالة في معاملة الكافر (جمعها للخليفة الموحدي الناصر حين وفد عليه البابوج ⁽¹⁾ ملك ليون) .
- المقالة المعقولة في حكم فتوى الميت والفتوى المنقولة .
- مقالة في فضل عاشوراء وما ورد في الإنفاق فيه على الأهل .
- مقالة في حث الإمام على القعود لسماع مظالم الرعية .
- مقالة في تبين التناسب بين قول النبي (ص) « يتوب الله على من تاب » وما قبله من الحديث .
- مقالة في تفسير قول المحدثين في الصحيح إنه حسن .
- مقالة في تحريم التساب .
- مقالة في الوصية بالجنين .
- مقالة إنهاء البحث متناه عن مغزى من أثبت القول بالقياس ومن نفاه . ويعقب على هذا العنوان بقوله « وهذه التسمية لشيخنا أبي محمد ابنه أيضا » .

صلته بخلفاء الموحدين :

ونعرف ممن ترجعوا لابن القطان أنه كان وثيق الصلة بخلفاء دولة الموحدين ، يقول ابن عبد الملك : « وكان معظماً عند الخاصة والعامة من آل دولة بنى عبد المؤمن » ، وكان يعقوب المنصور (الذي حكم بين 580 - 1198 و 811/4/595) هو أول من قربه وأحظاه ، إذ عينه لقراءة الحديث بين يديه . وما زالت مرتبته ترتقي لدى المنصور حتى مضى لسبيله وخلفه ابنه محمد الناصر ، فظل ابن القطان على حظوته عنده ، وكذلك كان أمره في أيام ابنه

(1) البابوج (ويكتب أيضا البيوج) هو لقب ملك ليون ألفونسو التاسع Alfonso IX وهو بمعجمة الأندلس El Baboso وقد فسره عبد الواحد المراكشي بأنه « الكثير اللعاب » وهو تفسير صحيح لأنه مشتق من اللفظ الإسباني Baba أى اللعاب .

يوسف المستنصر حتى وفاة هذا الخليفة سنة 620 (1223) . ومعنى هذا أن ابن القطان ظل مقرباً من الخلفاء الموحديين الثلاثة قرابة أربعين سنة ، كان خلالها متفرداً بالرياسة . على أن مكائته بدأت في الاهتزاز في أيام المستنصر . ويشرح لنا ابن عبد الملك أسباب ذلك فيقول إن مملكة آل عبد المؤمن أخذت في الاختلال في عهد هذا الخليفة بسبب عكوفه على راحته وإعراضه عن تدبير أمور الدولة وتفويض النظر في الأمور كلها إلى وزرائه وحاشيته حتى ضاعت مصالح الناس وكثر الساعون بالفساد وانتشر في أقطار المغرب ونواحي مراكش قطاع الطرق وتفاقم سوء الحال بعد أن أدرك الفساد حاشية المستنصر ومدبري سياسته فقد كان كبير وزرائه أبو سعيد ابن جامع يقاسم أولئك اللصوص وقطاع الطرق ما يتهبونه من التجار والمسافرين . ولما تمادى هذا الفساد أشار أبو الحسن بن القطان على الوزير بإنفاذ جيش إلى بعض نواحي مراكش لردع من نجم به من أهل البغي ، فتقاعس الوزير واعتذر بخلو بيت مال المسلمين . وحينئذ اقترح ابن القطان أن يُفرضَ على أغنياء مراكش قدر من المال . فأبى الوزير أن يفعل وقال إن ذلك سيوحش الناس ويخيفهم ، وحينئذ عرض أبو الحسن أن يكون الضامن لاستخراج ذلك المال وأن يقوم هو نفسه بالوساطة في ذلك فيقوموا بدفع ما يتقرر عليهم متبرعين طائعين . واغتنم الوزير مقال أبي الحسن فأباح له الاضطلاع بذلك حتى يوقع كراهية ابن القطان في قلوب أهل مراكش . وشرع هذا في استخراج ما ضمنه من أموال فرفض التجار النزول عن شيء من أموالهم ، وشاع الخبر بين أهل مراكش فكروهوا أبا الحسن بسببه . ثم أشار ابن القطان على المستنصر بمشاطرة وجوه دولته أموالهم والإيقاع بهم فزاد بغضهم له ، وبلغ الأمر بهم أن تواطئوا مع أحد أطباء المستنصر فعمل على سمه . وقبل ذلك كانت واقعة العثماني وابنه اللذين نهض ابن القطان بمحاكمتهما والاستيلاء على دار العثماني بعد قتله . فكان ذلك أيضاً مما زاد في كراهية الناس له .

عل أنه مع ذلك ظل لوى النفوذ خلال ما المدة الطويلة ،
يستولف نظراً في ترجمة أبي الحسن بن القطان ما يذكره من هروا له من

أنه « رأس طلبة العلم بمراكش ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة ». فرياسته للطلبة في مراكش تحتاج إلى بعض التفسير . فنحن نعلم أن « الطلبة » كانوا من أهم أركان الدعوة الموحدية في تنظيم الدولة منذ أن اختط محمد بن تومرت ذلك التنظيم ، وينبغي ألا نفهم من مصطلح « الطلبة » ما نفهم اليوم من أنهم شباب في مستهل حياتهم الدراسية . وإنما هم طبقة من أعلى طبقات الدعوة الموحدية ، فهم عند ابن اليسع يلون طبقة أهل سبعين أى في المكان الرابع من درجات الدعوة ⁽¹⁾ . وهى إذن في المكان الثالث عند من لم يروا أمر أهل سبعين صحيحا مثل ابن القطان مؤلف نظم الجمان ، فجعلوا الطلبة يلون أهل العشرة وأهل الخمسين ⁽²⁾ . فقد كان هؤلاء هم عمدة الدعوة الموحدية والمبشرين بمبادئها كما يبين من النصوص الموحدية . وكان ابن تومرت يعنى بتوجيههم إلى قبائلهم حتى يوطدوا أسس الدعوة ⁽³⁾ . كما كان يهتم بتعليمهم وتربيتهم وإعدادهم لعملهم الدعائى منذ نعومة أظفارهم أى منذ أن يصبحوا « حفاظا » . والحفاظ هم « صغار الطلبة » ، ومنهم تتألف الطبقة التى تلى « الطلبة » مباشرة ⁽⁴⁾ . وكثيراً ما كان الإمام الموحدى يوجه إليهم رسائل ييثها الخطوط العامة لسياسته وما ينبغي أن يتبعوه في أعمال الدعاية والحفاظ على مصالح الدولة ⁽⁵⁾ . ونحن نرى

(1) انظر نظم الجمان ص 82 .

(2) نظم الجمان ص 83 .

(3) انظر إشارة البهقي إلى إرسال محمد بن تومرت « طلبة الموحدين إلى قبائلهم » في سنة 522 هـ . في أخبار المهدي ص 132 .

(4) نظم الجمان ص 82 وص 179 ، والحلل الموشية ص 109 (تحقيق الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة ، الدار البيضاء 1979) ، وانظر تعليق الدكتور أحمد مختار العبادى ل مقاله الذى سجلت الإشارة إليه من الحلل الموشية ص 107 .

(5) انظر مجموع الرسائل الموحدية ص 61، 111، 1 (إلى طلبة سبقة) ، ونظم الجمان ص 188 (إلى طلبة الأندلس) ، ومجموع الرسائل الموحدية ص 9 (إلى طلبة صنهاجة تأسست) ، وابن صاحب البهقي : المن بالإنامة (تحقيق الدكتور عبد الهادى الغازى ، بيروت 1964) ص 307 (من يوسف بن عبد المؤمن إلى جميع الطلبة والأشباع والعمال من الموحدين ببلاد العبد والأندلس) .

محمد هادي
الطليعة
التي
تصل
إلى
القبائل
والأندلس
والصنهاجة
والغزاة
والأندلس
والصنهاجة
والغزاة
والأندلس
والصنهاجة
والغزاة

من بين « طلبة » الموحدين رجالاً وصلوا إلى أرق المناصب وأعزها على الإمام ، نذكر منهم أبا محمد عطية المنجصى الذى أرسله ابن تومرت إلى غجدامة ، فقتله أهلها ، واعتبره ابن تومرت شهيداً فاستباح بذلك دماء هذه القبيلة وأموالها ⁽¹⁾ . ومنهم فى أيام عبد المؤمن الخطيب أبو الحسن الإشبيلى الذى يسميه ابن صاحب الصلاة « شيخ طلبة الحضرة » وكان على المرتبة لدى عبد المؤمن وابنه يوسف ، وكان يسمع الطلبة « عقيدة التوحيد » و « أعز ما يطلب » لمحمد بن تومرت ويتولى لهم شرح غامضها وتقريب معانيها ⁽²⁾ ، وأبو بكر بن ميمون القرطبي الذى ولى القضاء لعبد المؤمن والتدريس لطلبة مراکش ⁽³⁾ ، والخطيب أبو محمد عبد الله ابن جبل الذى ولى الكتابة والخطابة لعبد المؤمن ⁽⁴⁾ .

ومن هذا نرى أن أبا الحسن بن القطان الكتامى كان من أكبر دعاة الموحدين وأبرز رجال دولتهم ، ولو أننا استعرنا المصطلح الحديث عند الكلام عن رجال الدعوات السياسية أو الدينية لقلنا إنه كان من « العقائدين » الذين أسندت إليهم الدولة الموحدية أرفع مناصبها الدعائية .

وقد وضع ابن القطان قلمه فى خدمة خلفاء الموحدين ، فقد رأينا من بين مؤلفاته رسالة فى « الإمامة الكبرى » ولاشك فى أن لهذه الرسالة صبغة دعائية فى الدفاع عن أحقية بنى عبد المؤمن فى الخلافة ، ويذكر ابن عبد الملك أن من المآخذ التى نعت عليه غلوه فى آل عبد المؤمن وإفراط تشييعه فيهم ، حتى إنه عد يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن فى جملة شيوخه الذين ضمنهم برنامجه ، ثم يقول : « وليته لو وقف فى أمره عند هذا الحد ، ولكن تعداه إلى منزلة تفضى بالهاوى منها إلى مقت الله والتعرض لغضبه وعظيم سخطه » ، وذلك أنه حينما ذكر

(1) نظم الجمان ص 138 ؛ والبيلىق : أخبار المهديين ص 132 ، وابن خلدون : العبر 228/6 .

(2) نظم الجمان ص 212 ؛ والمجلد بالإمامة ص 228 .

(3) نظم الجمان ص 212 ؛ والمجلد بالإمامة ص 226 .

(4) نظم الجمان ص 210 ، 212 ؛ والمجلد بالإمامة ص 211 .

شبهاً من أجل شيوخه وهو أبو القاسم أحمد بن يزيد بن مخلد القرطبي (المتوفى سنة ٦٢٩ ١٢٢٨) قال إنه لم يذكره باعتبار فضله ولا علمه وإنما لأنه نقل عبارة عن **معلوب المنصور** يسجل فيها تاريخ ميلاده ، وعدّ ابن عبد الملك ذلك من جانب ابن القطان ضرباً من الغلو القبيح والتزلف الكريه والإزراء بالعلم وأهله . ويشد ابن عبد الملك في ترجمته أبياتاً لابن القطان في مدح المنصور وقد وضع في حجره المصحف الذي يرعمون أنه مصحف عثمان ، يقول فيها ^(١) :

ألا فاقدروا قدر هذا المقام فهذا الإمام وهذا الإمام
إمام المصاحف في حجر من به حفظ الله هذا الأنام
وناهيك من صحف كُرِّمَتْ بحجر الكريم سليل الكرام
فعلوى لمن فاز من ذا وذا بما فيه حظ ولو بالسلام

وهي أبيات غثة يهولنا فيها ما حشاه بها ناظمها من ملق ونفاق ، ومن غلو في مدح الخليفة يصل إلى حد الخروج عن الأدب والاستخفاف بالقيم الدينية ، وهو يعول في البيت الثالث إن صحف هذا المصحف قد شرفت بوضعها في حجر **معمود المنصور** !...

ولهذا فإن بعض من لقى أبا الحسن بن القطان كان « لا يرضاه ولا يرى الرواية عنه » ^(٢) ، وينقل ابن عبد الملك عن أحد الزهاد الورعين قوله في ابن القطان : « ذلك شخص يصارح نفسه في أن يكون مهلبى الملوك » ^(٣) .

كما يعدد عليه أشياء أخرى أخذت عليه إلى جانب ملقه وتزلفه ، منها إفراط كبره وشدة عجبهِ حتى إنه كان يترفع أن يبدأ أحداً بالسلام ولا يرده على من يبدأ به ؛ وأنه كان دائم الغض من أهل العلم والإزراء بهم وتتبع سقطةاتهم ،

(١) التذييل والحجالة ١٦٩/٨ - ١٧٠ .

(٢) نفس المصدر ١٧١/٨ .

(٣) نفس المصدر ١٧٣/٨ .

وكان إذا وفد منهم أحد على آل عبد المؤمن أسرع السعى في قبضه ، معصاه حتى يعود إلى بلده فيذيع شكره ، وحرصاً على أن يتفرد بالرياسة ؛ ومنها استعماله المسكر وقد صح تناوله إياه وتأوله فيه ، وأخيراً كان من أشنع ما أخذ عليه تجرده لقتل الشيخ العثماني وابنه المراهق ، واستباحته الاستيلاء على دارهما بعد قتلها مكافأة لنفسه على تلك المحاولة . ولهذا العثماني وابنه خبر طويل ساقه ابن عبد الملك بكل تفاصيله . ومجمله أن هذا الرجل كان موثقاً شاهداً في مدينة مراکش وكان له ابن صغير يذكر بذكائه وتصرفه في العلوم على صغر سنه ، ونقل عن الصبي أنه كان يرى رؤى غريبة ويكلم بقرائن ويُنذِر بإنذارات يقول إنها بواسطة ملائكة تارة وتارة بواسطة أنبياء ، وأن هؤلاء يخبرونه بما يكون في المستقبل . وانتشر خبر الغلام وتزايد الناس فيه وقيل إنه تنبأ ، فتجرد له أبو الحسن ابن القطان وأمر بإحضاره مع أبيه ، وما زال يناظرهما ويستدرجهما في الكلام حتى حقق على الصبي تهمة التنبؤ والخروج على السلطان وعلى والده تهمة التستر عليه ، ثم حكم عليهما بالقتل فقدم الغلام وأبوه فقتلا صبراً بالسيف . واستحل ابن القطان بعد ذلك الاستيلاء على دار الرجل وانتقاله إليها بالسكنى إلى أن خرج عن مراکش (1) .

ومن هذا تتضح لنا ملامح شخصية ابن القطان «الأب» ، فهو رجل لم تمنعه سعة علمه واشتغاله بالفقه والحديث عن ملابسة السلاطين والإقبال على مغامرات الدنيا والتزلف المقيت للخلفاء ورجال الدولة والاستهانة بأحكام الشرع في سبيل تحقيق مآربه . وهو في جملة نموذج للعلماء الذين تغلب عليهم شهوات الدنيا ويدب الفساد في أخلاقهم وضمائرهم .

محبته ووفاته :

ويستوقف نظرنا بعد ذلك ما ورد في ترجمة ابن القطان هذا من أنه « امتحن بالفتنة الحادثة بالمغرب أول سنة 621 ، فخرج من مراکش وعاد إليها

(1) انظر تفاصيل هذه القضية في الجزء الثامن من الدليل والملاحمة ص 179 - 191 .

وامضطرب أمره إلى أن توفي بسجلماسة وهو متولى قضائها . فما هي هذه
الحجة ؟ وكيف كانت ملائمتها ؟ وما دور ابن القطان في أحداثها ؟

الحقيقة أن سنة 621 (1224) المذكورة كانت فاقعة فترة مشوشة على الدولة
الموحدية ، فقد بدأ فيها تصدعها وانهار بنائها وتكالب أعدائها عليها : من بنى
مربى في داخل أرض المغرب ومن النصارى في بلاد الأندلس ، هذا فضلاً عن
الملاحمة ، الناشب في صميم الأسرة الحاكمة .

وكان يوسف المستنصر بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور خامس خلفاء
الموحدين قد توفي في آخر سنة 620 بدون أن يعقب ، فتشاور أهل الحل والعقد
مراش في تعيين من يتقلد الأمر بعده ، فأشار بعضهم بتقديم عبد الله العادل بن
يعقوب المنصور ، وكان والياً على مرسية بالأندلس ، وأشار آخرون بتقديم
عبد الواحد أخى المنصور وكان شيخاً في الستين من عمره ، وكان مذكوراً في بيت
بنى عبد المؤمن بحزم وجودة رأى ، وكان أبو الحسن ابن القطان شاهداً ذلك
المجلس ، فكان من المشيرين بتقليد عبد الواحد ، إذ كان العادل يرمى بالليل إلى
البطالة وإثارة الشهوات ، وبدر من ابن القطان تمثل ببيت شعر يعرض فيه بالعادل
ومعه الهداء والملاهي ويشيد فيه بتدين عبد الواحد واستقامة خلقه :

إذا رتل القرآن في جنح ليله « أبى بن كعب » لم يُغنَّ « مخارق »

وانعقد رأى على تولية عبد الواحد ، غير أنه لم يمض على خلافته شهران
(وكان قد بويع في الرابع عشر من ذى الحجة سنة 8/620 يناير 1224) حتى ثار
عليه ابن أخيه العادل فنازعه الخلافة وطاعت له بعض بلاد الأندلس والمغرب ،
ومارال حتى تمت له البيعة في مراكش ، وخلع عبد الواحد بن يوسف ثم قتل بعد
ثمانية أشهر من ولايته . ولم يخف على العادل موقف أبى الحسن ابن القطان وتعرضه
به ، فهم بالقبض عليه والإيقاع به ، ثم رعى له قدم انقطاعه إلى أبيه وخدمته له ولأخيه
الناصر وابن أخيه المستنصر ، فكف عنه ولكنه صرفه عن الدخول إلى القصر وحضور
مجالس « الطلبة » ، واتفق آنذاك أن العادل نكب وزيره ابن أبى عمران التهنمل

وأمر بتغريبه إلى ميورقة ، وكان ابن أبى عمران صديقاً لابن القبطان كثير العناية به والتعظيم لقدره حتى بلغت الخطط التى كان يتولاها أبو الحسن فى أيامه ثلاث عشرة خطة . فلما نكب ابن أبى عمران تقلد الوزارة بعده أبو سعيد ابن جامع وكان يحقد على ابن القبطان ، فلم يزل ينتزع منه ما كان بيده من خطط حتى لم يبق له إلا القليل الذى لا غناء فيه . وقد سبق أن أشرنا إلى أن ابن جامع بدعائه حمل ابن القبطان على التورط فى محاولته مصادرة أغنياء مراکش مما بَغَّضه إليهم منذ أيام المستنصر .

أما العادل فإن الأمور لم تستقر له ، إذ سرعان ما أعلن الثورة عليه أحد أفراد الأسرة المؤمنية ، وهو عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن المعروف بالبياسى ، نسبة إلى مدينة بِيَّاسَة فى الأندلس Baeza لطول إقامته بها . ودخلت لماعة هذا الأمير الثائر قرطبة ومالقة وغيرها من مدن الأندلس حتى كاد ينزع الخلافة من العادل . وزادت الأحوال سوءاً منذ أن تحالف البياسى مع فردلند (فرناندو الثالث Fernando III) ملك قشتالة ، فسلم له قيجاطة Quesada وعرها من بلاد المسلمين . واستشرى الداء فى المغرب أيضاً ، إذ خالف على العادل عرب الخلط فى سنة 624 (1227) . وبدا من الواضح أن العادل قد سقطت هيئته وضعفت يده عن القبض على أزمة الدولة . فلم يلبث أخوه نفسه أبو العلاء إدريس عامله على إشبيلية أن خلع طاعته ونادى بنفسه خليفة متلقباً بالمأمون . واغتتم الفرصة رجالات الموحدين ومشايخهم فدخلوا على العادل قصره وقبضوا عليه ثم قتلوه بعد أربعة عشر يوماً من خلعه . ولكن الندم أدركهم بعد ذلك ، فقد خشى هؤلاء استقرار إدريس المأمون على العرش ، إذ ربما همت نفسه بالانتقام منهم والإيقاع بهم لما فعلوه بعمه وأخيه من قبل ، ثم إنهم استبطأوه ، فعزموا على خلعه ومبايعة شاب صغير من الأسرة المؤمنية هو أبو زكريا يحيى الملقب بالمعتصم بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور . وكان أبو الحسن ابن القبطان ممن حضر نكث البيعة المأمونية وتقديم المعتصم ، وذلك خوفاً من المأمون لكونه أخا العادل الذى كان يسيء الظن بأبى الحسن ، وطمعاً فى نيل المجد عند المعتصم . غير أن الأمر لم يستقر لهذا الخليفة الذى نصبوه ، ودام المأمون وهو فى الأندلس

ما كان من صالح رجال الدعوة إياه ونكثهم بيعته - وكان معظم كبارهم وفيهم ابن الهيثم قد كتبوا له يؤثرون بيعته فأخفظه ذلك وزاد حنقه ، فأجاز من الأندلس معه ستمائة من فرسان النصارى وغيرهم من قبائل العرب ، فقصده مراکش وبرر إليه ابن أخيه المعتصم بظاهرها ، والتقى الجمعان على جبل إيقليز المطل على مراکش ، فهزم المعتصم وأنهت حملاته ودخل المأمون المدينة في جمادى الأولى سنة 527 (مارس - أبريل 1230) فأعمل جنوده فيها النهب وأوقع بالموحدين الذين تابعوه ثم نكثوا بيعته انتقاماً رهيباً ، إذ أمر بقتلهم بالرمح واحداً بعد آخر ، ثم بعث فلول جيش المعتصم والقبائل التي ظاهرته فقتل منهم آلاف لا تحصى ، وأمر بهابؤهم على شرفات مراکش . ويبدو أن المأمون ضاق بهذه الدعوة الموحدية التي هزمت ودب الفساد في أوصالها فأعلن إلغائها جملة ، وأزال اسم محمد بن تومرت المهدى من السكة والخطبة وقطع كل ما كان الموحدون قد جروا عليه منذ قيام دولتهم في المغرب ، وكتب في ذلك رسالته المشهورة التي يقول فيها : « ولتعلموا أننا الباطل وأظهرنا الحق ، وألا مهدى إلا عيسى بن مريم وما سمى مهدياً إلا أنه الخاتم في المهد ، وتلك بدعة قد أزلناها ، والله يعيننا على القلادة التي تقلدناها . قد أزلنا أعظم العصمة عمن لا تثبت له عصمة ، فلذلك أزلنا عنه رسمه ، فتسقط ولثته ، وتمحى ولا تثبت . وقد كان سيدنا المنصور رضى الله عنه هم أن يصدع بما به الآن صدعنا ، وأن يرقع للأمة الخرق الذى رقعنا ، فلم يساعده لذلك أجله ، فقام على ربه بصدق نية وخالص طوية ⁽¹⁾ . وإذا كانت العصمة لم تثبت عند العلماء للصحابة ، فما الظن بمن لم يدر بأى يد يأخذ كتابه !... » ⁽²⁾ .

(1) يبدو أن ما أشارت إليه هذه الرسالة من عزم يعقوب المنصور على قطع الدعوة الموحدية وإزالة رسمها صحيح مؤكداً ، فنحن نقرأ في « المعجب » لعبد الواحد المراكشى أخباراً تدل على أن المنصور صرح بشككه في الدعوة الموحدية وأعلن استخفافه بقواعدها وتعاليمها مثل عصمة المهدى وغير ذلك . انظر المعجب ، د . القاهرة بتحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان ، القاهرة 1963 ، ص 368 - 369 .

(2) ابن عاتق : البيان المغرب (القسم الموحدى طبعة دار العرب الإسلامى ، بيروت 1985)

أما أبو الحسن ابن القطان فإنه كان في معسكر المعتصم حينما حلت به الهزيمة أمام المأمون في ظاهر مراكش ، وكان يتولى القضاء في حربه . وحينما اقتحمت جيوش المأمون المدينة نهبت داره - التي كان قد اغتصبها من العثماني - وذهب كل ما كان جمعه فيها من أموال وكتب ، ويذكر أن كتبه كانت سبعة عشر حملاً منها حملان مما كتبه بخطه . ولم يزل مع سلطانه المعتصم في اضطرابه وفراره المستمر بين يدي عمه المأمون حتى لحق في النهاية بسجلماسة ، فاستقر فيها متولياً لقضاائها ، إلى أن أدركته منيته محسوراً على ما فقد من أهله وبيته وكتبه وسائر ممتلكاته . ولا شك في أن مما زاد في ألمه نبذ المأمون للدعوة الموحدية التي ظل ابن القطان من أشد دعايتها حماسة على مدى أكثر من أربعين سنة . وكانت وفاته في أول ربيع الأول سنة 628 (7 يناير 1231) ودفن بجوار الجامع الأعظم بسجلماسة .

ابن القطان « الابن » :

مؤلف نظم الجمان :

إذا كنا قد أطلنا في ترجمة ابن القطان « الأب » فإن ذلك يعود لأن ابنه أبا محمد مؤلف « نظم الجمان » كان وارث علمه وأبرز تلاميذه ومستودع ثقته ومؤلفاته ، بل إنه يبدو لنا أن أبا محمد كان يعد أباه مثله الأعلى في كل شيء سواء في العلم أو في العصبية للأسس العقائدية لدولة بني عبد المؤمن وتفانيه في خدمتها ودفاعه عنها . بل إننا نراه كذلك يحتذى طريق أبيه في التزلف لخلفاء هذه الدولة ومظاهرتهم بالحق وبالباطل ، فقد كان أبو محمد ابن القطان في صلته بالخليفة المرتضى الموحدي كما كان أبوه في صلته بالخلفاء الذين عاصروهم من يعقوب المنصور حتى المعتصم .

على أنه إذا كانت كتب التراجم قد أفادتنا بكثير من أخبار أبن الحسن ابن القطان - وتخص بالذكر ابن عبد الملك الذي كانت ترجمته له حافلة بالتفاصيل

التي صورت لنا شخصيته وجهوده العلمية أدق تصوير - فإنها لم تعدنا إلا بالقليل
الزهر من أخبار ابنه أبي محمد مؤلف « النظم » . حتى إننا حتى نشر السفر
القاص من « الدليل والتكملة » - لم نكن نعرف اسم مؤلف نظم الجمان ولا كنيته
على وجه التحديد . فالمصادر القليلة التي أشارت إليه تضاربت في ذلك تضارباً
شديداً :

- فصاحب كتاب « مفاخر البربر » يسميه « الفقيه الحسيب الحافظ أبا علي
حسين بن القطان الكتامي مؤلف كتاب نظم الجمان » (1) .

وفي المخطوطة التي تحمل رقم 1275ك والتي كانت من بين مخطوطات الشيخ عبد
الحى الكتانى وضمت إلى الخزانة العامة بالرباط نجد نصاً في الرسالة الأولى يقول
إن « النظم » من تأليف « أبى علي حسن بن علي بن القطان » (2) .

- وابن عذارى المراكشى يذكره في « البيان المغرب » (القسم الموحدى) في النص
الذى سنعرض له بعد قليل مسمى إياه « أبا محمد » (3) .

(1) مفاخر البربر ، نشر ليفى بروفنسال ، الرباط 1934 ص 65 ؛ هذا ويجدر بالذكر أن صاحب
هذا الكتاب يميز بين مؤلف نظم الجمان (ابن القطان الابن) وبين أبى الحسن علي بن محمد بن القطان
(الأب) ، فيترجم لهذا في موضع آخر من كتابه (ص 64) ، ولو أن الاسم جاء في الأصل « ابن
القاضى » وهو تحريف عن « ابن القطان » .

(2) هذه المخطوطة مجموع من الرسائل عنوانه « كتاب الأنساب » وهو يضم ثلاث رسائل : أولاهما
عن جغرافية المغرب وأصول البربر والفتوح العربية في شمال افريقية ، والثانية هي الرسالة التي نشرها
ليفى بروفنسال بعنوان « مفاخر البربر » والثالثة تتضمن مقتطفات من رسائل وكتب مختلفة حول تاريخ
المغرب . وقد نشر بروفنسال كذلك جزءاً من الرسالة الأولى بعنوان « نص جديد عن فتح العرب
للمغرب » (في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمديرد ، المجلد الثانى سنة 1954 ص 193 - 219) (مع
تعليق للدكتور حسين مؤنس) . هذا ويقوم كاتب هذه السطور بالاشتراك مع الزميل الأخ الدكتور أحمد
مختار العبادى بتحقيق الرسائل الثلاث بما فيها رسالة « مفاخر البربر » وإعدادها للنشر . وأما النص الذى
أشرنا إليه فهو يقع في الرسالة الأولى ص 25 .

(3) البيان المغرب (القسم الموحدى) ص 446 .

مكتبة
البربر

ولم نحسم هذا الخلاف إلا ابن عبد الملك الذى ينشر إليه ، راراً في « الذيل والتكملة » فيذكره باسم « أبى محمد حسن بن على بن القطان » ، وهذا هو الصواب بغير شك ، فقد كان مؤلف « النظم » شيخاً له ، وهو أعرف به وبأحواله من أى مؤلف آخر .

على أنه يؤسفنا أن الترجمة التى أفردها ابن عبد الملك لأستاذه أبى محمد حسن لم تصل إلينا ، ويظن الدكتور محمد بنشره أن هذه الترجمة كانت فى السفر السابع المفقود من كتاب ابن عبد الملك ⁽¹⁾ ، ولو بقيت لكنت - كالعهد بما كان ابن عبد الملك يكتبه عن شيوخه - من أغزر تراجمه مادة وأدقها تصويراً لشخصية شيخه وتسجيلاً لجهوده العلمية .

على أننا نجد فى مواضيع متفرقة من كتاب « الذيل والتكملة » أخباراً حول أبى محمد حسن بن القطان نورد خلاصتها فيما يلي .

ونذكر أولاً أن أبا الحسن ابن القطان كان له ابنان اشتغلا بالعلم وكانا من رواة كتبه ، أولهما أبو عبد الله حسين ، والثانى هو أبو محمد حسن ⁽²⁾ ، ولكننا لانكاد نجد ذكراً لأولهما باستثناء إشارة ابن عبد الملك إلى أنه تلمذ على أبيه . ولم يفدنا أحد من المؤرخين ولا كتاب التراجم بتاريخ مولد أبى محمد ، ولكننا نجد هذه العبارة فى ترجمة أحد الشيوخ المصريين الذين وفدوا إلى المغرب والأندلس وهو أبو إسحاق إبراهيم بن خلف الغسانى المعروف بالسنبورى : « قال أبو الحسن بن القطان - وسماه فى شيوخه : قدم علينا تونس سنة ثنتين وستائة واستحزته لابنى حسن فأجازه وإياى » ⁽³⁾ . ولسنا نعرف كم كان عمر أبى محمد حينما طلب له أبوه هذه الإجازة ، فنحن نعرف أنه قد شاع فى ذلك العصر طلب الإجازات من العلماء للأبناء حتى ولو كانوا صغاراً دون سن طلب العلم .

(1) تقديم الدكتور بنشره للسفر الثامن ص 138 .

(2) الذيل والتكملة 166/8 .

(3) انظر ترجمة السنبورى فى التكملة لابن الأبار 176/1 ؛ وقد نقلها المقرئ فى النفع 135/3 - 136 .

وفى العبارة المذكورة . وانظر كذلك الذيل والتكملة 165/8 والهاشية رقم 41 .

وهناك بعض الأرواحانية أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم في « ضوابط دار السكة » يقول فيه في ممرس الحديث عن الدرهم الكيلبي : « وقال أبو محمد بن القطان في مقالته إنه شاهد دراهم للكيل ضرب عبد الملك بن مروان في إشبيلية سنة ثمان وستائة ، وجدت في كتز ورفعت للناصر أبي عبد الله بن المصور الموحدي فأعطى منها لأبيه أبي الحسن بركة ، وهي فضة مستديرة الشكل عليها مكتوب : أمر بضرب هذه الدراهم أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان . قال : وكنا قدرناها غير مرة بوسط حب الشعير فكان الدرهم منها يعدل خمسين حبة وخمسي حبة » (1) . ومن هذا النص نستخلص أن أبا محمد كان في إشبيلية في السنة المذكورة (1211/608 - 1212) ، وأنه كان في سن تسمح له بتقدير هذا « الكشف الأثرى » وحساب وزن هذه الدراهم التي تعود إلى أيام عبد الملك بن مروان ، ولعله كان يجاوز العشرين من عمره آنذاك ، فمولده إذن كان في نحو أوائل العقد الثامن من القرن السادس (أى في حدود سنة 1184/580) .

وربما دلنا على ذلك أيضا هذا الخبر الذي يقصه المقرئ (2) عن الشاعر أبي بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهرى إذ يروى له أبياتا في وصف « ابن لأبي الحسن ابن القطان بمحضر والده » ، وهي :

جاء وفي يساره قَوْسٌ وفي اليمنى قَدْخٌ
كأنه شمس بدت وحولها قَوْسٌ قَرْخٌ
يا لائمي في حُبِّه ما كُلُّ مَنْ لَامَ نَصَحٌ

فإذا كنا نعرف أن ابن مجبر توفي سنة 588 (1192) (3) فلا بد أن ابن أبي الحسن

(1) أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، مدريد 1960 ص 84 .

(2) النفح 161/4 .

(3) انظر ترجمة ابن مجبر في النفح 237/3 - 240 .

المذكور كان آنذاك صبيا في نحو الثامنة من عمره ، فهذا هو الأشبه بمن تقال فيه مثل هذه الأبيات ، هذا إذا كان ذلك الابن هو أبا محمد حسناً الذي نحن بصددده .

ونعرف بعد ذلك عن أبي محمد أنه اشتغل بطلب العلم منذ شبابه ⁽¹⁾ ، فابن عبد الملك الذي يسميه كلما ورد ذكره « شيخنا » ينقل عنه العديد من الأخبار في معجم تراجمه ، في مواضع تزيد على العشرة . وكان أبو محمد زميلاً لخال ابن عبد الملك في الدراسة وللنحوي المشهور ابن الطراوة الملقب ، وخال ابن عبد الملك المذكور هو أبو علي عمر بن محمد القيسي المراكشي المعروف بابن الفاسي (المتوفى سنة 1229/626) . يقول في ذلك صاحب « الذيل والتكملة » : « وكان شيخنا أبو محمد حسن بن القطان وابن الطراوة يكثران الثناء عليه والإيجاب له ، وقد صاحبه طويلا بمراكش واشتركا معه في الأخذ عن الشيوخ بها » ⁽²⁾ . ويشير في موضع آخر إلى تلمذة أبي محمد على الفقيه المحدث الكبير محمد بن عيسى الأزدي المعروف بابن المناصف (المتوفى سنة 1223/620) ويقول نقلا عن شيخه إن ابن المناصف كان يكتب ثلاث عشرة طريقة (في الخط) هو فيها كلها مجيد ، ثم يقول إنه رأى منها أربع طرائق كانت لها وصفها أبو محمد ⁽³⁾ كما يشير إلى تلمذته أيضا على أبي الحجاج يوسف بن محمد بن المعز المكلاقي الفاسي الملقب بالأحذب (المتوفى في 1229/626) وكان متكلماً أصولياً . ومن الطريف أن نذكر أنه كانت بين أبي الحجاج هذا وأبي الحسن على بن القطان والد أبي محمد منافرة شديدة ومقاطعة مشهورة ، ومع ذلك فإن هذه الخصومة لم تمنع أبا محمد من الأخذ عن هذا الشيخ ⁽⁴⁾ .

(1) قال ابن عبد الملك أن عمر بن محمد أخذ عنه في الحديث - على ما يسجل ابن عبد الملك - أحمد بن سلمة الأندلسي ، الأندلسي ، الأندلسي ، الأندلسي ، في أواخر 597 أو أوائل 1200/598) فإذا صح تقديرنا بأن أبا محمد ولد في حدود سنة 980 فذلك أنه درس على هذا الشيخ وهو في نحو الثامنة عشرة . انظر ترجمته في الذيل والتكملة ، السمع الأورد ، رقم 177 ص 126 .

(2) الذيل والتكملة ، السمع الأورد ، ترجمته رقم 31 ص 235 - 237 .

(3) الذيل والتكملة ، السمع الأورد ، رقم 114 ص 148 .

(4) الذيل والتكملة ، السمع الأورد ، رقم 227 ص 432 - 434 .

ويبدو في حديث ابن عبد الملك عن أستاذه أبي محمد كثير من التقدير والإجلال⁽¹⁾ ، ومع ذلك فإننا نعتقد أنه ما كان ليحجم عن نقد مواقفه في التزلف للخليفة الموحد المرتضى والدفاع عن الدعوة الموحدية بالحق والباطل ، كما فعل بأبيه الذي أورد في ترجمته جملة من مثالبه ، فقد كان ابن عبد الملك من الصراحة الخشنة والصرامة في النقد والمجاهرة بالحق بحيث لا يعرف المجاملة ولا تزيين العيوب ، وأظن أنه لو وصلت لنا ترجمته لشيوخه أبي محمد لرأينا فيها ما يصدق هذا الحكم .

أما جهود ابن القطان « الابن » العلمية فإن ابن عبد الملك أشار إلى طرف منها في ترجمته لوالده ، وهو لم يذكر منها إلا ما يتصل بروايته لكتبه أو أخباره ، أما أعماله الأصلية فلا بد أن يكون ابن عبد الملك قد تناولها بكثير من التفصيل في الترجمة التي أفرد لها ، والتي ذهبت في الجزء المفقود من كتابه . وأما فيما يتعلق بأبيه فقد روى عنه ابن عبد الملك كثيراً من الأخبار الخاصة بحياته ، وهو ينص أحياناً على أنه نقل بعض هذه الأخبار من خطه⁽²⁾ ، ومنها عدة قطع شعرية في المديح والوصف⁽³⁾ ، وذكر مواقف له يغلب فيها طابع الدفاع عن تصرفات أبيه وسلوكه ، كما نرى في حديثه عن السبب في إيجاش العادل بن المنصور له وسوء علاقته به ، ولو أنه دفاع لم يقتنع به ابن عبد الملك⁽⁴⁾ ، وتبلغ رواية المؤلف عن شيخه حدّاً بعيداً من التفصيل كما نرى في قصة العثماني وابنه ومقتلهما⁽⁵⁾ ، وعلى الرغم مما ساقه أبو محمد في هذه الرواية من دفاع عن أبيه وتصوير له بأن دافعه إلى محاكمة الرجل وابنه الصبي كان الغيرة على الدين فإن ابن عبد الملك في صراحته المبهودة لم يتردد في ضم تلك المحاكمة إلى مثالبه .

(1) يذكر الدكتور بنشريف في تقديمه للسفر الثامن (ص 15 - 16) أن جانباً من اهتمام ابن عبد الملك بالتاريخ يرجع إلى شيخه أبي محمد .

(2) الدليل والتكملة ، السفر الثامن ص 191 .

(3) نفس المصدر ص 170 - 171 .

(4) نفس المصدر ص 172 - 173 .

(5) نفس المصدر ص 173 ، وتفصيل محاكمة العثماني وولده بين صمحي 179 - 191 .

كذلك نرى من سرد ابن عبد الملك لكتب ابن القطان « الأب » أن ابنه أبا محمد كان هو الذى وضع عناوين كثير من تلك الكتب والرسائل .

الدولة الموحدية فى عصر المرتضى :

ونرى من المناسب فى هذا المقام أن نعرض شيئاً عن أحوال هذا الخليفة الذى اتصل به مؤلفنا وعاش فى بلاطه والف له « نظم الجمان » .

وقد انتهينا فى الكلام عن الدولة الموحدية إلى سنة 628 التى توفى فيها على ابن محمد بن عبد الملك بن القطان أبو مؤلف النظم ، وأشرنا إلى بدء اختلال الدولة الموحدية وفسادها منذ أوائل القرن السابع ، وتزايد هذا الفساد فى السنوات التالية : فهذه إفريقية تستقل عن سلطان الموحدين وتقوم فيها دولة الحفصيين ، وهذه الاندلس تخرج عن أيديهم ويصطارع فيها ثوارها المسلمون من أمثال ابن هود وابن مردنيش وابن الأحمر وعشرات من صغار المنتزين ، ثم يغتنم النصارى هذه الفرصة ، فيؤرثون من نار العداوات والاحقاد والفتن . وهكذا تقع الحواضر الاندلسية الكبرى فى أيديهم واحدة بعد الأخرى ، حتى لا يكاد القرن السابع ينتصف إلا والإسلام قد انحصر فى جانب صغير من جنوب شرقي شبه الجزيرة . حتى المغرب نفسه لم يصف لخلفاء الموحدين ، إذ يقاسمهم السلطان هناك بنو مرين ويجرعون ملوكهم من الغصص والهزائم ما يطيح بآخر ما بقي من كرامة دولتهم وهيبتها . وأصبح سلاطين الموحدين فى هذه الفترة أشبه ما يكونون بخلفاء بني العباس بعد المتوكل : يتلاعب بهم مشايخ الموحدين والعرب والغز والنصارى كما كان يتلاعب بأولئك قواد الترك وخدم القصر ونسأؤه .

فى هذه الظروف التعسة المشؤومة ولى عرش الموحدين أبو حفص عمر بن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمرتضى ⁽¹⁾ ، وذلك أنه لما قتل على السعيد

(1) عن خلافة المرتضى انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، القسم الم - ١٠ ، ص 387 - 447 ؛
والزمنى : تاريخ الدولة الموحدية 541/2 - 566 .

في آخر صيف سنة 646 (21 يونية سنة 1248) وقتل كذلك ابنه العليل الذي كان
مؤثراً للخلافة بعده اجتمع زعماء الموحدین ومشايخهم ، فرشحوا أولاً أبا زيد بن
إسحاق ، وكان عاملاً على مراكش ، ولكنه أتى من قبول الخلافة ، وحينئذ اضطروا
إلى ترشيح أسماء أخرى لم يظفر واحد منها بالاجماع ، وأخيراً قام أبو عبد الله
محمد بن عبد الله الجنيسى وعرض على المجتمعين اسم أبي حفص عمر بن
إسحاق ، وكان حاكماً لسلا في ذلك الوقت ، ونوه الجنيسى بخلاله الحميدة ،
فوقع عليه اجماع الحاضرين وكتبوا عقد البيعة وسلموه إلى أبي زيد المذكور باعتباره
مستقلاً لآخيه ونائباً عنه إذ أن هذا كان غائباً في سلا ، وتوجه بكتاب البيعة الحالم
ابن أصلماط ، فلقى السيد أبا حفص بتامسنا وهو مقبل من سلا ، فقرئت البيعة
المذكورة وأصفق الحاضرون على مبايعته ، وتلقب بالمرتضى ، وتوجه من ساعته إلى
مراكش ، فخرج الناس ورجال الدولة لاستقباله والاحتفاء به ، واستقر له الأمر .
ولكن المشاكل لم تلبث أن عكرت عليه صفو هذا الهدوء . فقد كان
المريونيون في هذا الوقت قد اقتحموا تازة ، ثم توجه أميرهم أبو يحيى بن زكريا
المريني إلى أجرة سيف وسائر القلاع الواقعة على نهر ملوية واستولى على فاس ،
فظل فيها عاماً كاملاً حتى ربيع الأول سنة 647 (مايو - يونية سنة 1249) ، غير
أن أهل فاس أعلنوا ثورتهم عليه ومبايعتهم للمرتضى ، ولكن هذه الثورة فشلت بعد
أن عجز الموحدون عن بعث إمدادات عسكرية إلى المدينة ، وهكذا عادت فاس
إلى طاعة المرينيين في جمادي الثانية سنة 648 (سبتمبر 1250) .

وزاد في سوء الاحوال أن الأمير أبا يحيى المريني مد سلطانه على رقعة واسعة
تمتد بين فازاز والرباط ، وحينئذ قرر المرتضى أن يتدخل بعد أن ظل ثلاث سنوات
متقاعداً جائحاً إلى الخمول ، فجمع جيشاً ضخماً في سنة 649 (1251) وخرج به
من مراكش ، فتوجه أولاً إلى تينملل حيث قام بزيارة ضريح المهدي وتلقى بركاته
كما كانت عادة سلاطين الموحدین قبل الشروع في أي غزوة . ثم خرج إلى سلا ،
ورأى أبو يحيى المريني قوة جيش خصمه فعرض عليه المفاوضة ، وقبل المرتضى
فقد كان رجلاً مسلماً ميلاً إلى تجنب كل نزاع مسلح ، ولكن وزراءه ومشايخ

الموحدين - وقد ملأهم الغرور والثقة في النصر - رفضوا الصلح ، ودارت المعركة ، فانتهت بهزيمة جيوش الموحدين دون أن تشتبك في القتال ، ويبدو أن هذه الهزيمة كانت ترجع إلى خيانة من الوزير عبد الله بن يونس الذي كان المرتضى قد نكبه قبل ذلك عند عودته مخذولاً إلى مراكش .

غير أن ما فعله المرتضى بابن يونس كان له بعد ذلك أسوأ الآثار ، فقد ترتب عليه أن قائداً من أهل قرابته هو علي بن يدر أخذته الحمية فهرب إلى السوس وأعلن الثورة على الخليفة وهزم الجيوش الموحدية التي وجهت لقتاله . ثم عاد المرتضى إلى التوجه بجيشه إلى فاس طامعاً في استردادها ، ودارت المفاوضات مرة أخرى ولكنها انتهت بالفشل ، فلما وقعت المعركة في « بني بهلول » بجوار فاس عاد المرينيون فألحقوا بالمرتضى هزيمة ساحقة في جمادى الثانية سنة 654 (يولييه سنة 1255) .

ومنذ هذه الهزيمة قرر المرتضى ألا يخرج للغزو بعدها ، فأمضى الصلح مع أبي يحيى المريني ، وعكف على حياة هادئة مسالمة اشتغل خلالها ببناء قصوره والخلو ببلداته ، هذا بينما كان ضعفه المتزايد قد جسر عليه الثوار الآخرين ، فهزم علي بن يدر من جديد الجيش الذي وجهه المرتضى إلى السوس بقيادة أبي محمد ابن أصناج ، وارتفع أمر العزفي والي سبتة فمد حكمه على طنجة وأخذ يتصرف كما لو كان أميراً مستقلاً ولو أنه كان يخطب للمرتضى ويعلن طاعته له على نحو اسمي محض . ثم خلع أهل سجلماسة طاعة الموحدين وأعلنوا انقيادهم لبني مرين .

وهكذا ظلت أحوال المغرب تسير من سيئ إلى أسوأ ، حتى انتهى الأمر بهجوم السلطان المريني أبي يوسف يعقوب على مراكش نفسها ومحاصرتها لها ، فعهد المرتضى بقيادة جيوشه إلى أحد أمراء الاسرة الموحدية المالكة : أبي العلا إدريس الملقب بأبي دبوس ، وهو الذي سيكون مصرع المرتضى على يديه فيما بعد . وكان ذلك في أواخر سنة 660 (خريف سنة 1262) ، واستمر القتال شهرين بين الموحدين وبني مرين ، وقتل خلال المعارك الدائرة عبد الله الابن الأكبر

لأبي يوسف المربني ، فبعث إليه المرتضى برسالة عزاء ، وفاوضه في أن يرفع
الحصار عن مراکش على أن يؤدي إليه ضريبة سنوية . وفي رجب سنة 661 (مايو
يولييه 1261) رفع المربني الحصار وعاد بجيوشه إلى فاس .

على أن هذا النجاح المتواضع الذي أحرزه الموحدون على خصومهم الاقوياء
لم يلبث أن أعقبته نتائج وخيمة انتهت أخيراً إلى تقويض بناء الدولة الموحدية وإلى
مصرع المرتضى ، ذلك أن أبا دبوس الذي عهد إليه بقيادة المقاومة الموحدية أثناء
مصار المربنين لمراکش قد داخله الغرور ، فاستزاد المرتضى من السلطات ،
وأمره تصرفاته إلى نفور الوزراء منه ، ورأى هو نفسه أحق بتدبير الامور من
جميعهم مما أنارهم عليه ، فأوقعوا به لدى المرتضى ، واتهموه بأنه كان يكاتب
المربنين سراً ، وإزاء ذلك اختلق حجة لمغادرة العاصمة ، فما إن سنحت له
فرصة الفاراحتى توجه إلى فاس في محرم سنة 663 (نوفمبر سنة 1264) ، فاجتمع
أبي يوسف المربني ، وتعاهد معه على أن يمدّه بالرجال والمال وعلى أن يكون
المربني لقاء ذلك نصف ما يستولى عليه من البلاد الباقية في حوزة المرتضى . وفي
ذي القعدة من سنة 663 (أغسطس - سبتمبر 1265) خرج أبو دبوس بكامل
أسلحته وعديده من فاس إلى مكناس ثم توجه منها إلى تادلا ، فعيد بها عيد
الأممجي (23 سبتمبر 1265) وقضى شتاء هذا العام وربيعه في جمع صفوفه
وتسبب أنصار جدد من العرب ومن هسكورة وفي مكاتبه جواسيسه في مراکش .

وما إن وصل الخبر إلى المرتضى بثورة أبي دبوس حتى ساءت ظنونه بكل
من حوله ، فقبض على كثير من وزرائه ورجال دولته متهماً إياهم بمؤامرة خصمه ،
وزاد ذلك من تذمر الناس منه وضيقهم بحكمه وانحياز الكثيرين إلى صفوف أبي
دبوس ، فضلاً عن أنه كان قد فرق جيوشه في البلاد تاركاً بذلك عاصمته
مراكش بلا حامية تحت رحمة أي هجوم مفاجيء . ومع كل ذلك فإن المرتضى
لم يعر الامر كبير اهتمام ورفض نصائح وزيره أبي موسى بن عزوز بأن يسرع
باستقدام ابن وانودين وابن عطوش بجيوشهما لانقاذ عرشه المذبذب .

وفي 22 من المحرم سنة 665 (22 أكتوبر 1266) توجه أبو دبوس نحو شنه إلى مراكش ، فاقترح أسوارها من باب أعمت ، ولم يسع المرتضى حينئذ إلا الفرار من المدينة إلى جبال الأطلس ، فوصل أولا إلى كيك ، ولكن أهلها رفضوا مقامه بين أظهرهم ، فانتقل إلى أزمو ، ولكن أعوان أبي دبوس قبضوا عليه هناك وأودعوه السجن . وما علم أبو دبوس بالقبض عليه حتى أمر بأن يكتب إليه لكي يعلن عن المكان الذي أخفى فيه ذخائره وأمواله ، ولكن المرتضى أجاب مقسما بأنه لم يكن لديه أي مال وطلب من خليفته العفو والرحمة وناشده أن يرعى فيه حرمة القرابة ، ورق له قلب أبي دبوس أولا ورام إطلاقه ، ولكن ناصحا له من ذوي قرباه وهو أبو زيد الأعرج شدد عليه في وجوب قتله ، وهكذا صدر الأمر بضرب عنقه في الطريق ، ونفذ فيه الحكم في 22 من صفر من هذه السنة (22 نوفمبر 1266) .

وكان المرتضى على الرغم من ضعف إرادته وتخاذله الخزي وخلوه من صفات القيادة والحكم رجلا واسع الثقافة محبا للشعر والأدب والغناء والبنيان ، وكأنه كان يريد بإقباله على هواياته ولذاته نسيان ما كان يترصد به من كوارث ، وفيه تتمثل مرحلة الانحلال النهائي الذي كان يهدد دولة الموحدين ، إذ أن خليفته أبا دبوس المتلقب بالوائق لا يتمتع بالخلافة إلا نحو ثلاث سنين ، ثم يجرحه المرييون من الكأس التي أذاق من قبل مرارتها للمرتضى ، ولا تأتي سنة 668 (1269) حتى يقضي بنو مرين على آخر ما بقي من دولة الموحدين المتداعية .

* * *

في ظل المرتضى - هذا الخليفة التعس الذي وافق حكمه غروب شمس الموحدين - عاش أبو محمد حسن بن القطان ، وكان - على ما يبدو من كتابه - رجال دولته المقربين ، ولم تحدثنا المراجع عن حياته ولا عن دراسته ، إذ أن ما بين أيدينا منها يرخي عليه كما ذكرنا ستارا من الصمت المطبق .

ولكن في وسعنا أن نتصور شيئا من ذلك على ضوء ما عرفناه من حياة أبيه الذي كان كما ذكرنا « رئيسا لطلبة مراكش » أي أنه كان من أكبر دعاة

المؤمنين المحسنين لمبادئهم الدينية والسياسية ، بل إنه تعرض في سبيل ذلك
للموت شهيداً . أدبه وأخرجته عن بلدته ، وذلك منذ أعلن المأمون في سنة 814 (1227)
دعواه ابن تومرت وحكمه عليه بالكفر ، ورأى رجال الموحدين في هاته
الفترة التاريخية خطراً على نظام الدولة ، فإلّا ما أحرزوه في ظلها من منافع ،
فأعلنوا المأمون على شخص بعد أن اتبع معهم سياسة حجاجية بالغة القسوة ،
مما إذا حلت به المنية في آخر سنة 825 (أكتوبر 1212) وولى الخلافة بعده ابنه
عبد الوهاب الرشيد . تنفسوا الصعداء واشتروا على الخليفة الجديد أن يعيد رسوم
الدولة التي سماها أبوه وأن يذكر اسم محمد بن تومرت المهدي في الخطبة
والمحاضرات والسكة . ويصف لنا ابن عذارى تخوف مشايخ الموحدين من أن يجري
الرشيد على سنة أبيه ، ويقول إنهم لما فاضوه في الأمر سكن نفوسهم ووجد
أولئهم بإعادة تلك الرسوم الموحدية :

« فيالله ، ما ذا بلغ من سرورهم وما كانوا فيه من الارتياح عند سماعه
والإطلاق ألسنتهم بالدعاء إلى الله تعالى في نصر خليفهم وتأييده ، وإعلاء أمره
وأعاليه ، وشملت الأفراح الكبير منهم والصغير ، وعم الجذل الحاضر والبادي ،
وعند ذلك تمهدت قواعد الموحدين وتبينوا القصد الجميل فيهم ، وأشاعوه عند
قاصصهم وذانيهم ، وبلغ في إدنائهم وتكريهم ، وأحل أشياخهم محل أشياخ
الموحدين على قدم الزمان ، واستبشروا بنعمة من الله ورضوان » (1) .

وطبيعي أن يتشرب ابن القطان مبادئ الدعوة الموحدية منذ صباه وأن
يرث عن أبيه حماسه لها واجتهاده في خدمتها ، ولا سيما بعد أن انجابت عن الأفق
غيموم هذه الأزمة العارضة التي أثارها المأمون ، وعادت الدولة الموحدية إلى التمسك
برسومها وطقوسها التقليدية القديمة ، ولعل هذا هو ما أوصل ابن القطان إلى خدمة
الخليفة المرتضى والعمل في بلاطه . والذي يقرأ ما بقي لنا من نص « نص الجمان »

(1) ابن عذارى : البيان المغرب (القسم الموحدي) ص 317 .

نجد فيه مظاهر كثيرة لهذه الحماسة الشديدة للدعوة الموحدية ، وإن كان هذا لا يعني الإخلاص الحقيقي لها ولا الإيمان الصادق بها ، وكل ما هناك هو أن مثل ذلك الإخلاص كان طريقاً إلى الجاه والسلطان ... طريقاً سلكها أبوه من قبل « فنال بخدمه السلطان دنيا عريضة » كما ذكر من ترجموا له . وما كان أبو محمد ابن القطان بدعا في ذلك ، فقد ورث عن أبيه هذه « الوصولية » وكان كغيره من الفقهاء الذين لم يتورعوا عن بذل علمهم وكرامتهم في سبيل عرض الدنيا ، وما كان بذلكم غريب في مثل هذا العصر الذي اختلت فيه موازين القيم والأخلاق فأصبح كثير من العلماء يعرضون أنفسهم بضاعة رخيصة لكل متلبس بحكم أو متصور على سلطان . وكتاب « نظم الجمان » كما نستشف من القطعة الباقية منه ليس إلا تاريخاً « بلاطياً » خالصاً من طراز تلك الكتب التي ألفها مؤرخون « منتفعون » من الدولة التي يستظلون بظلها ، وأمثال هذه التواريخ رأيناها في جميع الدول الإسلامية المختلفة ، وقد سبق ابن القطان إليها في الدولة الموحدية مؤرخون مهّدوا له الطريق مثل أبي بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق صاحب كتاب « أخبار المهدي » وأبي القاسم المؤمن صاحب « فضائل المهدي » وابن الراعي ثم ابن صاحب الصلاة مؤلف كتاب « المن بالامامة » .

مؤلفات ابن القطان :

وقد جمع ابن القطان للمرتضي عدة كتب يذكرها ابن عذارى في ذلك النص الذي اختصه به وفيه يقول :

« وكان (أي المرتضى الموحدي) محبا في مطالعة الكتب وتوليفها وتصانيفها ، فألف له الفقيه أبو محمد ابن القطان جملة من الكتاب الحفيلة الجليلة ، وأمده بالدواوين العظيمة والخيرات الجليلة (كذا ولعلها الجزيلة) ، فمنها : « نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان » ، وكتاب « شفاء الغلل » ، في أخبار الانبياء والرسل » ، وكتاب « الأحكام لبيان آياته عليه السلام » ، وكتاب « المناجاة » ، وكتاب « المسموعات » فيه قصائد متعذرات فـ... بالمولد الكريم

و... وشعبان ورمضان وغير ذلك » (1) .

أما « نظم الجمان » فله موصيعة من هذا الحديث ، وأما الكتب الأخرى فأغلب العظماء فيها فقدت أو ضاعت ، ولم تتحدث عنها المصادر الأخرى التي قدم ، إلخ ، فيما عدا إشارة سريعة مقتضية لابن القطان نفسه في معرض التعليق على الحديث النبوي المشهور « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة » فهو يقول إنه جود الكلام على هذا الحديث في كتاب « الأحكام » (2) .

كتاب « نظم الجمان »

شهر هذا الكتاب بالمقطع الأول من عنوانه ، وأما المقطع الثاني الذي يخصه السبعة المعتادة في عناوين الكتب فهو ما لا يتفق عليه من أشاروا إليه أو اقتطفوا منه ، وسنورد فيما يلي الصور المختلفة التي جاء بها هذا المقطع الثاني في المراجع المختلفة .

1. العنوان في المخطوطة الوحيدة الباقية من الكتاب معتمدنا في نشر هذا الجزء هو : « نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان » .
 2. وتسميه مخطوطة الرباط التي أشرنا إليها من قبل « ... فيما سلف من أخبار الزمان » (3) وكذلك الفقيه الرهوني فيما نقله عنه العالم المغربي الشيخ عبد الحي الكتاني وسجله بخط يده على غلاف مخطوطة « النظم » كما سنرى بعد في كتاب « المعيار المعرب » ، والونشريسي فيما نقله عن ابن القطان في خبر ابن تومرت وعلاقته بالغزالي وإحراق كتاب الإحياء .
- (186 - 185/12) .

(1) البيان المغرب القسم الموحد ص 446 .

(2) هذا هو الكتاب الذي خلط بينه ليفي بروفنسال وبين « شرح الأحكام » أو « الوهم والإيهام الوافع على كتاب الأحكام » ، وهو الذي ألفه ابن القطان الأب معلقا به على « أحكام » عبد الحق الأشبيلي .

(3) ص 25 من مخطوطة الخزائن العامة بالرباط رقم 1275 ك .

3 - ويذكر ابن عذارى له عنوانين : أولهما « ... في أخبار الزمان » ، جاء ذلك في مقدمة كتاب البيان المغرب في معرض الكتب والمراجع التي اعتمد عليها في تحرير مؤلفه ⁽¹⁾ ، والآخر هو « نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان » ، وقد جاء هذا في حديثه عن الكتب التي ألفها ابن القطان للخليفة المرتضي ، وهو الذي أثبتنا نصه منذ قليل .

نقول المؤرخين المتأخرين عن ابن القطان :

الذي يتتبع النقول التي اقتطفها المؤرخون الاندلسيون والمغاربة من « نظم الجمان » يتبين له مدى قيمة هذا الكتاب ووفرة المادة التاريخية التي تضمنتها صفحاته ، وسنورد فيما يلي إشارات مقتضبة إلى ما عثرنا عليه من هذه النقول :

أ - في كتاب « البيان المغرب » لابن عذارى :

- 1 - يبدأ ابن عذارى في مقدمة كتابه بذكر « نظم الجمان » من بين المراجع التي اعتمد عليها ونقل منها في تاريخه ⁽²⁾ .
- 2 - ينقل عنه في الفصل الذي عنوانه بقوله « صفة مدينة تهرت على ما ذكره ابن القطان ⁽³⁾ » وهو فصل جغرافي طويل يذكر في أثناءه القبائل البربرية التي كانت تسكن هذه المناطق ، ويتبع ذلك صفة مدن مغربية أخرى مثل طنجة ومدن إقليم السوس وبلاد صنهاجة وهسكورة وأغمات وغيرها من المواضع ، وهو في كل ذلك ينقل عن مؤرخين وجغرافيين آخرين ، وإن كان يغلب على ظننا أن جل اعتماده على ابن القطان .
- 3 - عن غزوات عقبة بن نافع في المغرب وعودته إلى إفريقية بعد رجوعه من

(1) البيان المغرب 3/1 (ط . ليفي بروفنسال و كولان) .

(2) البيان المغرب 3/1 .

(3) البيان 25/1 وما بعدها .

- الحملة التي قادها في بلاد جزولة ثم استشهاده ⁽¹⁾ .
- 4 عن غزوات موسى بن نصير للمغرب الأقصى ⁽²⁾ .
- ٥ عن أصل طارق بن زياد ومستقره من بلاد المغرب قبل فتحه
الاندلس ، وما كان يسيطر عليه النصارى من بلاد المغرب ⁽³⁾ .
- ٦ عن تولية هشام بن عبد الملك كلثوم بن عياض على إفريقية والمغرب ،
والحروب الدائرة بين العرب والبربر ، ولجوء فل العرب بقيادة بلج بن
بشر القشيري إلى سبنة ، ثم مكابنتهم لعرب الاندلس حتى جوازهم إلى
تلك البلاد ⁽⁴⁾ .
- 7 عن برغواطة وارتدادهم عن الإسلام وخبر بني طريف البرغواطين ⁽⁵⁾ .
- ٨ عن عبد الرحمن بن حبيب والي إفريقية وخلعه طاعة العباسيين ⁽⁶⁾ .
- 9 عن مصرع عمرو بن حفص والي إفريقية للعباسيين على يد الثائر
الخارجي أبي حاتم الاباضي سنة 153 ⁽⁷⁾ .
- 10 عن موقعة دارت في سنة 224 في موضع بين قفصة وقسطيلية
(بإفريقية) بين عيسى بن ريعان الأزدي وقبائل البربر من لواتة وزواغة
ومكناسة ⁽⁸⁾ .
- 11 عن خلو سنة 253 من أخبار إفريقية مما يستحق الذكر ⁽⁹⁾ .

(1) البيان 28/1 .

(2) البيان 42/1 .

(3) البيان 44/1 .

(4) البيان 55/1 - 56 .

(5) البيان 56/1 - 57 .

(6) البيان 67/1 .

(7) البيان 77/1 .

(8) البيان 107/1 .

(9) البيان 115/1 .

12 - عن أخبار عبيد الله الشيعي (المهدي) مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ، والخلاف في نسبه . وما يجدر بالذكر هنا أن ابن الفطال من يؤكّدون زيف النسب الفاطمي الذي اصطنعه مهدي الشيعة العبيديين ⁽¹⁾ .

13 - عن الفاطميين في مصر وأخبار خلفائهم وأن نسبتهم إلى علي بن أبي طالب باطلة وأن أكثر اعتقاداتهم كفر ، وبلى ذلك كلام عن وفاة المستنصر بن الظاهر وولاية المستعلي ثم الأمر إلى ولاية الحافظ ⁽²⁾ .

14 - عن دولة يحيى بن تميم بن المعز أمير إفريقية وفتحها لأقلبيّة سنة 502 ⁽³⁾ .

15 - عن غلاء الاسعار والوباء المنتشر في تلمسان في المغرب الاوسط سنة 512 ⁽⁴⁾ .

16 - عن وقعة كنتة بالاندلس التي هزم فيها المرابطون سنة 514 ⁽⁵⁾ .

17 - عن خلع القاسم بن حمود في قرطبة سنة 414 وهزيمة البربر وهروب القاسم بن حمود إلى إشبيلية ثم محاولة أهل قرطبة إعادة دولة بني أمية وخلافة عبد الرحمن المستظهر بن هشام بن عبد الجبار ⁽⁶⁾ .

18 - عن استخلاف محمد بن عبد الرحمن المستكفي ثم خلعه وفراره ووفاته في أقليم ⁽⁷⁾ .

19 - عن أخبار إسماعيل بن القاضي محمد بن عباد وحرّبه مع يحيى بن علي بن حمود صاحب قرمونة في سنة 427 ومقتل إسماعيل المذكور

(1) البيان 158/1 - 159 .

(2) البيان 287/1 .

(3) البيان 305-304/1 .

(4) البيان 307/1 .

(5) البيان 308/1 .

(6) البيان 135 - 134/3 .

(7) البيان 142 - 141/3 .

سنة 111 هـ ، حرباً نشبت بينه وبين باديس بن حبوس صاحب غدامة ، ومن فرار هشام بن الحكم المؤيد عن قرطبة ، وخير خلف الحصري الذي زعم ابن عباد بإشبيلية أنه هشام المؤيد ⁽¹⁾ .

20 عن حبر إدريس بن يحيى آخر خلفاء الحموديين وخروجه إلى سبتة وبقائه بها عند سواجات البرغواطى وما سبق ذلك من أحداث ⁽²⁾ .

21 عن وفاة خلف الحصري المشبه بهشام المؤيد سنة 451 وقطع ابن عباد للدعوة المشامية ⁽³⁾ .

22 عن مصرع الوزير ابن السقاء على يد عبد الملك بن جهور أمير قرطبة وفساد أمور هذه المدينة على عبد الملك ⁽⁴⁾ .

23 عن المعتضد بن عباد ووفاته سنة 460 وبعض أخباره وصفاته ⁽⁵⁾ .

24 عن خروج يوسف بن تاشفين في سنة 464 إلى بلاد المغرب وعودته إلى واطط وملوية وناحية جراوة وإخضاعه لقبائلها وغير ذلك من أخبار هذه السنة ⁽⁶⁾ .

25 - عن إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي بأمر علي بن يوسف بن تاشفين وما قاله الامام الغزالي في ذلك داعياً الله أن يديل دولته بآبن تومرت ⁽⁷⁾ .

(1) البيان 199/3 - 200 .

(2) البيان 217/3 .

(3) البيان 249/3 .

(4) البيان 251/3 .

(5) البيان 284/3 .

(6) البيان (القسم المرابطي الذي نشره أويثي في مقاله « قطعة مخطوطة من البيان المغرب عن المرابطين » ،

مجلة إسبريس - تمودة ، الرباط سنة 1961) ص 57 (= ص ٢٢ من طبعة بيروت سنة 1967) .

(7) نفس المرجع ص 76 (= ص 59 من طبعة بيروت) .

26 عن مكوث المهدي في جبل إيجيليز ثلاثه أعوام من سنة 515 إلى سنة 518 ، وعن التمييز الذي قام به أبو محمد البشير النوشريشي في صفوف الموحدين سنة 519 ، ثم ثورة الفقيه الافريقي علي ابن تومرت بسبب قتله هزيمة تينملل (1) .

27 - عن هزيمة البحيرة الواقعة على الموحدين بعد حصارهم مراکش سنة 524 ، (وإن كان النص يذكر ذلك في معرض أحداث سنة 521) (2) .

28 عن انتصار الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي على عسكر للمرابطين بكريك ، ثم حصارهم لاغمات في سنة 524 ، وعن موت المهدي محمد بن تومرت في هذه السنة (3) .

29 - عن فتح عبد المؤمن لتادراوت وبلاد السوس ودخوله تيونوين سنة 529 (4) .

ب - في كتاب « الحلل الموشية » :

30 عن نسب محمد بن تومرت الذي ينتهي كما ذكر ابن القطان إلى الحسن بن علي بن أبي طالب (5) .

31 عن رحلة محمد بن تومرت من وطنه هرغة بالسوس الأقصى في طلب العلم إلى الاندلس ثم إلى المشرق ولقائه للطرطوشي والغزالي ، ثم عن كتاب الاحياء وإحراقه بقرطبة برأي القاضي ابن حمدين (6) .

(1) نفس المرجع ص 82 - 83 (= ص 68 - 69) .

(2) نفس المرجع ص 88 (= 75) .

(3) البيان (القسم المرباطي) ص 94 (= 83 - 84) .

(4) نفس المرجع ص 101 (= 94) .

(5) الحلل الموشية ص 103 (والترجمة الاسبانية ص 121) .

(6) الحلل ص 104 - 105 (والترجمة الاسبانية ص 124 - 126) .

ج في « أعمال الاعلام » لابن الخطيب الغرناطي :

- 12 من هشام المؤيد، وفراره من الفتنة إلى قرية من قرى إشبيلية وتصيب ابن عباد لرجل شبيه به على عرش الخلافة لكي يحكم القاضي ابن عباد باسمه باعتباره حاجباً له ⁽¹⁾ .

د في كتاب « الانساب » لابي حيان :

- 11 عن المصامدة وتقسيمهم إلى فريقين ؛ أهل درن وهم متبعون للامام (يعني ابن تومرت المهدي) وأهل الوطا وهم مخالفون له ⁽²⁾ .

هـ في كتاب « المعيار المغرب » للونشريسي :

- 14 عن علاقة ابن تومرت المهدي بالغزالي وإحراق كتاب الإحياء ⁽³⁾ .

» » »

وهذه النقول عن ابن القطان تدلنا على قيمة كتابه وعلى أن المتأخرين اعتبروه من أمهات المراجع التاريخية حول المغرب والاندلس . ولو أننا استعرضنا هذه المقتطفات لتبين لنا أن « نظم الجمان » ينبغي أن يكون تاريخاً مفصلاً شاملاً للمغرب بمعناه الواسع أي من الحدود الغربية لمصر حتى الاندلس ، ويبدو أنه كان يبدأ بفصول طويلة عن جغرافية المغرب ووصف مدنه ، ثم ينتقل إلى تاريخه منذ الفتح العربي حتى أيام المؤلف . وهو إلى جانب ذلك لا يغفل كتابه من الاهتمام بأخبار المشرق ولا سيما مصر وأخبار الخلفاء الفاطميين بها .

النص المنشور وقيمه :

أما القطعة الوحيدة الباقية من هذا الكتاب الجليل والتي نقدمها إلى القراء

(1) ابن الخطيب : أعمال الاعلام (نشر ليفي بروفنسال ، بيروت 1956) ص 154 - 155 .

(2) مخطوطة الرباط التي أشرنا إليها من قبل ، ص 25 .

(3) المعيار المغرب ، بيروت 1981 الجزء الثاني عشر ص 185 - 186 .

بهذه السطور فهي ليست إلا جزءاً بالغ الصغر من تلك الموسوعة الضخمة في تاريخ المغرب والاندلس ، إذ أنها لا تتناول إلا أخبار ثلاث وثلاثين سنة (من 500 هـ . إلى 533 هـ .) بل إن تاريخ هذه السنوات ليس كاملاً متساقاً ، فحن نرى فيه فجوات وخروماً كثيرة يعلم الله مدى ما ذهب فيها من أوراق ، ولنا بعد ذلك أن نتصور حجم الكتاب كله ومدى ما يشتمل عليه من تفاصيل وفوائد إذا قدرنا أن النص الكامل له يعرض لنا جغرافية المغرب وتاريخه العام على طول ستة قرون .

ويبدو لنا أن ابن القطان قسم كتاب (نظم الجمان) إلى سبعة أجزاء : الأول يضم المقدمة الجغرافية الضافية ثم الفتح العربي للمغرب وأخباره في بقية القرن الأول الهجري أي حتى سنة 100 هـ . ؛ والثاني في أخبار القرن الثاني الهجري ؛ والثالث في أخبار القرن الثالث ، وهكذا ... حتى الجزء السابع والآخر ويتضمن أخبار القرن السابع حتى عصر المؤلف أي إلى أواخر أيام الدولة الموحدية . وإنما يرجح هذا الظن عندنا أن القطعة التي نقدمها هنا تحمل عنوان « الجزء السادس من الكتاب في ذكر ما انتهى إلينا من أخبار القرن السادس وهو المائة السادسة من الهجرة الكريمة مما يتشوف إليه » .

على أنه إلى جانب هذا قد قسم الكتاب كذلك إلى أسفار لا نعرف على أي أساس قام بتجزئته إليها ، وذلك لاننا نرى أن هذه القطعة التي بقيت لنا من الكتاب كله تبدأ بقوله : « السفر الثالث عشر من كتاب نظم الجمان » ، ونحن نرى تأكيداً لذلك في أحد نصوص « البيان المغرب » التي ينقل فيها عن مؤلفنا إذ يقول : « فذكر ابن القطان في السفر الثالث عشر من كتاب نظم الجمان ... » ثم يورد خبر رحلة محمد بن تومرت إلى الاندلس في سنة 500 وعودته إلى بلاده في سنة 514 ⁽¹⁾ ، وهذا يتفق فعلاً مع أول ما استهل ابن القطان به أخبار القرن السادس الهجري كما يرى من النص الذي اضطلعنا بنشره .

(1) البيان (القسم الماربطي) ص 76 من مقال أ. ب. الماريا (أ. ب. م.) ص 99 من طبعة بيروت .

وقد انتفع ابن القطان بدوره من كتب من سبقوه من مؤرخي الدولة الموحدية واطلع على كتبهم ، ونص هو على استخدامه لهذه المصادر : « فضائل المهدي » لابي القاسم المؤمن المصري ، وكتاب لابن الراعي لم يورد عنوانه ، وكتاب « المغرب » في أخبار محاسن أهل المغرب « لليسع بن عيسى بن حزم بن اليسع المافقي ، و « المقباس في أخبار المغرب والاندلس وفاس » لعبد الملك بن موسى الوراق ، و « النبذ المحتاجة من أخبار صنهاجة » لابي الحسن علي بن حمادو الصنهاجي ، وهذه الكتب معظمها ضاع ولم يبق منها إلا مقتطفات في المراجع المتأخرة ، كذلك استخدم مؤلفنا كتابي « أخبار المهدي » لابي بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق ، و « المن بالامامة » لابن صاحب الصلاة ، وقد وصل إلينا الكتاب الأول بعد أن نشره ليفي بروفنسال وما زال جزء من الثاني مخطوطا في اكسفورد ، وقد نشره الصديق الأستاذ عبد الهادي التازي في بيروت سنة 1964 م سبق أن ذكرنا . وفضلا عن ذلك يبدو أن ابن القطان تمكن - بحكم صلته بالخليفة المرتضى وعمله في ديوان رسائله - من الاطلاع على بعض الوثائق الرسمية للدولة ، إذ نجدته ينقل مثلا رسالة كتبها ابن تومرت المهدي بخط يده إلى القاضي علي بن أبي الحسن الجذامي في سنة 511⁽¹⁾ ، ورسالة أبي عبد الرحمن بن طاهر المرسي « الكافية في براهين الامام المهدي » إلى عبد المؤمن بن علي⁽²⁾ ، ورسالة طويلة عن عبد المؤمن إلى الموحدين من إنشاء أبي جعفر ابن عطية سنة 543⁽³⁾ ، وفقرات من رسالة ليوسف بن عبد المؤمن إلى أهل تونس عام فتحه لقفصة سنة 575⁽⁴⁾ . وكل هذا يدلنا على ان المادة التاريخية التي تهيأت لابن القطان كانت وفيرة غزيرة ربما لم يتهيا مثلها بعد ذلك إلا لابن عذاري المراكشي .

(1) نظم الجمان ص 89 .

(2) نظم الجمان ص 101 - 122 .

(3) نظم الجمان ص 188 - 209 .

(4) نظم الجمان ص 116 - 117 .

والكتاب في جملته مذهبي الطابع يكتبه رجل من رجال الدولة الموحدية متعصب لها أشد التعصب ، فهو يشيد بآلائها ويهاجم خصومها في عنف بالغ ، ويحاول ستر عيوبها وتسويغ أعمالها ، وهو يصل في ذلك إلى حد الملق الرخيص ومجافاة الحقائق في كثير من الأمور ، ولهذا فإن جانباً كبيراً منه يدخل في باب الجدل السياسي والديني : نرى ذلك في مهاجمته للمرابطين بأحد لسان وأشدّ عارضة وفي غمطه لما قدموه للإسلام في المغرب والاندلس من أياد بيضاء ، وفي دفعه لما اتهم المرابطون به محمد بن تومرت المهدي ودعوته ⁽¹⁾ ، وفي الحملة الشعواء التي شنّها عليهم حتى إنه جعلهم « مجسمين » و « كفاراً » و « منافقين » يجب على المسلمين قتالهم وثقافتهم ⁽²⁾ ، وفي الكلام عن فضائل المهدي ⁽³⁾ والتدليل على صحة نسبه العلوي مع أنه يورد في سلسلة نسبه آراء مختلفة متعارضة ⁽⁴⁾ ، وفي الحديث عما زعم أنه « عصمته » ⁽⁵⁾ وعن « كرامات » عبد المؤمن بن علي ، وهو في ذلك يسوق أخباراً وتنبؤات بينة الوضع والاختلاق أو أحاديث نبوية تأولها على صورة ساذجة أبعد ما تكون عن المنطق السليم ⁽⁶⁾ .

وهو لا يكتفي بمهاجمة دولة المرابطين التي انقضت واندثرت قبل أن يؤلف كتابه بأكثر من قرن ، بل إنه لا يدع فرصة لمهاجمة الخلافة الفاطمية في مصر إلا اغتتمها فوصم خلفاءها بالكفر والفسوق ، ثم يقارن بينهم وبين الموحدين ، فيقول : « فانظر إلى هذه المحاولات الشنيعة ، والأمور الفظيعة .. (ثم يذكر بعض ما وقع في مصر من الفتن والقبايح) يبين من ذلك ما كان في الأرض من ظلمات

(1) .طلم المجلدات من 67 - 86 .

(2) .طلم المجلدات من 97 - 100 .

(3) .طلم المجلدات من 80 - 81 .

(4) .طلم المجلدات من 87 - 88 .

(5) .طلم المجلدات من 91 - 94 .

(6) .طلم المجلدات من 181 - 185 .

المطالم ، وإدراك المحارم ، والخروج من مراسم السبه وحدودها ، وتسحب تلك القمبات عن الحق ومصادودها ، وذلك من حين وفاة المهدي رضى الله تعالى عنه إلى حين ظهور أمر الموحدين أعزهم الله تعالى واتساق كلمة الأمر العالي ، المخصوص بالمكارم والمعالي ، فتحقق بذلك صدق البشارة النبوية الكريمة ، بهذه الخلافة المهدية القويمة ، القائمة بأمر الله تعالى وإحياء كلمته . وإعلاء الحق وهداية أمته ... والله سبحانه يعلى مناره ، ويدعم بالخلافة المؤمنية المرتضية ضيائه وأنواره ، إلى يوم الدين » . (1)

ونحن نرى من هذه الفقرة ، وغيرها كثير في الكتاب ، أن هذا المؤلف يبدو كما لو كان في عزلة عما كان يدور في أيامه من أحداث ، فالخلافة « المؤمنية المرتضية » التي دعا الله أن يديمها إلى يوم الدين كانت تلفظ في هذا الوقت آخر انقاسها ، وكانت عاجزة عن حكم رقعة بلادها بعد أن خرج عنها سلطان الاندلس كله بين النصارى الذين استولوا على معظم أقطاره والثوار الاندلسيين الذين بلغ استخفافهم بالدولة إلى أقصى غاية ، أما المغرب فقد كان بنو مرين فيه قد محوا سلطة الموحدين أو كادوا ، هذا فضلا عن الفتن والمذابح التي راح ضحيتها معظم أفراد الأسرة المؤمنية بما فيهم المرتضى نفسه بعد ذلك . ومع هذا فإن ابن القطان كان لا يزال يحدث نفسه بإدامة الخلافة المؤمنية ومد سلطانها على بلاد المشرق فضلا عن المغرب .

والحق أن العالم الإسلامي في هذا العصر كان قد بلغت أحواله من السوء والفساد إلى حيث لا مزيد سواء في ذلك مشرقه ومغرب ، وما ذكره ابن القطان عن « المحاولات الشنيعة والامور الفظيعة » في مصر على عهد الفاطميين حق لا ريب فيه ، ولكن أين كان المؤلف المسكين من أحوال المغرب ؟ وهل كانت « المحاولات والامور » فيه أقل من ذلك « شناعة وفضاعة » ؟ إن الذي يقرأ صفحات « البيان المغرب »

حول ما كان يدور في أيام المؤلف لا يرى فيه إلا صورة دامية رهيبه تقبض النفس وتورث الدوار .. صورة فيها كل ما ذكره ابن القطان من « ظلمات المظالم ، وانتهاك المعارم ، والخروج عن مراسم السنة وحدودها ، وتكب تلك الفئات عن الحق وصدودها » ، ومع هذا فابن القطان الذي لقي أبوه في غمار هذه الفتن من المحنة ما لقي - ولعله هو أيضا ذهب ضحية لها بعد ذلك - لا يرى بأسا في أن يتمدح بتلك البقية الضئيلة الباقية من سلطان الموحدين ويشيد بما زعم أنهم كانوا عليه حينئذ من « إعلاء الحق » و « هداية الأمة » .

وكل ما هناك هو أن هذا المؤلف - شأنه في ذلك كشأن كثير من المؤرخين العرب في المشرق والمغرب في تلك العصور - رجل مأجور مرتزق ... مؤرخ « بلاطي » كما ذكرنا ، يكتب متزلفا متملقا لإرضاء سادته حتى على حساب الحق والتاريخ ، وإلا فهل يتصور أحد أن يتحدث مؤرخ مسلم عن هزيمة أوقعها النصاري بالمرايطين في الاندلس وذهب فيها اثنا عشر ألفا من المسلمين بين قتيل وأسير ، فلا يعلق عليها إلا بقوله : « وكل هذا مما مهد الله تعالى به أمر الموحدين أعزهم الله تعالى » ⁽¹⁾ ؟ وهل يبلغ به بغض الملتزمين إلى مثل هذه السماتة الصريحة والتشفى المسعور في كارثة أصابت المسلمين أولا وأخيرا ؟

وإن قوله لحق : فالمرابطون الذين جاهدوا في سبيل الإسلام وبذلوا في ذلك الكثير من دمائهم وأموالهم حتى ملؤوا في عمر الإسلام ما كان يوشك أن ينقطع لم يلبثوا وهم في غمار هذه المعركة الحامية أن رأوا محمد بن تومرت ناجما عليهم في جبال السوس شاقا عصا المسلمين وصادعا لكلمتهم ... فاضطروا إلى القتال في جبهتين : النصارى من خارج ، والموحدين من داخل ، وكانت هزائمهم في الاندلس مهددة فعلا لأمر الموحدين بالمغرب كما قال ابن القطان ... ولكن على حساب من ؟ وحساب من ؟

* * *

وملأ الرغم من ذلك فإن « نظم الجمان » لعن على أكبر جانب من القدم والحظر ، لا سيما وأنه يعلى لنا الكثير من النواحي التي لم تنزل بعد غامضة . تاريخ المغرب والاندلس خلال الثلث الأول من القرن السادس ، وهي فترة الصراع بين المرابطين والموحدين ، وفيه تفاصيل كثيرة ينفرد بها حتى عن ابن عماري المراكشي الذي يعتبر كتابه « البيان المغرب » أجمع ما وصلنا عن تاريخ المغرب والاندلس . صحيح أنه مؤرخ متحيز حزبي النظرة ، إذ هو لا يريد أن يعترف للمرابطين بأي فضل ، غير أن حقائق التاريخ تخونه فيضطر للتسليم بها في سداجة وبغير وعي . ولنضرب لهذا مثلاً بأننا نجد في « نظم الجمان » أوفى تفصيل وموقف حتى الآن لموقعين كاننا من أجل أعمال المرابطين في الاندلس وهما « أفلبش » (سنة 501) و « إفرغه » (528)⁽¹⁾ إذ أوقفوا في الأولى تيار الغزو الإسلامي المنطلق من مملكة قشتالة ، وفي الثانية التيار الآخر المتحدر من مملكة أرغون .

وفي الكتاب تفصيل مسهب لكثير من أحداث الاندلس والمغرب رتبها على السنين ، فضلاً عن كونه احتفظ لنا بنصوص قيمة أصيلة عن الدعوة الموحدية ، وجملة من الرسائل الرسمية الصادرة عن سلاطين الدولة ، إلى غير ذلك مما لا يتسع المجال لتفصيله .

بل إننا نجد بين دفتي هذا الكتاب ذكراً مطولاً لأشياء عن تاريخ مصر على عهد الفاطميين لا نكاد نجدها حتى في كتب المؤرخين المصريين أنفسهم من أمثال المقرئزي وابن تغري بردي . ولنضرب مثلاً على ذلك نصه الطويل عن مقتل الخليفة الأمر سنة 524⁽²⁾ ، فهو صورة واقعية بالغة الدقة والتفصيل لحادث من أغرب حوادث الاغتيال السياسي في التاريخ الإسلامي .

(1) نظم الجمان ، ص 63 ، 67 ، 243 ، 248 .

(2) نظم الجمان ، ص 231 ، 233 .

أما أخباره عن أحداث بقية بلاد الشرق الإسلامي فهي لا تتجاوز الاسماء والتواريخ ، وهو لا يلتزم فيها الدقة وإن كان يعتذر عن ذلك بأنه لم يصل إليه منها ما يشفى الغلة ، فحضى عليه أمرها ، وهي على أية حال لا تضيف شيئاً كثيراً إلى ما نعرف منها .

المخطوط

القطعة التي وقعت من « نظم الجمان » والتي نشرنا على أساسها هذا الجزء ، هي التي ذكرنا أنها كانت لدى ليفي بروفنسال ثم آلت إلى معهد الدراسات الإسلامية في مدريد في جملة المخطوطات التي اشتراها من تركة المستشرق الفرنسي الراحل . وهي تشتمل على اثنتين وثمانين ورقة . وتبلغ مقاييس الورقة منه 215×295 ملم. وتترا ، ومسطرة الصفحة تتراوح بين 19 و 24 سطراً ، ومتوسط الكلمات في السطر يبلغ نحو « كلمات » .

واللاحظ مغربي على قدر من الجمال وهو بالمداد الاسود ما عدا الضبط والعاوين ، فقد عمل الناسخ على إبرازها بمداد من لونين أحمر وأخضر . والاوراق في حالة جيدة بصفة عامة ، ولو أن بعضها أصابه بلل وتمزق ، فهبت منها الكتابة وساح المداد .

ونذكر فيما يلي نص ما جاء على غلاف المخطوط :

« السفر الثالث عشر من كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان تأليف الشيخ الامام العالم أبي النجوم الباجي رحمه تعالى ورضي عنه » . ثم يلي هذا العنوان سطور أخرى جرى عليها قلم من وقعت إليه المخطوطة حتى يعفى على ما جاء فيها . أما نسبة الكتاب إلى « أبي النجوم الباجي » المذكور فهو خطأ لا أدري من أين أتى به الناسخ ، وسنرى مثله في خاتمة الكتاب .

وعلى حواشي الغلاف تعليقات أخرى نورد نصها فيما يلي :

١ « حاتم بن عبد الله اسم « عبد القادر القادري » مراکش « وهو يبدو
مأخوذاً من متاجر الكتب .

٢ « تملك هذا المجلد محمد عبد الحى الكتاني شراء من مراکش بأربعين
رهالا ، وذلك في سنة 1141 (1924 م) » .

٣ « الحمد لله ، نقل الشيخ الرهوني في حواشي شرح المختصر في ص 164
ج 7 لدى أول باب الشهادات عن ابن القطان في كتابه المسمى نظم
الجمان فيما سلف من أخبار الزمان قصة ورود المهدي بن تومرت على
الغزالي ، وهو في هذا الكتاب قلعله هو هذا » .

٤ « قطعة من نظم الجمان لابن القطان مطبوعة بليدن سنة 1849 ، انظر
فهرس المكتبة الخديوية ص 64 ج 5 » .

٥ « في مكتبة المدرسة ... بالرباط أوراق من هذا المجلد ، وقد بلغني أنها
طبعت الآن في باريس » .

وهذه الملاحظات والتعليقات مما كتبه العالم المغربي الكبير الشيخ عبد الحى
الكتاني الذي تملك الكتاب ثم أعاره أو أهده إلى ليفي بروفنسال .

أما إشارة الشيخ الكتاني الثانية التي يصلح فيها اسم مؤلف الكتاب الذي
نسبه الناسخ إلى « أبي النجوم الباجي » فهي صحيحة ، وقد اعتمد فيها المعلق
على النص الذي يذكره للرهموني في شرح المختصر . والرهموني هو الفقيه المغربي
المشهور أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الرهموني الوزاني المتوفي سنة 1230 هـ .
(1815) ⁽¹⁾ ، وكتابه المشار إليه هو « أوضح المسالك : حاشية على شرح
الزرقاني على مختصر خليل (بن اسحاق) » ، ومنه نسخ مخطوطة عددها

(1) انظر الاستاذ محمد بن تاويت : محاضرات في تاريخ التشريع الإسلامي ، تطوان سنة 1961 ، ص

بروكلمان في الرباط ومكتبة الزيتونة في تونس ،⁽¹⁾ وقد طبع مرارا ، على أي لم أتمكن من مراجعة هذا النص الوارد عن ابن القطان في كتاب الرهوني على ما يذكر الشيخ الكتاني .

وأما ما نقله العالم المغربي عن فهرس المكتبة الخديوية (64/5) في معرض الكلام عن نسخة البيان المغرب التي طبعها رينهارت دوزي في ليدن سنة 1848 - 1849 فإن نقله صحيح ، إذ جاء في الجزء والصفحة المذكورين من فهرس الكتب العربية الموجودة في دار الكتب المصرية أنه « اختلط بالجزء الأول منه (أي من البيان المغرب) قطع انتخابها المصحح من كتاب نظم الجمان لابن القطان » ، وقد نقل هذه العبارة أيضا الأستاذ عبد السلام بن سودة في الفصل الذي أفرده للبيان المغرب⁽²⁾ ، غير أن الخطأ هنا - وعهدته لا تقع على الشيخ الكتاني وإنما على مفهرس دار الكتب المصرية الذي كتب تلك الملاحظة - هو أن مصحح كتاب « البيان المغرب » أو ناشره لم ينتخب قطعا من نظم الجمان ، وإنما هي تلك النقول التي اعتمد ابن عذارى فيها على ابن القطان واقتطفها من تاريخه كما فعل غيره من المؤرخين ، ولم يكن من عمل لدوزي في ذلك إلا نشر الكتاب كما وقع إليه ، ولم ينتخب الرجل من « نظم الجمان » قليلا ولا كثيرا . ونعود إلى مخطوط « نظم الجمان » فنذكر أن آخر أوراقه تنتهي بالعبارة الآتية كتبها ناسخ النص نفسه :

« تم السفر الثالث عشر من كتاب محاسن المجالس (كذا) والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله » .

وان عجبنا لا ينقضى من أمر ناسخ هذا الكتاب ، فهو في أوله ينسبه إلى من يسميه « العالم أبا النجوم الباجي » فإذا فرغ من كتابته إذا به ينسى عنوان « نظم الجمان » الذي أثبتته على غلافه بخط كبير ، ثم يأتي بعنوان آخر للكتاب لا ندري من أين أتى به .

(1) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، الملحق 98/3 ، 874 .

(2) دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، ص 159 .

وهذا في الحقيقة ليس إلا مظهراً من مظاهر جهل هذا الناسخ وقلة معرفته بما يكتب ، وهو يفسر لنا ما ملأ به الكتاب من أخطاء جسيمة وغلط في ضبط الالفاظ وتعريف في أسماء الاعلام ، هذا على الرغم من فخامة الورق وأناقة الكتابة وجمال التجليد وكثرة الالوان ، مما يدل على ان النسخة كانت مما يكتب للامراء أو السراة الوجهاء . وفضلا عن ذلك كله فإن الكتاب وقع فيه اضطراب كثير وخروم متعددة قد تكون راجعة إلى ضياع أوراق من المخطوطة ، لا سيما وأن ترقيم الأوراق متأخر عن وقت نسخ المخطوط ، فهو مكتوب بالقلم الرصاص ، ومعنى هذا أنه ليس هناك في الواقع ترقيم حقيقى يطمأن إليه ، ثم ان السياق حتى في الأوراق المنتظمة لا يستقيم دائما ، بل نجد فيها تقدما وتأخيراً في السنوات التى يسرد المؤلف حوادثها ، وربما دل هذا على أن الناسخ انما وقع إليه أصل مضطرب ناقص ، فنقل عنه دون أن يميز السياق في أوراقه .

» » »

وقد سبق أن ذكرنا أن أول من استفاد من هذه المخطوطة هو ليفى بروفنسال الذي نشر منها ست قطع في مقاله « ست قطع مخطوطة من تاريخ مجهول لظهور الدولة الموحدية » وفيما يلي بيان بتلك القطع التى نشرها ليفى بروفنسال وما يقابلها من هذه الطبعة لنظم الجمان :

القطعة الأولى تقابل ص 78 - 87 من هذا النص

القطعة الثانية تقابل ص 87 - 94 منه

القطعة الثالثة تقابل ص 137 - 139 منه

القطعة الرابعة تقابل ص 134 و 135 و 156 منه

القطعة الخامسة تقابل ص 136 - 137 و 156 و 160 منه

القطعة السادسة تقابل ص 169 - 172 منه

ولم ينتفع بعد ذلك من هذا المخطوط إلا الاستاذ أمبروسيو أويشى ميراندا الذي كان ليفى بروفنسال قد أهدها مصورة فوتوغرافية له ، فاستفاد منه في

تعليقاته على ما قام بترجمته من التواريخ المرابطية والموحدية مثل الحلل الموشية والبيان المغرب والمعجب ، ثم في كتابيه « التاريخ السياسي للدولة الموحدية » (تطوان 1956 - 1957) و « المعارك الكبرى في حرب الاسترداد المسيحي لاسبانيا » (مدريد 1956) إذ انتفع من نص « نظم الجمان » في إجلاء كثير من المسائل الغامضة حول موقعة أقلش ، وأخيراً اقتطف منه بيانات أخرى في الكتاب الذي أصدره بعد ذلك بعنوان « البيان المغرب لابن عذاري ، قطع جديدة حول المرابطين والموحدين » (بلنسية سنة 1963) هذا إلى عدد من الابحاث والمقالات المختلفة حول موضوعات مرابطية وموحدية .

منهجنا في العمل :

وقد قمت أولاً بترتيب الأوراق على حسب الترتيب الزمني للسنين ، واضطرتني ذلك إلى تعديل نظام الأوراق ، ولكن ذلك لم يمس إلا الورقات الأولى التي يبدو فيها الاضطراب واضحاً مما قد يقع القاريء في عناء كبير إذا حاول تتبع الحوادث ، ويستقيم السياق بعد ذلك إلى حد ما باستثناء ما يعترض النسخة المعطوطة من فجوات وخروم .

أما النص فقد عنيت بإخراجه سليماً صحيحاً بقدر ما وسعت معرفتي ، لا سيما وأن الأخطاء فيه كثيرة ، وهي أخطاء من كل نوع : املائية ونحوية ولغوية ، وتعريف لاسماء الاعلام والمواضع إلى غير ذلك مما أعترف بأنه قد جشمتني كثيراً من المشقة في تصويبه وإصلاحه .

وقد دعاني ذلك إلى تتبع ألفاظ النص كلها ومراجعتها على ما يمكن ان يعين على تقويمها من المصادر الأخرى ، ولم يرد في الكتاب اسم علم إلا وعملت على الترجمة له ، ولا ذكر حدث من الأحداث إلا وقابلته على المظان التي يمكن ان يشار فيها إليه ، واجتهدت في ذلك بقدر ما استطعت .

وأرجو أخيراً أن أكون بهذا العمل المتواضع قد ساهمت بنصيب في خدمة التاريخ المغربي والاندلسي ، وبالله الاستعانة ومنه التوفيق .

الورقة الاولى في الاصل الخطوط (٤٥)

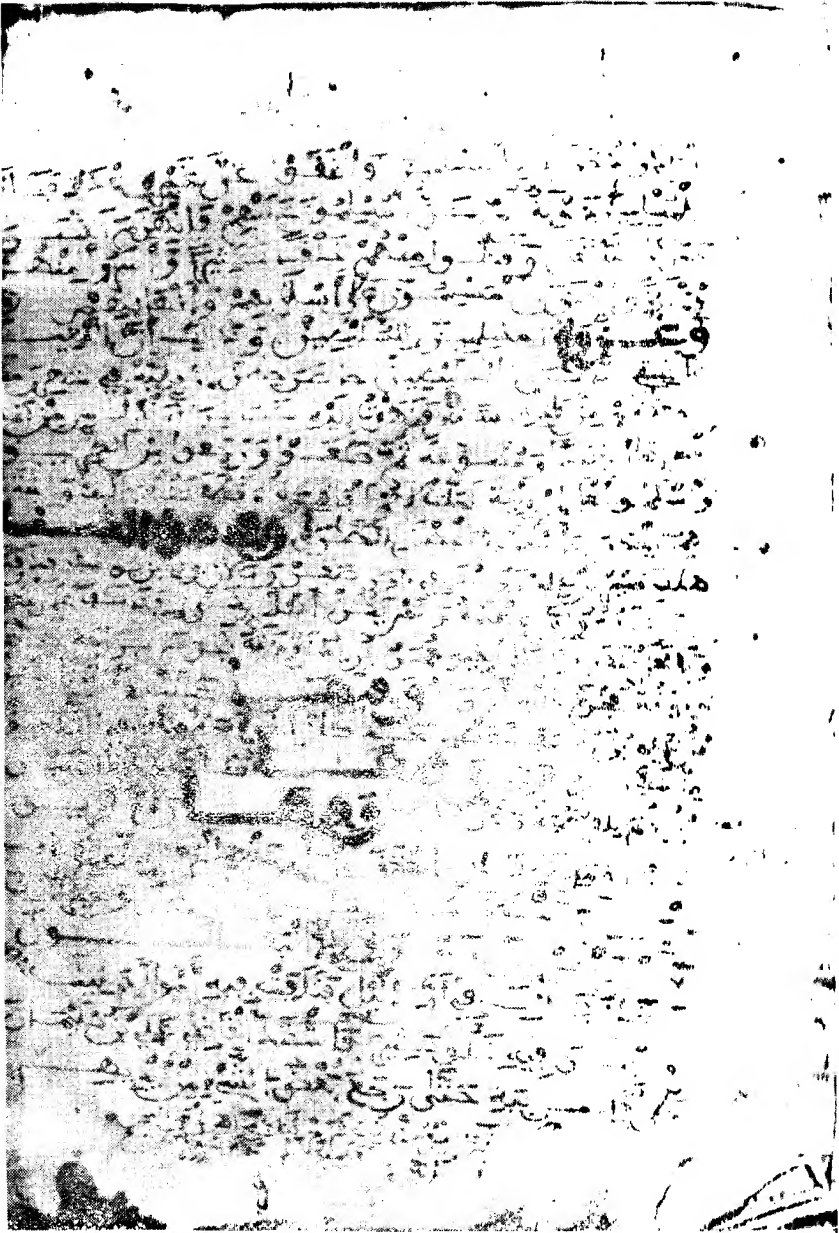
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

مكتوب في كتاب

تاريخ طرابلس

من تاريخ طرابلس

من تاريخ طرابلس



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا محمد وآله

الجزء السادس من الكتاب
في ذكر ما انتهى إلينا من أخبار
القرن السادس
وهو المائة السادسة من الهجرة الكريمة
مما يتشوف إليه

مقدمة لذلك :

أخبار بني العباس في المشرق
والمتغلبين عليهم بالشام والعراق ومصر والحرمين

لم ينته منها إلى المغرب الاقصى شيء يدون ولا أهم الناس من أمر رواية الآثار ما كان يهتم الأولين حتى يأخذوها من صدور الرجال وألسنة الرواة ويودعوها بطون المهاريق ، فخفى أمرها إلا ما سنورده إن شاء الله تعالى من أسمائهم ومدد بعضهم ، فقد انتهى إلينا بعد شدة البحث والتفتيش ، فنحن نكتبه إن شاء الله تعالى ، وإلا يسيرا من اخبار مصر وإفريقية سنورده حيث يجب ان شاء الله تعالى .

باب

أخبار * السنة الأولى من المائة السادسة

رحلة المهدي ابن تومرت إلى المشرق :

من ذلك رحلة الإمام المعصوم المهدي المعلوم - رضي الله تعالى عنه - في طلب العلم إلى المشرق والاندلس (1) .

قال الشيخ أبو يحيى زكريا بن يحيى بن وسنار (2) من أهل

(1) يتفق سائر مؤرخي الدولة الموحدية على أن رحلة محمد بن تومرت المهدي كانت في رأس المائة السادسة ، ولو أن بعضهم يجعلها في سنة 500 وبعضهم يقول إنها كانت في شهور سنة 501 (انظر ابن عذاري : البيان المغرب 303/1 : والحلل الموشية ص 103 ؛ وعبد الواحد المراكشي : المعجب ص 245 ؛ وابن خلدون : العبر 226/6 ؛ والسلوي : الاستقصا 76/2) .

(2) في الاصل : يحيى بن سنان والصواب ما أثبتنا ، والمعنى بقوله « من أهل الخمسين » هو يحيى ابن وسنار والد أبي يحيى زكريا المذكور وسيتحدث عنه ابن القطان فيما بعد ، كذلك أشار إليه صاحب كتاب « الأنساب في معرفة الاصحاب » (كتاب أخبار المهدي ابن تومرت ص 35) وقال إنه كان من صنهاجة ، وربما كان يحيى هذا ابناً لأبي محمد وسنار أو واسنار الذي فصل الكلام عنه عبد الواحد المراكشي (المعجب ص 422) فقال ان البعض كانوا يعدونه من أهل الجماعة وأنه كان رجلاً =

الحسين⁽¹⁾ أعزهم الله تعالى إن الامام المهدي رضي الله تعالى عنه جاز البحر إلى الاندلس طالباً للعلم ، ووصل قرطبة . ثم مشى من قرطبة إلى المرية ، فدخل منها في مركب إلى المشرق ، وغاب في رحلته في طلب العلم خمسة عشر عاماً .

فابتداء رحلته - رضي الله تعالى عنه - المذكورة على هذا كانت في السنة الأولى من المائة السادسة أو ⁽²⁾ في التي قبلها ، لأن وصول * الامام المهدي - رضي الله تعالى عنه - من رحلته إلى بلاده - رضي الله تعالى عنه - كان سنة أربع عشرة ⁽³⁾ كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وقد ذكر أبو القاسم المؤمن ⁽⁴⁾ في كتابه في فضائل المهدي ، رضي الله تعالى عنه :

كان عام واحد وخمسمائة ، عاهده فيها أهل التحقيق من العارفين به - رضي الله تعالى عنه - وبإيعوه بيعه سر ، وإن هذا عن حديث أثر فيه ووعد نبوي كريم به ، والله تعالى أعلم .

- دباغاً أسود من أهل مدينة أغمات صاحب ابن تومرت حين مر بها فاخصه بخدمته لما رأى من شدته في دينه وكتانه لما يرى ويسمع ، فكان يتولى وضوءه وسواكه والأذن عليه للناس وصحابته والخروج بين يديه فلما مات ابن تومرت صار يخدم ضريحه وضريح عبد المؤمن حين دفن هناك وتوفي في صدر دولة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن . وفي « مجموع الرسائل الموحدية » الذي نشره ليفي بفسال رسالة موجهة من عبد المؤمن بن علي إلى الشيخ أبي محمد وسنار هذا (انظر ص 26 - 34) .

(1) « أهل الحسين » إحدى طبقات الموحدين على ما سيأتي تفصيله .

(2) في الاصل : وفي .

(3) في الاصل : عشر .

(4) لسنا نعرف شيئاً عن « أبي القاسم المؤمن » المذكور مؤلف كتاب « فضائل المهدي » إلا ما ذكره صاحب كتاب « الأنساب في معرفة الأصحاب » (كتاب أخبار المهدي بن تومرت ص 30 - 31) حيث ينقل المؤلف عن أبي القاسم المؤمن هذا نصاً يورد فيه أسماء أصحاب المهدي بن تومرت في بلاد مصر ، وبضيف المؤلف إلى اسمه لقب « المصري » مما يحدد لنا بلد ذلك الكاتب ، على أن ليفي بروفنسال في ملابحه على الترجمة الفرنسية للكتاب (ص 46 - 47) شك في صحة الاسماء التي ذكرها أبو القاسم المؤمن ورجح أنها مختلفة .

أخبار الأندلس وقعة أقلش

وهذا المهزلة في سبيل الله تعالى الذي نالت فيه وقعة أقلش ⁽¹⁾ بالأندلس والمصاحف .

وهي من غر الوفاة وجليها ، وشرح شأنها أن ابن أبي رنقى ⁽²⁾ صاحب قرطبة في ذلك التاريخ وجماعة الرؤساء « بالأندلس خاطب بعضهم بعضا في إياهم البهوس إلى أقلش ، وكان ألبار هانش ⁽³⁾ ⁽⁴⁾ للنصارى بجهة يرتقال ، وقتله لهم وحمله في بلاد الشرك بتلك الجهة ⁽⁵⁾ »

(1) من حصن أقلش أو أقلج Ucles الذي دارت لديه هذه المعركة بين المرابطين والنصارى وهي الموقعة التي انتهت بانتصار المرابطين على جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة ومصرع ابنه الأمير شاذي . انظر كتاب الأستاذ أمبروسيو أويثي ميراندا عن « المعارك الكبرى في حرب الاسترداد المسيحية » ص 103 - 134 حيث يدرس موقعة أقلش ببحث مفصل ، وقد ترجم ذلك البحث إلى العربية ونشر تحت عنوان « وقعة أقلش ومصرع الأمير شاذي » في مجلة تطوان سنة 1957 ، العدد الثاني ص 115 - 130 . وقد اعتمد أويثي في ذلك المقال على ثلاثة نصوص عربية جديدة أولها نص ابن القطان هنا : وثانيها الرسالة التي وجهها تميم بن يوسف بن اشفين إلى أخيه أمير المسلمين عن هذا الفتح ، وقد نشر نص هذه الرسالة من قبل الدكتور حسين مؤنس في « الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين مع أربع وثائق جديدة » (مجلة كلية الآداب بالقاهرة المجلد الحادي عشر الجزء الثاني ديسمبر سنة 1949 ص 91 - 143) والثالث نص مخطوط من كتاب « البيان المغرب » (مخطوط تاجمروت) وهو القسم المرابطي من البيان الذي نشر بعد ذلك في بيروت سنة 1967 . انظر ص 49 - 50 وانظر كذلك كتاب بوسك بيلا عن « المرابطين » ص 180 وما بعدها وما أورده من مراجع .

(2) ورد هذا الاسم في مفاخر البربر ص 81 : « ابن أبي رنقى » وكان على ما يذكر المؤلف رابع عامل للمرابطين على قرطبة (انظر مقال أويثي ميراندا « علي بن يوسف وأعماله بالأندلس » مجلة تامودا تطوان سنة 1959 ص 110) .

(3) هو القائد القشتالي المسيحي Alvar Fáñez ابن أخي السيد القتيطور ، وكان من كبار قواد ألفونسو السادس . انظر ابن أبي زرع : روض القرطاس ط. دار المصور ، الرباط 1973 ، ص 159 - 160 وراجع ما كتبه عنه العلامة الأسباني منتدث بيدال : إسبانيا في عصر السيد (الفهرس العام) .

(4) بياض في الأصل .

(5) ينهى ابن القطان هنا الحديث عن موقعة أقلش ليتحدث عن بقية أخبار سنة 501 ، إلا أننا لا نلث أن نراه يعود إلى الكلام بتفصيل أكثر عن أقلش في أول الورقة السابعة مما حملنا على إلحاق ذلك بهذا الموضع حرصا على التسلسل التاريخي .

١١١١ « ... عساكر المسلمين إلى أقليمش ، فافتحموها عليهم ، ولجأ من كان أسفلها من النصارى إلى القصبه العليا ، ونزلت جميع العساكر عليها وأحاطوا بها ، فأرسل أذفونش ابنه ^(١) بنحو عشرة آلاف فارس لاغاثة أقليمش ومدافعة المسلمين ، فأتوا والتقوا مع المسلمين ، وتضافت عند ذلك العساكر ، وكان مع ابن أذفونش ألبار هانش وغرسيا ردونس ^(٢) ، وهو المدعو بالقم المعوج وغيرهما من صناديد الكفرة ، فتوقفوا .

وذكروا أن النصارى سألوا عن عسكر قرطبة ، فأخبروا به . فهجموا على عسكر قرطبة ، وحملوا عليهم حملة ^(٣) منكرة ، فانهمز عسكر قرطبة ،

(١) يعنى شانجه Sancho الذي كان يبلغ في ذلك الوقت نحو خمس عشرة سنة . ويذكر ابن أبي زرع أن ألفونسو السادس حينما علم أن تميم بن يوسف بن تاشفين أخا أمير المسلمين علي بن يوسف هو قائد الجيوش المسلمة « أشارت عليه زوجته أن يوجه ولده عوضا عنه فيكون مواجهها لتميم ، لأن تميم ابن ملك المسلمين وسانجه ابن ملك الروم ، فسمع منها » (روض القرطاس ١٦٠) .

(٢) هما القائدان القومس (الكونت) Alvar Fañez والكونت Garcia Ordoñez وكان يرافقهما عدد آخر من كبار قوامس قشتالة مما جعل معركة أقليمش تعرف في كتب التاريخ المسيحية باسم « معركة القوامس السبعة » (انظر منندث بيدال : إسبانيا في عصر السيد ٧٦٠/٢ - ٧٦٤ : ومقال أويشي عن « وقعة أقليمش » ، وبوسك بيلا : المرابطون ص ١٨٢) . وقد وردت الإشارة إلى ألبار هانش كذلك في الرسالة التي كتبها ابن شرف عن أحد رؤساء الغرب إلى أمير المسلمين بمناسبة هذا الفتح ، وهي الرسالة التي نشرها الدكتور حسين مؤنس في مقاله « الثغر الأعلى الأندلسي ... » (ص ١٢٧ والحاشية رقم ٢ حيث يوجد تعريف كاف بشخصية هذا القائد ، ويؤخذ منه أنه كان ابن أخ للمغامر القشتالي « السيد القنييطور » الذي استولى على بلنسية ، وولى ألبار هانش القيادة لآلفونسو السادس فاتح طليطلة ثم أقامه هذا حاكما للمدينة فقام بالدفاع عنها حين حاصرها المرابطون بعد انتصارهم في أقليمش ، وكانت وفاته في سنة ١١١٤ م . (٥٠٧ هـ) على يد أهل شقوية Segovia في المعارك الدائرة بين ألفونسو المحارب صاحب أرغون Aragon وأراكة Urraca صاحبة ليون وقشتالة . أما غرسيا أو ردونس (غرسيا ردونس) فقد ورد ذكره أيضا في رسالة ابن شرف التي أشرنا إليها (انظر مقال « الثغر الأندلسي ... » ص ١٣٠ والحاشية رقم ٢ حيث ذكر ناشر الرسالة الدكتور حسين مؤنس أنه كان قائدا قشتاليا من فرسان شانجه (الثاني) ملك ليون ثم أصبح من أتباع ألفنش (السادس) ملك قشتالة ، وكان من المدافعين عن حصن لبيط Aledo حينما قام المرابطون بحصاره ، ولقى مصرعه في وقعة أقليمش هذه .

(٣) في الأصل : جملة .

« شئت الهزيمة عليهم اميالا »⁽¹⁾ .

ثم إن ابن عائشة⁽²⁾ وابن فاطمة⁽³⁾ ، وهما صاحبا⁽⁴⁾ مرسية وبلنسية هاجما محلة النصارى ، فانتهاها وقتلا من وجدا فيها ، ثم ركبا أقفاء النصارى بالقتل وهم يتبعون المسلمين ، ثم التأم بهم تميم « بن يوسف »⁽⁵⁾ صاحب غرناطة

(1) ما يذكره ابن القطان هنا من هزيمة عسكر قرطبة أولا ثابت يؤكد ذلك ابن شرف ل... الله التي أشرنا إليها ، وهذا العسكر كان يقوده والى قرطبة ابن أبى رنغى كما يقول ابن القطان (ويسميه ابن شرف : أبى عبد الله محمد بن أبى رنغى) وكان هذا العسكر أول من تلقى صدمة الجيوش المسيحية (انظر الدكتور حسين مؤنس : الثغر الأعلى ص 129) .

(2) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين أخو أمير المسلمين على ، ويعرف بابن عائشة ، كان من أعظم قواد المرابطين ، واضطلع بإقرار أحوال شرق الأندلس بعد أن عاث السيد القبيطور فيها فسادا ، وولى عمل مرسية منذ أواخر القرن الخامس والسنوات الأولى من القرن السادس ، ويشير ابن القطان هنا إلى اشتراكه في موقعة أقليش سنة 501 ، وفي سنة 504 يسرع من مرسية لإنجدة محمد بن الحاج عامل سرقسطة حينما ألم عليها ألفونسو المخابر ملك أرغون بالحصار ، ويضطره للانسحاب ، وفي سنة 508 يشترك مع ابن الحاج في غزو برشلونة وهى تلك الحملة التى انتهت بهزيمة البورت ، وخلص منها ابن عائشة إلا أن بصره اعتل بعدها ثم لم يلبث أن عمى ، فاستدعاه أخوه أمير المسلمين إليه ، وعين بدلا منه على مرسية أخاه إبراهيم بن يوسف (انظر مقال فرانسيسكو كوديرا عن « أسرة بنى تاشفين » فى كتاب « دراسات نقدية عن تاريخ الأندلس » ، المجلد السابع ص 105 - 109 ، وأويشى : على بن يوسف ... ص 87 - 94 ، 114) .

(3) أبو محمد عبد الله بن فاطمة من أعظم قواد المرابطين وأشهر رجالاتهم فى الأندلس ، اشترك فى الحملة التى استنفذ المرابطون فيها بلنسية بعد وفاة السيد القبيطور إذ أنه قاد جيشا أمد به القائد مزدلي بن سلبكان فى سنة 495 ، وفى سنة 497 اشترك مع ابن الحاج فى غزو طليطلة وطلبيرة ، ثم ولى بلنسية وشرق الأندلس بعد ذلك واستولى فى نفس السنة على مملكة بنى رزين الصغيرة وفى سنة 501 اشترك فى فتح أقليش كما نرى من النص هنا ، وفى سنة 503 عزل عن بلنسية وولى على غرناطة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى فاس بالمغرب عاملا عليها فى سنة 504 ، وفى سنة 509 عاد إلى الأندلس عاملا على إشبيلية فحكمها حتى توفي فى رمضان سنة 511 (انظر مقالنا « وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين » صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بحدريد سنة 1959 - 1960 ص 152 - 155) .

(4) فى الاصل : صاحب .

(5) تميم بن يوسف بن تاشفين أخو الأمير على بن يوسف ، وقد ولى حكم غرناطة بين سنتي 500

و 503 ثم نقل إلى حكم تلمسان بالمغرب ، وعاد بعد ذلك إلى الأندلس فتولى غرناطة مرة أخرى فهما =

بمسكره ، وكرت ⁽¹⁾ المنهزمة ، ورجعوا على المشركين . والجمعت الحرب بينهم ، فانهمز المشركون وقتلوا قتلا ذريعا ، واتبعهم المسلمون إلى قرب حصن بلشون ⁽²⁾ فيذكر أن ابن أذفونش أفلت في ثمانية من النصارى ورجع إلى حصن بلشون ، وكان فيه لهم رعية من المسلمين ، فاقتبأوا عندهم رجاء أن يسلموا من القتل ، فقتلوههم وقتل منهم ولد أذفونش .

ثم إن المسلمين رجعوا إلى قصبة أقليمش ⁽³⁾ وقتالها ، وتصعب عليهم أمرها فأقلعت العساكر عنها وكمنت على بعد . فخرج من فيها هارين . فقبض عليهم ، فقتل من قتل ، وأسر الباقون ، ودخلت أقليمش وحصلت بأيدي المسلمين . واستشهد في هذه الواقعة الامام الجزولي ⁽⁴⁾ ، وكان رجل صدق ، وجماعة من الاعميان والعربان ⁽⁵⁾ رحمهم الله تعالى ، ليقرأوا بعض الحق في قلوب الناس .

- بين سنتي 515 و 516 . وبعدها نقل إلى إشبيلية فحكمها سنة وبضعة شهور ، ثم أصبح عاملا لمقرطبة وقرطبة في سنة 519 في الوقت الذي قام فيه ألفونسو الأول بحملته ضد الأندلس ، ويبدو أن أماء عليا عزلوه عن قرطبة لقلته بلائه في هذه الحملة ، وفي تاريخ وفاته خلاف ، والأرجح أنه توفي سنة 520 (انظر مقال أويشي : علي بن يوسف ص 100 - 112) .

(1) في الأصل : وكرة .

(2) في الأصل : يلسون ، والصواب ما أثبتنا ، وهو بالاسبانية Belinchon .

(3) في الأصل : أقليمش .

(4) لم نهد إلى شخصية الجزولي هذا ، وربما كان أحد أسلاف العالم المغربي الكبير أبي موسى عيسى ابن عبد العزيز بن يلبخت نسبة إلى جزولة إحدى قبائل البربر وكانت تقطن في جنوب المغرب الأقصى وهو في أبو موسى الجزولي فيما بين بين سنتي 606 و 610 (انظر دائرة المعارف الإسلامية 1/1061 - 1062 والمراجع المذكورة) .

(5) يبدو أن طائفة من عرب إفريقيا جازوا إلى الأندلس في أيام المرابطين برسم الجهاد كما نبه على ذلك الدكتور حسين مؤنس « الثغر الأعلى الأندلسي ... ص 129 حاشية 2 » وذلك في معرض التعليق على ما ورد في رسالة ابن شرف حول فتح أقليمش عن بلاء بعض الفرسان « العرب » في تلك الموقعة ، ومشارك هؤلاء العرب في الجهاد بالأندلس بشكل أوضح على أيام الموحدين .

وأما (1) : « يا أيها الأبواب لتكونوا تكفروا » (2) لهم من سماعة ، فضلاً عما هذا ذلك (3) .

أما أحد المراءطين على الموحدين |

فمن ذلك أنهم قالوا : « هذا رجل يكفر الناس بالذنوب ، ويمنع من الصلاة ، بل أهل القبلة ، ويقول إنه من تاب لا يلزمه قضاء الصلاة والصيام وغير ذلك من العبادات ، ويرد المطلقة ثلاثاً إلى زوجها ، واطرح مذاهب العلماء وشيوخهم ، وخرج من الإجماع ، وكفر المسلمين ، واستحل الحرام الجمع على تحريمه ، واستحل أموال المسلمين ، واستحل أموالهم ، واستحل حريمهم ، وجعل أموال المؤمنين غنمة تخمس لها خمس أموال النصارى ، وقام على الأمراء ونزع يده من طاعتهم ، وقد أجمع المسلمون على تحريم القيام عليهم ووجوب طاعتهم .

وهذه الأبواب نسبونا فيها (4) إلى الكفر والضلال (5) والخروج من الدين ، و... وأهل التوحيد خوارج وجعلوهم مبتدعين ، ونسبوهم إلى الخروج من الدين !

وهذه ! فما بعد الحق إلا الضلال (6) ، فليس للانسان ما تمنى ، ولا يبلغ بغيته بهواه ، ولا يفوت قوله بدعواه ، فجميع ما قالوه تحريف وتشنيع ، بل هو بالصد مما قالوه ، وباختلاف ما اختلقوه . فمعاذ الله أن نكفر (7) مسلماً

(1) في الأصل : ودلة .

(2) في الأصل : تقرأ .

(3) ساء هذه الحملة غير واضحة المعنى ، ولعله يعنى أن المراءطين أدلوا على جمهور المسلمين بهذه الموقعة وأمنائها مما انتصروا فيه حتى يصرفوهم عن دعوة محمد بن تومرت المهدي ويفروهم عن الاستماع إليه . وبديل على ذلك أن الفقرات التالية تتضمن إيراداً للتهمة التي كان المراءيطون يرمون بها الدعوة الموحدية ونفسياً لتلك الاتهامات .

(4) زيادة يقتضيه السياق .

(5) في الأصل : والظلال .

(6) في الأصل : الظلال .

(7) في الأصل : يكفر .

كما قالوه ، أو تمنع من الصلاة على أهل القبلة ، أو ... من المأمور أو العبادات بالتوبة ، أو نطرح أئمة الدين وعلماء « الأمة » ، أو نرد المطلقة ثلاثا إلى زوجها من غير حق وزوج ، أو نخرج عن اجماع المسلمين ، أو نخالف أئمة المسلمين وأمرأهم . فهذه جملة ما نسبوا إلينا ، ولم نقل منه حرفا واحدا ، لكن حرفوا ما قلنا . ودلسوا به على الناس حتى أضلوا بتدليسهم كثيرا ، وقطعوه عن ربهم ، وفتنوه في دينهم ، والذي قالوه ما يقوله أحد من المسلمين لا من العوام ولا من الخواص ، ولا تنسب الأبواب التي عدوها إلى مؤمن بالله واليوم الآخر ، ولكن الدنيا حملتهم على الافتراء على الله عز وجل ورسوله ﷺ .

والذي قلته معلوم محفوظ عند كثير من الناس أعلننا به في المحافل والجمعوع ، لا يمكن لأحد أن يبدله أو يزيد فيه إلا علم ذلك لتغريبه وانتشاره : فمن ذلك ان قلنا لهم أجمعت الأمة على ان الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على المخلوقين من التحيز والاتصال والانفصال في الصورة والجوارح والجهات والحدود والهبة وغير ذلك من آلات الحدث (1) ...

[بقية أخبار سنة 501]

« وعزل (2) تاشفين بن سليمان (3) عن قرطبة . وولاية محمد بن سليمان (4) إياها .

(1) ينقطع النص هنا ، وقد سقطت من هذا الموضع ورقة أو أكثر .

(2) بقية أخبار هذه السنة في الورقة (3 أ) ، والأصل كثير الاضطراب في ترتيب السنين مما حملنا على تعديل نظامه واتباع التسلسل التاريخي على قدر ما استطعنا .

(3) كان عامل قرطبة في سنة 501 التي وقعت فيها غزوة أفليش هو « ابن أبي رنقى » على ما ذكر ابن العطار نفسه في حديثه السابق عن تلك الغزوة - وهو الذي يسميه ابن عذاري « ابن أبي رنق » و يسميه ابن أبي زرع في روض القرطاس « محمد بن أبي زلفى » (ص 158) ، ولم يسبق أن ذكر ابن العطار أن هذا العامل عزل عن قرطبة وأن واليا بعده هو تاشفين بن سليمان المذكور هنا . على أن ولاية تاشفين هذا لقرطبة يؤكدناها لنا كذلك صاحب كتاب « مفاخر البربر » (ص 81) وهو يزيدنا على اسمه كنيته : « أبا محمد » و يسميه القائد جاعلا إياه بعد أبي محمد مزدلى بن سلنكان .

(4) لعله هو الذي جاء في قائمة ولاية قرطبة في « مفاخر البربر » (ص 81) باسم « القائد أبي عبد الله بن نونان » .

والعراسي في هاه السنة المستظهر^(١) بالله تعالى كما كان .
وأمر إفريقياه علي بن يحيى بن تميم^(٢) .

باب أخبار سنة ثلاث وخمسمائة :

١ غزوة طليبة

• ففتحها الجهاد ، وذلك في غزوة طليبة وفتحها^(٣) ، وذلك بأن تحرك علي بن يوسف غازها في حفل عظيم من الجند والمثلثين وجماعة المطوعين نحو طليبة ، فوصلوا إليها ضحوة يوم الخميس الثالث عشر من المحرم من السنة المذكورة ، فهاجوا ذلك اليوم ، واحترس^(٤) الناس المدينة ليلة الجمعة ، ثم أصبحوا فقاتلوها أشد قتال ، واجتهد^(٥) الكفار في الدفاع وكان الوصول إلى سور المدينة يعسر بسبب الوادي المتصل بسورها ، إلى أن خرق المسلمون السد ، فسرب الماء عن السور ،

(١) هو أبو العباس أحمد الملقب بالمستظهر بالله ، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه المعتدي بالله عبد الله بن أبي العباس محمد بن الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٨٧ ، وتوفي سنة ٥١٢ .

(٢) ولي علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي على إفريقية سنة ٥٠٩ وتوفي سنة ٥١٥ ، وعلى هذا فإنه ليس صحيحاً ما يذكره ابن القطان من أنه كان أميراً في تلك السنة (٥٠١) ، والمعروف أن تميم بن المعز بن باديس جد علي هذا هو الذي كان في ذلك الوقت لا يزال أمير إفريقية إذ أنه توفي سنة ٥٠٢ وخلفه ابنه يحيى الذي ولي الإمارة حتى سنة ٥٠٩ ثم خلفه ابنه علي في تلك السنة ولا نظن مثل ذلك يغيب على مؤرخ للمغرب كابن القطان ، ولعل التبعية في مثل هذا الخطأ إنما تقع على الناسخ أو ربما كانت ترجع إلى الاضطراب في ترتيب الحوادث التاريخية على نسق السنين .

(٣) عن غزوة طليبة المذكورة انظر كذلك الحلل الموشية (ص ٨٥) ؛ وروض القرطاس ص ١٧١ ؛ وابن عذارى : البيان المغرب القسم المرابطي ٥٢ ؛ وقد استفاد أويشي من الاخبار الجديدة التي أمدنا بها ابن عذارى وابن القطان في كتابة بحث جيد حول هذه الغزوة وقارن ذلك بما كتبه المؤرخون المسيحيون (انظر مقاله عن « علي بن يوسف ... » ص ٨٢ - ٨٥ وكذلك مقاله « روض القرطاس والمرايعلون دراسة نقدية » . مجلة إسبريس سنة ١٩٦٠ (ص ٥١٣ - ٥٤١) ، انظر ص ٥٣٥) .

(٤) كما في الأصل ، وأظن الصواب « واحتوش » أي أحاطوا بها .

(٥) في الأصل : واشتهد .

وتداعى الناس على القتال ، وكان ابن حنبل (1) يحرم الناس على الجهد والاجتهاد .

ولما ثلّم السد ، وقل ماء النهر بإزاء الباب - وذلك يوم السبت - اقتحم المسلمون عليهم ، ودخلوها عنوة ، وقتلوا جميع من فيها من النصارى ، واستنقذ من كان فيها من أسارى المسلمين . ولجأ بعض النصارى إلى قصبتها ، وتحصنوا فيها إلى أن جن عليهم الليل ، فتلثموا وخرجوا على خيولهم فارين على وجوههم ، فتبعهم المسلمون وتطرفوهم (2) ، ثم صاروا إلى حصن « قتالش » ودخلوه عنوة . فهذه أيضا لهم غزوة وفتح ثان .

وكانت في شوال من هذه السنة غزوة أخرى قتل فيها ألف من المسلمين ، وحرقت إحدي وستون قرية .

[إحراق كتاب « الإحياء »]

ومن أخبار هذه السنة إحراق كتاب « الإحياء » : (3)

في أول عام ثلاثة وخمسة عزم (4) علي بن يوسف - عن إجماع قاضي قرطبة أنى [عبد الله محمد بن] (5) علي بن حنبل وفتهاؤها - على إحراق كتاب أنى حامد الغزالي رحمه الله تعالى المسمى بـ « الإحياء » ، فأحرق في

(1) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد العزيز بن حنبل النخعي ، قاضي الجماعة بقرطبة ، ولد في سنة 439 ، وتولى القضاء في قرطبة سنة 490 ، وكانت وفاته ، سنة 508 (وسيذكره ابن القطان في وفيات هذه السنة) انظر ابن بشكوال : الصلة ترجمة 1254 .

(2) لم يرد الفعل متعديا ، وإنما يقال « تطرف عليه أى غار » .

(3) عن إحراق المرابطين لكتاب « الإحياء » انظر الحلل الموشية ص 104 - 105 ؛ وكذلك كتاب أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 583/2 - 586 وانظر كذلك الوثيقة التي نشرها الدكتور حسين مؤنس حول ذلك في مقاله « نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين » - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمجريد - المجلد الثالث سنة 1955 ص 107 - 113 والمراجع المذكورة .

(4) في الأصل عمر .

(5) زيادة تقتضيها صحة الاسم .

رحلة من مدينتها إلى الدار العربية على هيفته بجلوده بعد إشباعه زيتها . وحضر
الأندلس جماعة من أمراء الناس ، ونفذت كتبه إلى جميع بلاده أمراً بإحراقه حيثما
وجدوا . وأما من له نسخ⁽¹⁾ من أيدي أصحابها كان معمول الغزالية عليها ، منها
قصاص ممدوح بن ياسين⁽²⁾ نوعه على بن يوسف على إحضاره ، فأحضره له .
والكتاب المذكور ، ومنها كتاب ابن العربي⁽³⁾ حمله مع نفسه إلى الجزيرة
الاندلسية ثم أمر بحرقه في الماء ، فحل معظمه ، وفقد سائرته ، وتوالى الإحراق على
الأندلس من بلاد المغرب بقية ذلك العام .

للت :

ولما كان إحراق هؤلاء الجهلة لهذا الكتاب العظيم الذي ما ألف مثله سببا

(1) في الأصل : نسخا .

(2) هو أبو عمر ممدوح بن ياسين الصنهاجي اللموني ، أصله من صحراء المغرب وسكن المربة ،
وعني بالرواية والدياع وجمع الكتب ، وكانت له رحلة حج فيها وسمع بمكة صحيح مسلم والبخاري ،
ثم عاد إلى الأندلس فسمع الناس منه بإشبيلية وغيرها ، وكان ممن حدث عنه ابن حبيش وابن بشكوال
وأبو بحر ابن حر وابن سعادة ونوفي بإشبيلية سنة 530 (انظر ترجمته في التكملة لابن الأبار ، رقم 1137 ،
ط . كمديرا) ، وقد ذكره أبو البليق في موضعين من كتابه عن أخبار المهدي (ص 84 ، 128) ،
ويقدم على ما له اليد في أنه كان إلى جانب علمه وعنايته بجمع الكتب من كبار قواد المرابطين . ومما
رحلواهم ، وهو الذي بني حصن تاسغيموت الذي كان من حملة الحصون التي أدارها المرابطون حول
مواقع الموحدين لكي يتخذوا منها مراكز لمهاجمتهم .

(3) هو الفقيه المشهور أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري الإشبيلي ، ولد سنة
468 هـ إلى المشرق مع أبيه سنة 485 ، فتعلم على أبي بكر الطرطوشي بمصر ، ودخل الشام والحداد
والعراق . وصحب ببغداد من علمائها أبا بكر الشاشي وأبا حامد الغزالي وعاد إلى الأندلس سنة 491 ،
فدخل بلاده إشبيلية بعلم كثير وتولى القضاء بإشبيلية ثم صرف عنه ، وكانت وفاته سنة 543 بالمغرب ،
ودفن بفاس ومؤلفاته كثيرة نشر بعضها (انظر في ترجمته : ابن بشكوال : الفصل ، ترجمة 1297 ؛ ابن فرحون :
الدياج المذهب ص 281 - 284 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب 141/4 ؛ ابن سعيد : المغرب
249/1 - 250 ؛ الباهي : المرقبة العليا ص 105 - 107 ؛ ابن خلكان ؛ وفيات الأعيان 296/4 - 297 ؛
المغربي : نفع الطيب 25/2 - 43) .

لزوال ملكهم ، ⁽¹⁾ وانتشار سلكهم ، ⁽²⁾ واستتصال شأفهم على يد هذا الأمير العزيز القائم بالحق ، المظهر ⁽³⁾ للسنة ، المحيي للعلم ، نصر الله تعالى لواءه ، وكبت أعداءه .

[لقاء الغزالي وابن تومرت]

وعندي في [ذلك] ⁽⁴⁾ حكاية طريفة . وهي هذه ⁽⁵⁾ :

أخبرني الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الله بن رحمن العراقي رحمه الله تعالى عن بعض أشيائه ⁽⁶⁾ قال :

أخبرني الحاج الصالح المسن فلان من اهل فاس قال : كنت في حلقة أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى التي حلقتها للتدريس . فجاء ذات يوم رجل كثر

(1) في الأصل : ملكه .

(2) في الأصل : سكله .

(3) في الأصل : المطهور .

(4) زيادة يقتضيها السياق .

(5) حول لقاء ابن تومرت للامام أبي حامد الغزالي اختلف المؤرخون ، فمنهم من يثبت ذلك مثل ابن المطمان هنا وابن صاحب الصلاة (كما نقل عنه صاحب الخلل الموشية ص 104) وابن أبي زرع (روض القرمطاس 172) والسلاوي (الاستقصا 88/2) وابن خلكان (وفیات الاعيان 46/6) والزرکشي (تاريخ البولين ص 2) وابن أبي دينار (المونس في اخبار إفريقية وتونس ص 107 حيث يذكر ان ابن تومرت لارم الغزالي ثلاث سنين) ؛ ومنهم من يشير إلى هذا اللقاء في تحفظ لا يخلو من الشك مثل عبد الواحد المرادشي (المعجب ص 245) وابن خلدون (العبر 226/6) والنويري (نهاية الأرب - الجزء الخاص بتاريخ المغرب والأندلس ، نشر وترجمة المستشرق الأستاذ جاسبار رميرو في مجلة المركز التاريخي للابحاث الخاصة بعمليكة غرناطة - سنة 1918 ص 187 - 188) ؛ ومنهم من انكر هذا اللقاء مثل ابن الاثير (الكامل 294/8) . وقد وفي هذه المسألة حقها من البحث الاستاذ أويني في كتابه « تاريخ الدولة الموحدية » (32 - 29/1) وانتهى إلى أن قصة هذا اللقاء موضوعة وأن القرائن التاريخية تدل على استحالة وقوع ذلك .

(6) أورد الخبر التالي صاحب الخلل الموشية مع خلاف يسير في بعض ألفاظه نقلاً عن ابن صاحب الصلاة الذي يرويه عن « عبد الله بن عبد الرحمن العراقي » شيخ مسن من سكان فاس ، (الخلل ص 104 - 105) . وأورده أيضاً الوشيشي نقلاً عن نظم الجمعان (المعيار العرب 185/12)

كث اللحية على رأسه كرزي صوف وهو مُحتَب بكساء . فدخل المدرسة وحياها بالركعتين ثم أقبل إلى الشيخ أبي حامد رحمه الله تعالى فسلم عليه ، فقال له : من الرجل ؟ فقال : رجل من « أهل المغرب الأقصى » فقال له : دخلت قرطبة ؟ قال : نعم . قال : فما فعل فقهاؤها وكيف حال إخواننا في الله تعالى ؟ فقال بخير . قال : هل انتهى إليهم كتاب الإحيا ؟ قال : نعم . قال : فماذا قالوا عنه ؟ فوجم الرجل وخجل ولزم الصمت حياء . فعزم عليه الشيخ ليقولن ما طراً ⁽¹⁾ . فقال إنه قبيح أيها الإمام ! فاشتدت عزمته عليه في أن يقول ما طراً فقال له : القوم جهال مقلدون لم يعرفوا قدره . ورفعوا إلى سلطان العدو والأندلس في شأنه وأنه ينبغي أن يحرق فأمر بإحراقه ، فجمعت النسخ التي في البلاد منه ، وأحرقت في كل بلد . قال : فتغير وجه أبي حامد . ومد يديه للدعاء والطلبة يؤمنون ، فقال في دعائه : اللهم مزق ملكهم كما مزقوه ، وأذهب دولتهم كما حرقوه ! فقام رجل من الحلقة كان يقال له في ذلك الوقت أبو عبد الله السوسي فقال : ادع ⁽²⁾ الله أيها الإمام أن يجعل ذلك على يدي ؛ فتغافل عنه أبو حامد رحمه الله تعالى . فلما كان بعد جمعة أو نحوها إذا بشيخ ⁽³⁾ [آخر على شكل الأول ، فسأله الشيخ أبو حامد ، فأخبره بصحة الخبر المتقدم . فدعا بمثل دعائه الأول ، فقال له المهدي : على يدي إن شاء الله ، فقال : اللهم اجعله على يده ! فقبل الله دعاءه . فخرج أبو عبد الله ابن تومرت من بغداد وصار إلى المغرب ، وقد علم أن دعوة الله لا ترد | .

[أخبار سنة 508]

* باب أخبار سنة ثمان وخمسمائة :

من ذلك وفاة القاضي أبي عبد الله ابن حمدين ⁽⁴⁾ لثلاث بقين من الحرم

(1) في الأصل : طرى .

(2) في الأصل : أدعو .

(3) ينقطع النص هنا ، وقد استكملنا بقيته من « الحلل الموشية » ص 104 - 105 .

(4) هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين الذي سبق أن عرضنا له (انظر ص 70 حاشية 1) .

منها بعد مرضه خمسة عشر يوماً بالفوق ، وحزن الناس عليه ، وكان محباً لهم
والمعتنمين ، وكان حاز في المكانة لديهم ما لم يحزه غيره ممن سلف ، وكان جميل
الطريقة ساعياً في كل خير : قطع الضرائب والمعاون عن أهل قرطبة ، وسن كل
طريقة جميلة وسيرة حسنة ، لأن ابن تاشفين [كان] ⁽¹⁾ لا يخالفه في شيء ،
وكان ذكي الفهم سريع الخاطر ، رقيق الطبع ، فقيهاً أدبياً ، بليغاً شاعراً . كاتباً
فاضلاً ، ورعاً ديناً حذراً من العواقب ، وولاية ولده أبي القاسم ⁽²⁾ القضاء بعده .
ووفاته مزدلي ⁽³⁾ ، وأبي الأصبع ابن حزمون ⁽⁴⁾ ؛ والأديب أبي الحسن ابن
سراج ⁽⁵⁾ ، وكان كاتباً شاعراً ، من شعره :

(1) زيادة يقتضيها السياق .

(2) أبو القاسم أحمد بن محمد بن حمد بن التعلبي ، ولد سنة 472 ، وولى قضاء الجماعة بقرطبة
مرتين ، مات وفاته سنة 521 (انظر ابن بشكوال : الصلة رقم 172) .

(3) هو القائد المرابطي المشهور أبو محمد مزدلي بن سلتكان الذي استرجع للإسلام مدينة بلنسية
سنة 499 بعد أن استولى عليها « السيد القنيطور » نحو ثماني سنوات ، وقد تقلب مزدلي في مختلف مناصب
القيادة والولاية بالأندلس ، وكان من آخر هذه المناصب حاكم غرناطة وقرطبة والمرية في سنة 504 ، وظل
يقود الحملات لجهاد المسيحيين القشتاليين حتى استشهد أخيراً في ميدان المعركة في شوال سنة 508
(مارس سنة 1115 م) . وذلك بعد حملته المظفرة التي دوخ فيها طليطلة واكتسح بسائطها في سنة 507 .
(انظر ابن عذارى : البيان المغرب - القسم المرابطي ص 26 ؛ 29 ؛ 41-42 ، 56-57 ، 60-61 ، والإحاطة
لابن الخطيب 3/274-275 ؛ ومقال أويثي : علي بن يوسف ... ص 80 ، 88 ، 90-92 ، 110-113 ؛
« ومقالنا » وثائق تاريخية جديدة ... » ص 157) .

(4) أبو الأصبع عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حزمون القرطبي كان فقيهاً مشاوراً في
الأحكام حافظاً للرأي بصيراً بالفتيا ، وتولى الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة ، ولد سنة 440 ، وتوفي في
شعبان سنة 508 (ابن بشكوال : الصلة ، رقم 795) .

(5) الأديب أبو الحسن أو أبو الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج القرطبي ولد سنة 439 ، وأخذ
عنه الناس كثيراً ، وكانت وفاته في جمادي الآخرة سنة 508 (ابن بشكوال : الصلة ، رقم 518 ؛ ابن
سعيد المغربي 1/116-117 والمراجع المذكورة في هذا الكتاب ؛ ابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي
الصدفي ، رقم 295) . وقد روى كل من ابن بشكوال وابن الأبار البيتين المذكورين هنا من شعره مع
خلاف يسير في الرواية .

بُتَّ⁽¹⁾ الصنائع لا تحفل⁽²⁾ بموقعها لآمل شكر الإحسان أو نفرأ
« الغيث ليس يبالي⁽³⁾ حيثما انسكبت به الغمام تربأ كان أو حجرا »

وهجوم الروم على ميورقة ودخولهم إياها عنوة ، وقتلهم من فيها ، وسبيهم
أهلها ، واحتواؤهم على جميع ما فيها بعد حصار شديد ؛ وعمرت مائة وعشرون
مركبا ، فوصلت إليها ، فوجدت العدو قد أخلاها⁽⁴⁾ .

والعباسي في هذه السنة المستظهر كما كان .

وأمر إفريقية يحيى بن تميم⁽⁵⁾ .

وأمر مصر المستعلى ، ويقال بأن أخاه سمه ، فقام أخوه وتسمى الأمر
بأحكام الله ، وأبقى الأفضل على حجابته⁽⁶⁾

(1) في الأصل : بت .

(2) في الأصل : تجعل .

(3) في الأصل : يتالى .

(4) عن استيلاء الروم (ويعني بهم هنا أهل جنوه وبيزة وقطلونية) على ميورقة ثم استرداد المراهقين
لها انظر ابن خلدون : العبر 165/4 ، 242/6 ؛ وابن عذارى : البيان المغرب - القسم الخاص بالموحدين
بيروت 1985 ص 239 ؛ ومقالنا « وثائق تاريخية جديدة » ص 157 - 163 والمراجع المذكورة في ذلك
الموضع .

(5) ولد يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي بالمهدية سنة 457 وولى إفريقية سنة 501 بعد وفاه أبيه تميم ،
وتوفى سنة 509 مقتولا في قصره (انظر ابن عذارى : البيان المغرب 304/1) .

(6) هذا النص مضطرب ، ويبدو أن خطأ وقع فيه ، فالمعروف أن الخليفة الفاطمي المستعلى وهو
أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله وهو سادس خلفاء مصر الفاطميين ولي الخلافة سنة 487 (وكان مولاه
سنة 467) وقتل سنة 496 ، وكان القائم بأمر الدولة في عصره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي ، وخلفه ابنه
(لا أخوه) الأمر بأحكام الله أبو علي منصور ، ولي وهو صبي سنة 496 (وكان مولده في سنة 490) وقتل سنة
524 . والذي نعرفه من المراجع التاريخية أن نزار أخا المستعلى نازعه على الخلافة وقال إن أباه المستنصر عهد إليه
بها ، فهرب إلى الإسكندرية ودعا لنفسه بها ، ولكن الأفضل هزمه ومزق جيوشه ، ويقال إن المستعلى بعد أن
ظفر به في سنة 488 بنى عليه حائطا ، ويزعم أصحابه الذين يدينون بإمامته أنه تحت هذا الحائط حتى يحين
موعد خروجه ؛ ويسمى هؤلاء باسم « النزارية » وطاعتهم هم الذين يعرفون باسم الدروز .

[أخبار سنة 509]

باب أخبار تسع وخمسمائة :

و [من] ⁽¹⁾ ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى في غزوة عبد الله بن فاطمة صاحب إشبيلية ⁽²⁾ .

وأمر إفريقية في هذه السنة أيضا يحيى بن تميم المذكور في السنة قبلها .

* باب أخبار سنة إحدى عشرة وخمسمائة :

[13]

فمنها وصول الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه إلى بجاية ⁽³⁾ ، فأمر بالمعروف ، فمضى أمره إلى العزيز بن الناصر ⁽⁴⁾ صاحبها ، فهم به ، ثم تركه عصمة

(1) زيادة يقتضيها السياق .

(2) عن عبد الله بن فاطمة انظر ص 65 (حاشية 3) ولم تفدنا المراجع الأخرى عن غزوة هذا القائد في سنة 509 ، وكان قد عوض في أول هذه السنة عن ولاية فاس بإشبيلية (البيان المغرب - القسم المراتبي ص 62) ، على أن ابن عذارى حدثنا في أخبار تلك السنة عن معركة عنيفة بين المراتبين والنصارى ونورد فيما يلي نصه عن ذلك (ص 61) : « وفي سنة 509 ضرب العدو على نظر قرطبة ، فخرج إليه محمد بن مزدي في عسكره وبادر في الاستعجال لآثره ، فلحق بالعدو ، ونشبت الحرب ، وصبر المسلمون ، فاستشهد محمد بن مزدي والأمير محمد بن الحاج والأمير أبو إسحاق ابن دانيه والأمير أبو بكر ابن واسنو ، ومات [من] الأمراء نحو الثمانين من وجوه المراتبين وجملة كبيرة من الحشم وأهل الأندلس ، وذلك يوم الخميس مستهل صفر من السنة المؤرخة ، فكان مصابا عظيما وخطبا جسيما ، واتصل الخبر بأمير المسلمين علي فولى قرطبة الأمير أبا بكر يحيى بن تاشفين وهو ابن عمه شقيق أبيه لأمه ، فنفذ إليها وقدم عليها » ، ولا نرى في هذا النص ذكراً لاشتراك ابن فاطمة في تلك الواقعة .

(3) كانت رحلة ابن تومرت إلى بجاية في أواخر سنة 511 على ما يذكر ابن خلكان نقلا عن ابن القفطي (وفيات 47/5) وذلك على خلاف ما يقول ابن أبي زرع من أن ذلك كان في أول ربيع الأول سنة 510 روض القرطاس ص 173 ، وما يذكره ابن خلدون من أن وصوله إلى بجاية كان في سنة 512 (وحول تحقيق ذلك انظر أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 40/1) .

(4) كذا ، وقد كان صاحب بجاية في ذلك الوقت هو العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن علاء الناس (أو علناس) ، ولى بعد أخيه باديس بن المنصور ، وتوفي سنة 515 (انظر ابن عذارى : البيان المغرب 302/1 - 309) ، ولعل ابن القطان نسبه إلى جده .

من الله تعالى ثنولته لما « منحه من إنقاذ البلاد من الجور والفساد ، وتلافي العباد ، ٣١٢
 فخرج الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه من بحاية إلى رباط خارجها وعلى القرب
 منها يقال له رباط ملالة ^(١) فكان رضى الله تعالى عنه حافظاً عالماً بالمذاهب
 متصوراً المعياً نقاباً ، ^(٢) فعمر مجلسه الطلبة والصالحون ، فكان رضى الله تعالى
 عنه مأوى لاهل الخير والعلم ، فكثير رضى الله تعالى عنه بهم ، وتعلق به هنالك
 عبد الواحد بن عمر التونسي من فقهاء إفريقية ؛ وكان لا يراه أحد ولا يسمع به إلا
 أشرب حبه رضى الله تعالى عنه ، حبا وضع الله تعالى عليه وألبسه رداءه ، وصير
 جميع الخلائق به أحباءه وأوداءه ^(٣) ، لما اختصه به من العلاء والجلال ، وأهله له
 من احتياز درجات السنا والكمال .

ولما مات التونسي برباط تلمسان اتفق أصحابه المواظبون لمجلسه أن يجلبوا
 إلى مكانه الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه ، فوجهوا إليه سيدنا الخليفة الإمام
 أمير المؤمنين ابا محمد عبد المؤمن بن علي رضى الله تعالى ، وكان أحد طلبة التونسي
 المذكور الذين يحضرون معه عنده ، * ويذكر ويتذاكر مع الطلبة ^(٤) .

(١) في خروج ابن تومرت إلى رباط ملالة انظر ابن خلكان : الوفيات 47/5 وابن خلدون 227/6 ، وقد
 وصف هذه الرحلة بالتفصيل أبو بكر البيهقي (أخبار المهدي ص 52) .

(٢) النقاب بكسر النون هو العلامة .

(٣) في الأصل : أحباؤه وأوداؤه .

(٤) تضاربت آراء المؤرخين في الصورة التي تم فيها اللقاء رجلي الدولة الموحدية ابن تومرت
 وعبد المؤمن وفي مكان هذا اللقاء . انظر حول ذلك القصة المفصلة التي يرويها البيهقي (ص 55 - 57)
 وابن أبي زرع : روض القرطاس 172 ؛ وابن خلدون : العبر 227/6 ؛ والنويري : نهاية الأرب ص 188 .

ويذكر أويثي في بحثه لهذه المسألة أن ذلك اللقاء كما يصوره لنا ابن القطان هنا أقرب إلى المعقول من
 تلك القصة المسرحية المصطنعة التي ابتدعها البيهقي . وابن خلدون يتفق مع ابن القطان في مجمل هذا الخبر .
 (انظر تاريخ الدول الموحدية 43/1 - 46) .

ثم هاجر الإمام رضى الله تعالى عنه ، وحل بجبل إيجيليز ، ⁽¹⁾ ومع ذلك اتصل بعلى بن يوسف أن أهل قرطبة قاموا على المثلثين وأخرجوهم . وخاطب أهل قرطبة مخاطبة تفريع ⁽²⁾ وتهديد ، فلما لم يؤثر فيهم التهديد نهض إليهم فى السنة التى بعد هذه ⁽³⁾ .

وأقام الإمام بجبل إيجيليز ⁽¹⁾ ثلاثة أعوام يدرس العلم ، ويهاجر إليه السعداء ، ويعلم المهاجرين ، ويخاطب القبائل رضى الله تعالى عنه . والعباسي فى هذه السنة المسترشد بالله تعالى ⁽⁴⁾ .

وفى هذه السنة مات أمير إفريقية على بن يحيى بن تميم ، وولى ولده حسن . ⁽⁵⁾ ولم يكن فى أمره يحسن الطريقة إلى أن دخل عليه الروم المهديّة

(1) فى الأصل : الجبلين

(2) يمكن ان تكون كذلك : تفريع .

(3) لم يرد قبل ذلك بيان السنة التى يسرد المؤرخ حوادثها ، على أنها واضح من السياق أنه يعنى سنة 515 كما أثبتنا فى العنوان الذى أثبتناه بين الحاصرتين .

(4) هو أبو منصور الفضل الملقب بالمسترشد بالله بن الخليفة أحمد المستظهر بالله ، بويع بالخلافة بعد موت أبيه فى شهر ربيع الآخر سنة 512 ، وكانت وفاته فى سنة 529 ، ومولده فى حدود سنة 485 .

(5) الحسن بن على بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي . ولد بمدينة سوسة فى رجب سنة 502 ، وعهد إليه أبوه بالأمر فى حياته ، فلما توفى سنة 515 بويع بإمرة إفريقية ، وما زال حتى دخل عليه المهديّة نصارى صقلية فى أيام ملكها رجار الثانى فى سنة 543 ، فالتحق الحسن بعرب رياح وكبيرهم محرز بن رهاد ثم أراد الرحيل إلى مصر ليلتجئ إلى الخليفة الفاطمي الحافظ فأرصد له جرجى صاحب أسطول رهاق ، فأجاز إلى بونة ثم إلى قسنطينة ومنها إلى الجزائر وما زال بها حتى فتحها عبد المؤمن بن علي الملقب بـ 1011 سنة 547 ، فوالاه الحسن ولحق به وصحبه إلى إفريقية فى غزاته الأولى التى استخلص فيها المهديّة من أيدي النصارى سنة 555 ، ثم فى غزاته الثانية سنة 557 ، وأقام الحسن بالمهديّة بعد أن أقطعه إياها عبد المؤمن ، ثم استدعاه يوسف بن عبد المؤمن إلى حضرة ملكه مراکش ، فارتحل باهله وإهله ، وهلك فى طريقه بتماسنا سنة 563 ، وهو آخر من ملك إفريقية من أسرته ، وعلم يده انه قضت دولته .

سنة ثلاث وأربعين ومخمسائة^(١) .

« وفيها مات الأفضل^(٢) وزير المستعلي صاحب مصر والأمر بأحكام الله ،^(٣) وذلك أن الأمر بأحكام الله لما أبقى الأفضل على حجابه قيل له : مالك ملك مع الأفضل ! ففس له رجلا وأمرهم بقتله . ووعدهم بالعطاء الجزيل ، وكانوا مجهولين ، فلما كان عام أربعة عشر رصده في زقاق ضيق كان متى خرج خطر عليه ، وكان في الزقاق فرن ، فلما أحسوا بأنه قرب من الفرن خرجوا من الفرن فقتلوه ، وبادرهم الرجال ففقطعوا بالسيوف ، وسار الأفضل إلى داره وبه رمق ؛ فلما علم الأمر بالأمر جاءه وكأنه زائر له ، فخرج عنه الناس ، وبقي معه وحده ، فقيل إنه جعل^(٤) على وجهه مخدة ، وقعد عليه حتى طفئته ،^(٥) ولم يخرج من عنده إلا وهو قد مات ، فقدم رجلا للحجابه^(٥)

(١) عن فتح رجار ملك صقلية النصراني للمهدية انظر ابن عذاري : البيان المغرب 313/1 ؛ ابن خلدون : للبر 162/6 ؛ ابن خلكان : وفیات الاعيان 217/6 - 218 ؛ التويري : نهاية الارب (نشر جاسبر ريمرو) 166/2 - 168 ؛ ابن الخطيب : أعمال الاعلام (القسم الخاص بشمال افريقيا) بتحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي والأستاذ محمد إبراهيم الكتاني ط. الدار البيضاء 1964 ص 131 ، والترجمة الاسبانية (رافايلا كاستريو) ص 87 والمراجع الواردة في الحاشية .

(٢) هو الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش أبو القاسم بن بدر الجمالي الأرمني وزير مصر ومدير ممالكها ، ولى الحجابة بعد موت أبيه في أيام الخليفة المستعلي الفاطمي ، واستبد بالملكة حتى توفي المستعلي ، فول الخلافة بعده الأمر بتدبير من الأفضل ، وقام الحاجب بالحجر على الخليفة متبعا في ذلك سيرة أبيه مع المستنصر والمستعلي من قبل ، وما زال حتى ضاق الأمر بذلك فدير مؤامرة لقتل الأفضل (انظر ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة 222/5) هذا ويضيف ابن القطان هنا تفاصيل جديدة عن اغتيال الأفضل .

(٣) في الأصل : عمل ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

(٤) أي ازهق روحه .

(٥) ينقطع النص هنا ، إذ يلي ذلك حرم لا ندرى عدد الاوراق التي ذهبت فيه ، على أن الذي نعرفه من كتب التاريخ المصري أن الخليفة الأمر استوزر بعد قتل الأفضل أبا عبد الله المأمون بن البطاشي (انظر ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة 229/5) ، ولكن الأمر لم يلبث أن قبض على المأمون هذا وطل أخيه المؤمن سنة 519 وصادر أموالهما ثم قتلهما (وانظر حول اغتيال الأفضل والاحداث التي تبعت ذلك كتاب الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية الطبعة الثانية ص 173 - 175 والمراجع المذكورة في ذلك الموضوع) .

« | عن (1) أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : مسنقان من أهل النار لم أرهما : | (2) قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة (3) البخت (4) المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها (5) .

وقوله صلى الله تعالى عليه وملائكته الكرام وسلم لأبي هريرة رضى الله تعالى عنه : إن طالت لك مدة أو شكت (6) أن ترى قوما يغدون في سخط ، ويروحون في لعنة ، في أيديهم مثل أذناب البقر سياطا كانت عندهم ليست عند أحد سواهم (7) .

و | من [نعمه (8) رضى الله تعالى عنه عليهم ما أخذهم (9) بقراءة

(1) قام الأستاذ ليفي بروفنسال بنشر قطعة من هذا المخطوط تبدأ بهذه الورقة (رقم 9) حتى رجه المرفقة (رقم 14) مع ترجمة إلى الفرنسية وتعليقات ، وذلك تحت عنوان « ست قطع مخطوطة من تاريخ المؤلف لظهور الدولة الموحدية » ، ونشرت هذه المجموعة من النصوص في مجلد احتوى على بعض الدراسات الاستشرافية وأهدي إلى ذكرى العالم الفرنسي رينيه باسيه ، ط . باريس سنة 1925 .

(Lévi-Provençal : Six Fragments inédits d'une chronique anonyme du début des Almohades , Mélanges René Basset , t. II, pp. (335-393) .

(2) ما بين الحاصرتين تنمة الحديث المنسوب إلى النبي (صلعم) وقد استكملناه مما جاء في كتاب « أعز ما يطلب » لمحمد بن تومرت المهدي (نشر لوسيانى وتقديم جولد تسيهر - الجزائر سنة 1903 من 260 في الفصل المعنون له بقوله « باب في بيان طوائف المبطلين من المائمين والمجسمين وعلاماتهم » . وانظر هذا الحديث أيضا في كتاب جلال الدين السيوطي ؛ الجامع الصغير ، بشرح عبد الرؤوف المناوي : دمشق القادير 208/4 - 209 (ط . القاهرة سنة 1938) .

(3) في الأصل : رؤوسهم كاسنة .

(4) هي الابل الخراسانية .

(5) لم يذكر هنا تمام الحديث ، وبقية : وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا .

(6) في الأصل : أو شككت .

(7) ورد هذا الحديث أيضا في كتاب « أعز ما يطلب » ص 260 - 261 .

(8) في الأصل : ونعم .

(9) في الأصل : واخذهم .

حزب واحد منه في كل يوم إثر صلاة الصبح بعد ⁽¹⁾ حزب من القرآن ، وهو سفر مجلد ⁽²⁾ يحتوي على معرفة الله تعالى والعلم بحقيقة القضاء والقدر والإيمان والإسلام والصفات وما يجب لله تعالى وما يستحيل ويجوز عليه والإيمان بما أخبر به النبي ﷺ وملائكته الكرام وسلم بما طريقه الإخبار بما أعلمه الله تعالى من غيبه ، ولع من « أصول الدين ومعرفة المهدي وأنه الإمام ، ووجوب الإمامة ، » ⁽³⁾ وما يجب له من التعزيز والتوقير وأن الهجرة إليه واجبة لا يحول بينها وبين أحد من المسلمين أهل ولا ولد ولا مال ، وأن من سمع بأمره وجبت عليه الهجرة إليه . ولا عذر له بوجه من الوجوه ، ويكفر من لم يصل [عليه] ⁽³⁾ ولم يطعه ، وذكر لهم فيه الآداب بينهم ، وعلامة المؤمن ، وما يجب على المؤمن فعله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وآخى بينهم فيه ، وذكر لهم علامة المنافقين وبينها بأوضح بيان ، وجعل القتل في ثمانية عشر صنفا كالكذب والمداينة وأمر يطول الكتاب بذكرها ، وحفظهم إياها ورباهم به وسهل عليهم التعليم بنفسه وبأعيان أصحابه . وجعل على كل عشرة نقيبا ⁽⁴⁾ .

(1) في الأصل : بعد اثر .

(2) لعل ابن القطان يعني بهذا السفر كتاب « أعز ما يطلب » الذي سلفت الإشارة إليه كما يدل على ذلك نص عبد الواحد المراكشي في المعجب (ط . سعيد العريان) ص 255 وكتاب اللؤلؤ الموشية ص 109 . وانظر مناقشة الدكتور احمد مختار العبادي لحقيقة هذه الكتب التي كان ابن تومرت يعنى بأخبار الموحدين بقراءتها وتدارسها في مقاله « دراسة حول كتاب اللؤلؤ الموشية » (مجلة تطلوآن العدد الخامس - سنة 1960 - ص 157 والحاشية رقم 72 - 73) .

(3) في الأصل : يصل وما بين الحاصيرتين زيادة يقتضيهما السياق .

(4) ورد في كتاب « المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب » (أصحاب ابن تومرت) الذي نشره ليفي بروفنسال ضمن مجموعة من الوثائق الموحدية تفصيل وإف لهذه الطبقات (انظر ص 32 - 48) . كذلك جاء في كتاب « اللؤلؤ الموشية » نقل يكاد يكون بالحرف لمعظم هذا النص لطبقات الموحدين ، إلا أنه جعلها ثلاث عشرة طبقة لا أربع عشرة كما هو هنا (انظر ص 89 من النص العربي ، وتعليق أمبروسيو أويشي في ترجمته الإسبانية للحلل ص 130 - 131 هذا النص الذي بورده ابن القطان حول هذا الموضوع إنما هو على الأرجح مما نقله عن المؤرخ أبي يحيى اليسع بن عيسى بن حزم كما سنرى من تعليق ابن القطان عليه فيما بعد .

طبقات الموحدين |

فالصنف الأول : العشرة ، يعنى أهل الجماعة .

والثاني : أهل خمسين .

والثالث : أهل سبعين .

والرابع : الطلبة .

والخامس : الحفاظ ، وهم صغار الطلبة .

والسادس : أهل « الدار » .

101 |

والسابع : هرغة .

والثامن : أهل تينملل .

والتاسع : جدميوة . (1)

والعاشر : جنفيسة .

والحادى عشر : هنتاتة .

والثاني عشر : أهل القبائل (2) .

والثالث عشر : الغرّات (3) ، وهم الأحداث الصغار الأميون .

صم

1

شعاع

دخل الـ طعال

نصفه

الـ

(1) في الأصل : جدميرة .

(2) يقصد بالقبائل ما حول مدينة مراكش من قبائل ، وهي هزمير وهيلانة وهزرجة (انظر

عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 425) .

(3) قرأ ليفي برونسفال هذه الكلمة « الغزاة » ، وترجمها بلفظ champions وفسرها بأنهم الحرس الخاص للإمام ، وقد نقل عن ليفي برونسفال ذلك من اعتمد عليه من الباحثين ، مثل أويشي في ترجمته للمحلل الموشية (ص 130 ، حاشية رقم 5) ، بل أضاف هذا إلى ذلك أنه يعنى الرماة arqueros ولكننا لا نأدري كيف يكون « الغزاة » هم الأحداث الصغار الأميين على ما جاء في تفسير ابن القطان نفسه ولا كيف يضعهم المؤلف في الطبقة الأخيرة إذا كانوا هم حرس الإمام الخاص ، ومن رأينا أن كل هذه التخريجات إبعاد في التأويل أدى إليه خطأ في قراءة الكلمة ، إذ أن الصواب فيها « الغرات » جمع غر وهو الصبي الصغير .

والذي وصف من هذه الأصناف رتبة لا ينهاها إلى غيرها لا في السفر ولا في
المصر ، وأحدهم في نارك امتثال أمر من يسمع أمره بالقتل ، وبإيعوه ^(١) على هذا ،
وكان ممن الله تعالى عنه يعظلم في كل وقت ويذكرهم ، ومن لم يحضر أدب ،
فإن ثمانين قتل ، وكل من لم يحفظ حربه عزز بالسياط ، وكل من لم يتأدب بما أدب به
ضرب بالسوط المرة والمرة ، فإن ظهر منه عناد وترك امتثال الأوامر قتل ، ومن داهن
على أخيه أو أبيه أو ابنه أو من يكرم عليه قتل ، وشدد في المعاملة ، وضبط « أمرهم »
فيها فانضبط . وأقاموا على ذلك مدة يتسامع الناس تقلب أحوالهم فيها .

وقال ابن الراعي :

لما أحق الله الحق ، وأبطل الباطل - يعنى في المذاكرة التي كانت
بأغمت ^(٢) - خلع الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه مبايعة علي بن يوسف عن
أعناق تابعيه وأصحابه ، وأعلن الجميع بخلعه ، وكان بعضهم يبرح به في المساجد .

قلت :

أما ما ذكره اليسع ^(٣) من أمر السبعين فلا أعرفه ولا أراه صحيحا ،

رَبِّهِ وَدِينِ سَعْدِ

(١) في الأصل : وبإيعوه .

(٢) لعل ابن الراعي يشير بهذا النص إلى ما وقع بأغمت وريكة حينما حلها محمد بن تومرت في
طريقه من مراکش ، إذ يقول البيهقي إنه كان يقرئ في نفس هذا المسجد أيضا فقيه يدعى عبد الحق بن
ابراهيم كان يضيق بالمهدي ويحسده « وأقبل إليه فأفحمه المعصوم ، وقامت أغمتان فرفقتين : مؤمن
وكافر ... » (أخبار المهدي ص 70) .

(٣) هو أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع الغافقي الجبالي البلسي ، سكن
المرية ومالقة ، ثم كتب لبعض الأمراء في شرق الأندلس ، وقد رحل اليسع إلى المشرق في سنة 560 واستقر
بدمشق ، واتصل بصلاح الدين الأيوبي الذي قربه إليه وكان يكرمه ويشفعه في حوائج الناس ، وتوفى اليسع
نصر سنة 575 . وقد ألف كتابا سماه « المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب » جمعه للسلطان صلاح الدين
ابن أيوب ، وقد نقل المقرئ عنه في عدة مواضع من نفح الطيب وكذلك صاحب « الحلل المشوية »
(انظر ترجمته ونقولا عنه في النفح 1/127 ، 164 ، 208 ، 265 ، 672 ، 379/2 ، 487 ، 379/3 ، 314/4 ،
455 ؛ وابن الأبار : التكملة ، ترجمة 2112 ؛ ومعجم أصحاب أبي علي الصديقي ، ترجمة 315 ؛ وبنون -

وإنما أعرف العشرة الجماعة وأهل الخمسين وسبعة هم أهل مشورته ، وأما العشرة فقد مر ذكرهم ⁽¹⁾ .

وأما الخمسون فهم :

أما من قبيل هرغة ف ستة رجال ، أبو مروان عبد الملك بن يحيى وأبو زيد عبد الرحمن بن سليمان ، وإسحاق - ولم أجد اسم أبيه - وأبو زكريا يحيى بن يومور ، ويعزى ⁽²⁾ بن مخلوف ، وأبو زيد عبد الرحمن بن داود ⁽³⁾ .

وأما من قبيلة تينملل * فأربعة عشر ، ⁽⁴⁾ وهم : أبو عمران موسى بن سليمان القاضي ، ⁽⁵⁾ وأبو عبد الرحمن ، وسواجات بن يحيى ، وأبو بكر ابن يزمارن ، وأبو محمد عبد العزيز - لا أدري ابن من - وعلي بن يامصل ، والحاج موسى ، ويحيى أغوات ، وعبد الله بن ينسك ، والقاسم بن محمد ، ويوسف بن مخلوف ، وأبو علي يونس .

وأما من قبيلة هنتاة فتلاثة : ⁽⁶⁾ أبو يعقوب يوسف بن وانودين ، وداود بن عاصم ، وأبو محمد بن واحدان .

= بويجس : المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون ، رقم 196 ، ص 242 ؛ وجونثالث بالنشيا : تاريخ الفكر الأندلسي (ترجمة الدكتور حسين مؤنس) ، ص 242 ؛ الحلل الموشية ص 62 ، 82 ، 107 ، 132 ، 138 - 139 ، 146 - 148) .

(1) سيعود ابن القطان للحديث عن العشرة فيما بعد .

(2) في الأصل : يعزاء ، والتصويب عن كتاب البيهقي .

(3) يبلغ عدد أهل الخمسين من قبيل هرغة على ما ذكر البيهقي في كتاب الأنساب (ص 33-34) ثمانية بدلا من الستة المذكورين هنا .

(4) هم تسعة عشر على ما ذكر البيهقي (ص 34) ، وهناك خلاف بين المؤلفين في أسماء هؤلاء .

(5) هو صهر عبد المؤمن بن علي خليفة المهدي ابن تومرت ومتولى القضاء له ، وسنترجم له عند ورود اسمه بين قضاة عبد المؤمن .

(6) في كتاب البيهقي اسمان فقط ، وقد جاء اسم الثلاثة هكذا : أبو عبد الله محمد بن ويكلدان وعبد الكريم ويعقوب أغفو .

وأما من جدميوة ⁽¹⁾ فرجلان : أبو محمد يعيش ، وأبو حرب .

وأما من جنفيسة فأربعة : أبو إسماعيل ، وأبو زيد عبد الرحمن بن رحو ،
وعبد الله بن الحاج ، وأبو سعيد يخلف بن الحسين ⁽²⁾ .

وأما من القبائل فرجل واحد : وهو عبد الرحمن بن ينومر ⁽³⁾ .

وأما من هسكورة فتلاثة : إسحاق بن يونس ، وعبد الله بن عبيد الله ،
وأبو عبد الله بن أبي بكر « المعروف بابن يندوس » ⁽⁴⁾ .

|| ب |

وأما من صنهاجة فتلاثة : أبو محمد الجراري ، ويحيى بن وسنار ⁽⁵⁾
وإسحاق بن محمد ⁽⁶⁾ .

وأما من الغرباء ⁽⁷⁾ فخمسة : أبو يعقوب اللمطي ، وأبو زكرياء يحيى
الدرعي ، وعبيد الله بن يوسف الزناتي ، وسليمان الجزولي ، وإبراهيم بن جامع .
هكذا عددهم ابن صاحب الصلاة في كتابه ⁽⁸⁾

(1) في الأصل : جدميرة ؛ وقد أورد البيهقي أسماء أربعة رجال هم : أبو محمد العيس بن تماري ،
وأبو علي سحنون بن تماري ، وأبو محمد عبد الكريم بن تماري وأبو محمد سعد الله والد إبراهيم .

(2) في البيهقي أسماء أربعة كذلك ، إلا أن الاسمين الأخيرين هما : أبو إسحاق إبراهيم بن سليمان
وأبو زيد عبد الرحمن المعروف بآمازار .

(3) في البيهقي : أبو إبراهيم إسحاق بن أبي زيد .

(4) في البيهقي : المعروف بابن توندوت ، وقد زاد عليهم هذا المؤلف اسماً رابعاً هو : أبو محمد همد
الحق بن معاد الزناتي .

(5) في الأصل : يحيى بن سنان ، والتصويب عن البيهقي ص (35) .

(6) جاء مكان هذا الاسم الأخير في البيهقي : أبو الحسن علي بن ناصر .

(7) لم يشر البيهقي إلى هؤلاء الغرباء ، وإنما أضاف إلى قائمته المستدركين بعد التمييز (ص 35) .

(8) هو المؤرخ المشهور أبو مروان أو أبو محمد عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم
الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة الذي ترجم له ابن الأبار (التكملة ترجمة رقم 1726) ، وكانت
وفاته في أواخر القرن السادس الهجري على خلاف بين الباحثين المحدثين في تاريخ ذلك على وجه التحديد .
وله الكتاب المعروف باسم « المن بالإمامة على المستضعفين ، بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين » ، -

فقلت :

وهم على هذا زهاء ⁽¹⁾ أربعين أو واحد ⁽²⁾ وأربعين رجلا ، فأين تمام
الخمسين ؟ وعد السبعة الذين قال إنهم رجال مشورته ، ولعلمهم منتقون من
الخمسين .

قال :

هم : أبو سليمان ، من هرغة ؛ وأبو الحسن ، من أهل تينملل ؛
وأبو وزغيف بن ياموهل بن يابوجان ، من أهل تينملل ؛ وأبو وايور يغور يبوركن ،
من تينملل أيضا ؛ وقطران بن ما غليفة ، من هنتاة ؛ وأبو محمد سكاتة ،
وأبو عمران موسى بن واحمدين ، من مزالة ، ومزالة من هنتاة .

قال ابن صاحب الصلاة :

سفر ص ١٥١ - ١٥٢

وكان له - رضي الله تعالى عنه - رجال يخدمونه * في داره ، يسمون أهل
الدار ⁽³⁾ من أصحابه ، يختصون به في ليله ونهاره ، وهم المعروفون بأهل الدار .

= في تاريخ الدولة الموحدية ، وعلى هذا الكتاب يعتمد المؤرخون المتأخرون مثل صاحب روض
القرطاس وابن الأبار وابن الخطيب وابن خلدون وصاحب الحلل الموشية والمقري ، وقد كان هذا الكتاب
يتألف من ثلاثة أجزاء لا يوجد منها الآن إلا الجزء الثاني المحفوظ في المكتبة البودليانية بأكسفورد (رقم 758)
وهو يشمل أحداث الدولة الموحدية من سنة 554 (1158 م .) حتى سنة 580 (1184 م .) ؛ وقد وقف
على تحقيق هذا الكتاب ونشره مع دراسة شاملة السيد الزميل الباحثة المغربي الأستاذ عبد الهادي التازي ،
بيروت (1964) ، (انظر عن هذا المؤرخ وكتابه الأستاذ بونس بويجس المؤرخون والجغرافيون
الأندلسيون ص 245 - 246 والمراجع المذكورة) .

(1) في الأصل : زهاد ..

(2) في الأصل إحدى .

(3) عن أهل الدار قارن ما أورده ابن القطان هنا نقلا عن ابن صاحب الصلاة بما أثبت البيهقي
(ص 29) ، وفيه زيادة عما هنا واختلاف في بعض الأسماء .

أحدهم به : عبد الواحد بن عمر ، وأبو محمد وسنار ^(١) بن محمد ، وأبو محمد عبد
عبد العزيز ، وأبو موسى عيسى ، وعبد الكريم أفعو .

..... * ^(٢) فطالما كنتم في أيام زناتة ، يأتي الرجل إلى داره ، فيجد الزناتي
| بأمره | بأمساك فرسه على باب الدار ؛ فما شبعتم الخبز إلا في أيامنا ، ولا اكتسبتم
المال إلا في دولتنا ؛ وكلما كثيراً مثل هذا . فاعترفوا بالخطأ ، واشتغلوا له بغرمه إلى أن
استوفاه بعد أن غرم فيه العمى والمبايطيل ، ثم كلفهم حصّة كثيرة بسلاحها .

باب أخبار سنة ست عشرة وخمسمائة :

من أخبار هذه السنة ابتداء إعلام الإمام المعصوم المهدي المعلوم رضي
الله تعالى عنه بإعلان أمره العزيز ومبايعة الناس له .

مقدمة لأيامه العظيمة بذكر جمليات من أموره الكريمة رضي الله عنه

نسبه ^(٣) :

هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان
ابن سفيان « بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد بن الحسن بن علي
ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم .

وقيل مثل ذلك سواء إلى عدنان ، فنسب هكذا : عدنان بن صفوان

(١) في الأصل : وسنار .

(٢) واضح أن هذا بقية كلام لمحمد بن تومرت المهدي ، ولم نستطع توجيه هذه العبارات على نحو
مقبول .

(٣) عن نسب محمد بن تومرت واختلاف الآراء فيه انظر : ابن خلدون : العبر 225/6 - 226 ؛ ابن
خلكان : وفيات الأعيان 45/5 - 46 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 172 ؛ الزركشي : تاريخ
الدولتين ص 1 ؛ الحلل المشوية 103 ؛ كتاب الأنساب ص 21 ؛ وانظر كذلك مناقشة أويشي لحلف آراء
المؤرخين القدامى في كتابه « تاريخ الدولة الموحدية » 27/1 وما بعدها .

ابن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي أبي طالب رضي الله تعالى عنهم (1) .

وقيل إنه رضي الله عنه : محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصل (2) بن حمزة بن عيسى بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم (3) .

وكان والده - رضي الله تعالى عنه - قد لقبته أخته بتومرت ، (4) ويقال له أيضا الشيخ ، ويقال له أيضا أمغار (5) . فهو عبد الله ، وتومرت ، والشيخ ، وأمغار . وعاش والده إلى أن لحقه بيجاية قافلا ، فأكد عليه في القفول (6) شوقا إليه ، فلزمه بره ، ففقل رضي الله تعالى عنه .

ولقه - رضي الله تعالى عنه :

المهدي ؛ لقبه بذلك العشرة من أصحابه ساعة مبايعتهم * له أولى بيعة انعقدت له ، كما سيأتي بعد تمام هذه المقدمة إن شاء الله تعالى .

(1) ورد هذا النسب في كتاب « الأنساب في معرفة الأصحاب » ص 21 ، على أن مؤلف هذا الكتاب أتبع ذلك بقوله إن قرابة ابن تومرت وأهل العناية بشأنه لا يعرفونه .

(2) في الأصل : مصل ، والتصويب عن كتاب « الأنساب » ؛ وفي العبر لابن خلدون : يا مصل ، وهو ينس في هذا الموضع على أنه إنما نقل هذه النسبة عن نفس ما كتبه ابن القطان (العبر 225/6) .

(3) يتفق هذا النسب مع ما جاء في كتاب « الأنساب » ، وهو ما أكد مؤلف هذا الكتاب على أنه الصحيح .

(4) في الأصل : بتومرت ، وهو يقصد أن اسم تومرت هذا إنما أطلق عليه من أجل ذلك ، أما هذه الكلمة فهي تعني على الأرجح شرباً من الأكسية الجلدية ، ومن الطريف بمناسبة هذه الكلمة البربرية ما ذكره ليفي بروفنسال عند نشره لقطعة من « نظم الجمان » تتضمن هذا النص (Mélanges René Basset) (p. 369) أن الأستاذ رينيه باسيه قد أفاده بأن هناك كلمة قزبية من هذه ما زالت شائعة لدى أهل جزر كنارياس ، وهي Tamarco ومعناها « كساء من الجلد أيضا » . وأنه ربما كانت هذه الكلمة ولفظ تومرت من أصل واحد .

(5) هذه الكلمة هي الترجمة البربرية للفظ « الشيخ » .

(6) في الأصل : القبول .

وقد وقفت على نسخة صك⁽¹⁾ كتبه رضي الله تعالى عنه للفقهاء
القاضي علي بن أبي الحسن الجذامي⁽²⁾ أوله بعد البسملة والصلاة « أقول وأنا
محمد بن عبد الله تومرت وأنا مهدي آخر الزمان » ؛ وتاريخه آخر شهر رمضان المبارك
عام أحد عشر⁽³⁾ وخمسمائة ؛ فجاء من هذا أنه كان يلقب بذلك من قبل .
وكان رضي الله تعالى عنه يلقب في صغره وهو يقرأ في المكتب « أسفو » ،⁽⁴⁾

(1) في الأصل : مك ، ولعل الصواب ما أثبتنا ؛ ونحتمل أن تكون أيضا : ما أو بما .
(2) لم تهتد لشخصية القاضي علي بن أبي الحسن الجذامي هذا ، وقد أشار ليفي بروفنسال في تعليقه على
هذا النص إلى شخص كان يسمى علي بن أحمد بن محمد الجذامي ، عاش في سبنة ، وتوفي سنة 532 هـ . (ترجم
له ابن الأبار في المعجم ، رقم 260 ؛ وابن الزبير في صلة الصلة ، ترجمة ، رقم 175) . (انظر Melanges p. 370
11. ونضيف إلى ذلك أن هذا القاضي ينبغي أن يكون من أسرة بني الحسن المشهورة التي تولى كثير من أفرادها
القضاء في رية (مألقة) بالأندلس والتي ينتسب إليها القاضي ابن الحسن النباهي الجذامي صاحب كتاب
« المرقبة العليا ، فمن يستحق القضاء والفتيا » ، ونحن نعرف من هذه الأسرة ممن يحتمل أن تكون الإشارة إليه
في هذا النص . لولا اختلاف الاسم القاضي أبا عبد الله محمد بن الحسن الجذامي المالقي الذي ولي قضاء
مرباطة سنة 515 ، وتوفي سنة 519 . كتاب المرقبة العليا المذكور . ط . ليفي بروفنسال ص 100-106) . وربما
كان أيضا أبا علي الحسن بن إبراهيم بن محمد الجذامي المالقي الذي ترجم له ابن الأبار وقال إنه رحل حاجا ،
فأخذ عنه بالإسكندرية سنة 515 ، ولم نجد ابن الأبار تاريخ وفاته (انظر معجم أصحاب أبي علي الصديقي رقم
61) . وربما يكون أبو علي الحسن هذا قد التقى بابن تومرت في أثناء رحلته إلى المشرق .

وربما كان المقصود هو أبا الحسن علي بن محمد الجذامي البرجي نسبته إلى برجة (من عمل المرة) ،
وكان مشاوراً في الأحكام ، سمع من أبي علي الصديقي ، وتوفي سنة 509 ؛ وقد ذكر له ابن الأبار موفا
مسلما ضد إخراج كتب الغزالي إذ أفتى بتأديب محرقها وتضمينه قيمتها مما أغضب عليه قاضي قرطبة ابن
حمادين ، وربما رجح هذا كون أبي علي المذكور هو الذي كتب إليه ابن تومرت الصك المشار إليه هنا ، إذ
أن موقفه هذا ضد السلطات المرابطية قد يكون مما قرب بينه وبين ابن تومرت المهدي (انظر ترجمته في
معجم أصحاب أبي علي الصديقي ، رقم 253 ؛ وابن الزبير : صلة الصلة ، رقم 153) . على أنه يحتمل هذا
الغرض أن الصك الذي كتب به ابن تومرت كان مؤرخا في سنة 511 ، بينما توفي علي بن محمد الجذامي
المذكور في سنة 509 على ما يقول ابن الأبار أو في حدود سنة 510 على ما ذكر ابن الزبير .
(3) في الأصل : إحدى .

(4) أشار إلى ذلك أيضا ابن خلدون (المعبر 226/6) ، ولو أن هذا اللفظ ورد لديه « أسام » ،
وانظر مادة « محمد بن تومرت » التي كتبها ربهني بآسيه في دائرة المعارف الإسلامية 451/2 451 .

ومعنى «أسفو» بالهيرية «الضياء» ملازمته إيقاد القنديل في المسجد للقراءة والصلاة .

وأمه رضي الله تعالى عنه :

من بني يوسف من مسكالة من أهل السوس ، من موضع أصروان يسمح ؛ وبنو يوسف هم أحوال الإمام المهدي - رضي الله تعالى عنه - ، وكانت أمه - رضي الله تعالى عنه - قد أعنست . فلما خطبها أبوه وكان فقيراً * رغبوا في مصاهرته ، فلما ولد الإمام المهدي - رضي الله تعالى عنه - اجتمع عنه أبيه وأمه هدايا كثيرة ، فكان ذلك سبباً لغنى ^(١) والد الإمام المهدي - رضي الله تعالى عنه .

ومولده رضي الله تعالى عنه :

بموضع يسمى نومكران ، وهو موضع لا ماء فيه ، وإنما يشرب أهله ماء المطر ، وهنالك داره .

وصفته ^(٢) - رضي الله تعالى عنه [عنه] :

ربعة ، مفلج الثنايا ، قليل اللحية ، في خنصر إحدى يديه شبه الخاتم من اللحم ، حضور لا يأتي النساء .

وأخلاقه - رضي الله تعالى عنه :

كان شجاعاً ، ^(٣) كريماً ، مصمماً على الحق ، لا يأخذه في الله لومة لائم ، عالماً متملياً من علوم الحديث والأصولين : أصول الفقه وأصول الدين ؛ وكان في صغره ملازماً للمسجد ودرس لوحه ؛ ليست له صبوة ولا شهوة ؛ وكان - رضي الله تعالى عنه - ينهي عن التقليد وقراءة ^(٤) كتب الرأي * مجتهداً متبحراً مصيباً في كل الأمور . رضي الله تعالى عنه .

(١) في الأصل : الغناء .

(٢) في صفة المهدي انظر كذلك ما جاء في روض القرطاس لابن أبي زرع ص 181 .

(٣) في الأصل : سجاعاً .

(٤) في الأصل : وقرات .

عصمته رضي الله تعالى عنه :

وهذه الصفة كرامة من كراماته رضي الله تعالى عنه خصه الله تعالى بها ، وينقل أحاد أشخاصها تتحقق جملتها .

فمن عصمته رضي الله تعالى عنه : عصمته من أهل الإسكندرية ، فإنه رأى بها مناكر فغيرها ، وأغلظ في أمرها ، فقامت عليه العامة والغوغاء ، فصاروا يقطعون به في طريقه إلى مجلس الطرطوشي ⁽¹⁾ - رحمه الله تعالى ولم ينله من أسهم على غربته وشحط داره - أكثر من هذا ؛ فلما فقد الطرطوشي بحث عنه حتى أعلم بمكانه ، فقصده إليه وهو في مسجد الأخضر ⁽²⁾ على ساحل البحر ، فترامى عليه ، وصافحه ، وسأله عن سبب غيبته عن مجلسه ، فعرفه بشأن أولئك الغوغاء ، ⁽³⁾ وأنه يريد الإياب إلى المغرب ، فودعه - رضي الله تعالى عنه - وانصرف .

(1) هو أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المعروف بابن أبي رندقة ، ولد في طرطوشة Tortosa سنة 451 ، ودرس في بلده وفي سرقسطة ، إذ كان تلميذاً للفقير المعروف أبي الوليد الباجي ، وكانت له رحلة إلى المشرق في سنة 476 حج فيها ودرس في بغداد والبصرة ودمشق وبيت المقدس والقاهرة ، واستقر أخيراً في الإسكندرية ، وهو صاحب كتاب « سراج الملوك » الذي انتهى منه في سنة 516 وأهداه إلى الوزير المصري المأمون البطائحي . وكانت وفاته في سنة 520 (انظر في ترجمته المادة التي كتبها عنه الأستاذ محمد بن أبي شنب في دائرة المعارف الإسلامية 378/2) والمراجع المذكورة ، والمادة التي صدر بها ألاماركون Maximiliano Alarcon الترجمة الإسبانية التي اضطلع بها لكتاب « سراج الملوك » تحت عنوان Lámpara de los Principes ، وقد نشرت هذه الترجمة في مدريد سنة 1930 .

(2) كذا في الأصل ، وقد أشار ليفي برونفيسال عند تعليقه على هذا النص (Mélanges, p. 372, n.) (3) إلى أنها قد تكون تحريفاً للفظ « الأخضر » إذ أن من مساجد الإسكندرية المعروفة مسجداً يسمي للخضر عليه السلام (انظر مادة الإسكندرية التي كتبها روفن جيست Rhuvon Guest في دائرة المعارف الإسلامية 571/2) ، وهناك باب من أبواب الأسوار القديمة في مدينة الإسكندرية مازال معروفاً باسم « الباب الأخضر » ، وربما كان المسجد الذي يشير إليه ابن القطان في هذا النص موجوداً على مقربة من ذلك الباب .

(3) في الأصل : الغرقاء ، وقد قرأها ليفي برونفيسال : العزقاء ، ونظن أن الصواب ما أثبتنا .

(10 ب) ومن عصمه - رضي الله تعالى عنه - منع أهل * المركب من تغريقه ، وقد هموا بذلك ، وما أظهره الله تعالى في ذلك من العبر ، وذلك أنه - رضي الله تعالى عنه - ركب البحر في سفينة من الإسكندرية يريد بلاد المغرب ، فرأى في المركب خمرا ، فأراقه ، فصاح عليه صاحب الخمر وسبه ووضع يده فيه ، فاجتمع أهل المركب إليه ورغبوه حتى سكت ؛ ثم حضر وقت الصلاة ، فأمرهم بالصلاة ، فلم يلتفتوه ، فشدد عليهم ، فغضبوا وهو باللقائه من المركب ، فهال عليهم البحر ، وكادوا يفرقون ، فقام إليهم رجل حاج فقال لهم : تداركوا أنفسكم بإرضاء هذا الرجل لعل الله تعالى يفرج عنكم ! فأقبلوا نحوه متضرعين راغبين ، فقال لهم - رضي الله تعالى عنه - صلوا ، فتوضأوا وصلوا ، فكشف الله تعالى ما بهم ، وجرت السفينة بريح طيبة ؛ فصاروا يطلبون منه الدعاء كل يوم (1) .

ومن عصمه - رضي الله تعالى عنه - منع علي بن يحيى بن تميم (2) منه ، وهو صاحب « المهديّة » ، ونجاته - رضي الله تعالى عنه - من شره ، وذلك أنه لما احتل بالمهديّة - رضي الله تعالى عنه - رأى بها سوقا تباع فيه الخمر ، فكسر دنانها وأراقها ، وغير المنكر . فغيظ بذلك واليها على المذكور . وهم به ، ثم رأى

(1) وردت هذه القصة مع بعض الاختلاف في تفاصيلها لدى ابن خلكان : الوفيات 46/5 ، وابن الأثير : الكامل 294/8 ، وعبد الواحد المراكشي : المعجب ص 246 .

(2) ذكر ابن خلكان أن محمد بن تومرت انتهى إلى المهديّة بعد سفره من مصر في عهد يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي (الوفيات 47/5) ، وقد جعل ذلك في سنة 505 ، وكان قد ذكر في ترجمة تميم بن المعز أن يحيى هذا أن ابن تومرت قد اجتاز بالمهديّة في عهده بعد عودته من المشرق (الوفيات 305/1) ، وذلك نقلا عن كتاب « أخبار القيروان » لعبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز ، وقد نبه ابن خلكان على ما في ذلك من تناقض واضطراب ، أما ابن الأثير فإنه يتفق مع ابن خلكان في الرأي الأول ، وهو أن ابن تومرت دخل المهديّة في سنة 505 في أيام يحيى بن تميم (الكامل 294/8) ، وذلك خطأ ، إذ أن دخول ابن تومرت المهديّة لم يحدث إلا في سنة 511 في عهد علي بن يحيى بن تميم الذي حكم إمرة بقرية ما بين سنتي 509 و 515 .

أن يوجه إليه المازري⁽¹⁾ الفقيه : فتوجه إليه وعاتبه ،⁽²⁾ ورفق به وقال له : أخاف عليك عاديته وعادية جنده ! فخرج إلى المنستير .

ومن عصمه - رضي الله تعالى عنه - منع العزيز بن منصور بن الناصر بن علاء الناس بن حماد⁽³⁾ منه . وقد غاظه⁽⁴⁾ وأغضبه ، وسلامته - رضي الله تعالى عنه - من غذوه ، وهو ملك بجاية ، وذلك أنه - رضي الله عنه - لما دخل بجاية لقي به الصبيان في زِي النساء بالصفائر والأحراس⁽⁵⁾ والزينة وشواشي⁽⁶⁾ الخز ، وألقى⁽⁷⁾ الأزدال قد فتنوا بذلك وانهمكوا . فغير المنكر جِدّه ، وأزال ذلك الزي مستطاعه .

ثم حضر عيداً ، فرأى فيه من اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتزينين المتكحلين ما لا يحل ، فزجرهم وغير ذلك عليهم فوقعت لأجل ذلك نفرة . استطال فيها الشر ، وسلب النساء حلينها ، وقام الهرج ، فسأل العزيز عن سبب ذلك ، فعرف بأنه لا سبب له إلا الفقيه السوسي ، وكذلك كان - رضي الله تعالى عنه - يعرف بالمشرق ، ووجد المشنعون سبيلا إلى القول فيه ، فقالوا وأوغروا⁽⁸⁾ عليه قلب العزيز ، فأمر بجمع الطلبة لمناظرته في جرأته على الملوك .

(1) هو الفقيه المالكي أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر القيمي المازري الصقلي المتوفى سنة 516 م (انظر في ترجمته كتاب الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا : الإمام المازري من منشورات ، لـ . البعث الثقافي - ط . تونس 1955) . هذا وقد ذكر الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في كتابه (ص 52) أن محمد بن تومرت المهدي تعلم على الإمام المازري .

(2) في الأصل : وعاديت ، ونظنها تحريفاً لما أثبتنا .
(3) العزيز بن المنصور بن الناصر بن علاء الناس (علناس) الحمادي أمير المغرب الأوسط (بجاية وبونة والجزائر وقسنطينة) ، ولي الحكم سنة 498 هـ . (1105 م .) حتى وفاته في سنة 515 (1121 م) . انظر مادة « بني حماد » في دائرة المعارف الإسلامية بقلم الأستاذ ج . إيفير (268/2) .

(4) في الأصل : غاضه .

(5) أي الاسورة .

(6) جمع شاشية ، وهي غطاء للرأس (انظر دوزي : ملحق القواميس العربية 802/1) .

(7) في الأصل : وألقى .

(8) في الأصل : وغروا .

فاجتمعوا في دار أحدهم ، واحتفلوا ⁽¹⁾ في إعداد المطاعم والمشارب ، ووجهوا عن الإمام رضى الله تعالى عنه - إلى المسجد الذي كان يحل فيه ، فامتنع من الوصول إليهم . فوجهوا إليه الكاتب عمر بن فلفول ، ⁽²⁾ ففلاصقه وأقسم عليه ورغبه وتضرع إليه حتى أسعفه ، فوصل إليهم ، فناظره وساءلوه ، فأجابهم ما أسكتهم ، ثم سألهم فما أثاروا جوابا . ولاطفه ابن فلفول عند ذلك براوده على ترك ما هو بسبيله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

..... * بها إلى الباطل ، وطاعة أهل التجسيم بالفساد ، والانحياز إلى جنبتهم ، لينالوا بذلك غرضهم . ويصلوا إلى بغيتهم ، وقالوا لهم : طاعتهم والانقياد لهم واجب عليكم مع علمهم بعتاة الظلمة وخروجهم عن السبيل ، وقالوا لهم : يجب عليكم مع علمهم - السمع والطاعة في كل ما أمروكم به ، مع علمهم أنهم لا يأمرؤن إلا بالباطل والفساد والضلال وهلاك الحرث والنسل ، وقالوا لهم : تلزمكم طاعتهم في ذلك كله اتباعاً لأهواء الكفرة واقتراء على الله ، وبغضوا إليهم أهل التوحيد ، وحذروهم من الرجوع وسلوك سبيلهم ، وحاولوا تبديل الكلام وتعريف القول بالزور والبهتان ، وتقولوا علينا بما لم نقل تهجيناً وتبغيضاً للحق عند العوام حتى لا يصغوا إليه ولا يقبلوه ، وعدوا لهم جملاً من الأبواب ، ونسبوا ذلك كله إليه ، وأنهم أحدثوا من المناكر والمغامر ، وتقلبهم في السحت والحرام ، يأكلون منه ويشربون ، ويغدون ويروحون .

وقال كعب بن عجرة ⁽³⁾ : ما من لحم نبت من سحت إلا كانت النار

(1) في الأصل : واحتفلوا .

(2) في الأصل : فلبول ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، وستر بعد ذلك بقليل كما ذكرنا .

(3) كعب بن عجرة صحابي روى له عن رسول الله (صلعم) سبعة وأربعون حديثاً ، وروى عنه عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم وآخرون ، سكن الكوفة وتوفي بالمدينة سنة 51 أو 52 أو 53 هـ . (انظر ترجمته لدى النووي : تهذيب الأسماء واللغات ط . القاهرة ق 1 - 68/2) . هذا وقد ورد هذا النص وما يليه في كتاب « أعز ما يطلب » لمحمد بن تومرت المهدي باختلاف قليل (انظر ص 261 وما بعدها) .

أولاً : به ، وقال : قال رسول الله ﷺ : أعيذك بالله يا نعب بن عجرة من أمراء
 رثوانك . بعدى ، لا فمن غشي^(١) أبوابهم وصدقهم على كذبتهم وأعانهم على^(٢) ١٧١
 طائفة من الناس منى وليست منه ولا يرذ الحوض على^(٣) .

وذكر قول رسول الله ﷺ وملائكته الكرام عليه وسلم^(٤) : وددت أني
 قد رأيت إخواننا ! قالوا : يا رسول الله ، ألسنا بإخوانك ؟ قال : بل أنتم
 أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، وأنا فرطهم على الحوض .
 قال :

ففيه تنبيه على طائفة الحق الذين صبروا على دينهم بعده ، وتمسكوا بسنة
 رسولهم عليه الصلاة والسلام ؛ وفيه تنبيه على طوائف أهل الباطل الذين تركوا دينهم
 بعده وارتدوا وبدلوا وغيروا وجسموا وعاندوا الحق .

قال عليه الصلاة والسلام : فليذاذن رجال عن حوضي كما يذاذ البعير
 الضال ، أناديهم : ألا هلم ! ألا هلم ! فيقال : إنهم قد بدلوا وغيروا بعدك ،
 فأقول : فسحقاً ! فسحقاً ! فسحقاً !

وحذر رضي الله عنه - من الملبسين الذين يتوسلون بفتياهم إلى باطلهم
 وأهوائهم ، ونص قول رسول الله ﷺ وملائكته الكرام عليه وسلم أن : لا يقبض
 العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم لقبض العلماء . حتى إذا لم

(١) في الأصل : وغشا .

(٢) جاء هذا الحديث مع خلاف يسير في بعض ألفاظه في صحيح البخاري (ط . القاهرة سنة
 1312 هـ) 46/9 ؛ كما أثبتة أيضاً السيوطي في كتاب الجامع الصغير (انظر فيض القدير للمناوي 361/6) ؛
 وراجع « أعز ما يطلب » لابن تومرت ص 261 - 262 ، وقوله (ص) « وأنا فرطهم على الحوض » أى
 سابقهم إليه .

(٣) جاء هذا الحديث وبقية الواردة بعد في سنن النسائي (بشرح السيوطي وحاشية الإمام السندي
 ط . القاهرة سنة 1930) 160/7 - 161 ؛ وانظر « أعز ما يطلب » ص 261 .

181 | يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير * علم ، فضلوا وأضلوا . (1)
وهو في الصحيحين ، وهو مشاهد في الوجود محسوس .

وحذر من أعوانهم الذين رجعوا إليهم وباعوا دينهم بِعَرَضٍ من الدنيا ،
يصبح أحدهم مؤمناً ويمسي كافراً ، يبيع أحدهم دينه بدنياه غيره ، ونص قول
رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : بادروا بالأعمال فتنا
كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح
كافراً ، يبيع دينه بعرض (2) من الدنيا (3) .

قال :

وفتنة الدين أكبر ، إذ لا فتنة أعظم من الارتداد والتبديل والتغيير .

وحذر من أعوانهم عبيد الدينار والدرهم والخميصة (4) الذين كانوا تحتمهم في
الذل والهوان ، تركوا دينهم وخسروا آخرتهم ، ابتغاء مرضاتهم خوفاً على دنياهم ،
ورضاهم ممنوع لا يدرك ، ودنياهم فانية لا تبقى ، فخسروا الدنيا والآخرة ،
ملعونين على لسان رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم :

(1) ورد هذا الحديث في صحيح مسلم (ط . القاهرة سنة 1333 هـ .) 60/8 ؛ وراجع « أعز ما
يطلب » ص 261 .

(2) في الأصل : بغرض .

(3) ورد هذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل ، ومسند الترمذي وصحيح مسلم (انظر عبد
الرؤوف المناوي : فيض القدير شرح الجامع الصغير 193/3) .

(4) الخميصة الكساء الأسود المعلم ، وهو يشير هنا إلى الحديث النبوي الشريف « تعس عبد
الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة : إن أعطى رضى وإن لم يعط لم يرض » ، إشارة إلى فتنة المال .
(انظر صحيح البخاري 92/9 وسنن المصطفى لابن ماجة القزويني 534/2 ؛ وقد ورد هذا الحديث أيضا
في « بيان طوائف المبطلين من المثلثين والمجسمين وعلاماتهم » من كتاب « أعز ما يطلب » لابن
تومرت ص 263) .

للاكلة لا يكافهم الله يوم القيامة ولا يركبهم ولهم عذاب أليم ... الحديث ، وفيه : ...
رجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا ، فإن أعطاه منها وفى ، وإن لم يعطه منها لم يف⁽¹⁾ .
قال :

فإذا بهم يميلون مع الدنيا حيث مالت ، لا عهد لهم ولا ميثاق ، ولا لمن ...⁽¹⁸⁾
وافى مرادهم ، هذه حالهم المشاهدة منهم .
قال :

وقد أمر رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم بمخالفة
أهل الباطل في رأيهم وأفعالهم . وقال : خالفوا اليهود وخالفوا المشركين⁽²⁾ .
قال :

وكذلك المجسمين ، هم يشبهون النساء في تغطية الوجوه والتلثم⁽³⁾ والتنقب⁽⁴⁾ ،
ويشبه نساؤهم بالرجال في الكشف عن الوجوه بلا تلثم ولا تنقب⁽⁵⁾ ، وقد لعن رسول
الله ﷺ⁽⁶⁾ التشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ، فقد شملتهم
اللعنة جميعاً ، ومن كثر سواد قوم فهو منهم .

-
- (1) جاء هذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل ، وتماه : « ... رجل على فضل ماء بالقلاة يمنع من
ابن السيل ، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر ، فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا ، فصدقه ، وهو
على غير ذلك ، ورجل بايع إماماً ... الخ (انظر فيض القدير للمناوي 330/3 - 331) .
(2) الحديث : « خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم » وقد أورده أبو داود والحاكم
والبيهقي ، وزاد ابن حبان في روايته « ... والنصارى » (انظر فيض القدير 431/3) .
(3) في الأصل : والتلثم .
(4) في الأصل : والسقب .
(5) في الأصل : تنف .

(6) يشير إلى الحديث النبوي الشريف « لعن الله التشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من
الرجال بالنساء » وقد أورده هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد بن حنبل في مسنده (انظر
فيض القدير 271/5) ؛ وهناك أحاديث أخرى في نفس المعنى منها حديث « لعن الله الخبيث من الرجال ،
والمترجلات من النساء » أورده البخاري في كتاب « الأدب المفرد » والترمذي (انظر فيض القدير 271) ؛ =

وقال الله تعالى : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾^(١) ... الآية ،
 وقال تعالى : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾^(٢) ...
 الآية ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ يأبىها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون
 إليهم بالمودة ﴾^(٣) .. الآية ، وقال سبحانه : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾^(٤) ، وقال
 سبحانه : ﴿ ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾^(٥) . وقال رسول الله صلى الله تعالى
 وملائكته الكرام عليه وسلم : « الحب والبغض في الله من علامات اليقين »^(٦) .

١٩ أ « وطاعتهم حرام لأنهم كفار ومنافقون ومتبعو الهوى ومعتدون ومفسدون
 وجاهلون . قال الله تعالى في تحريم طاعة الكافرين : ﴿ يأبىها الذين آمنوا إن تطيعوا
 الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾^(٧) . وقال سبحانه في تحريم
 طاعة المنافقين : ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾^(٨) . وقال في تحريم طاعة من اتبع
 الهوى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ﴾^(٩) وكان أمره فرطاً^(١٠) .
 وقال سبحانه في تحريم طاعة المعتدين : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ، همار مشاء
 بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم ﴾^(١١) ... الآية . وقال سبحانه

- وكذلك حديث « لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل » ، أورده الحاكم
 الهسبورى في « المستدرک » (فيض القدير 269/5) .

- (١) سورة هود ، آية رقم 113 .
- (٢) سورة المجادلة : آية رقم 22 .
- (٣) سورة الممتحنة ، آية رقم 1 .
- (٤) سورة المائدة : آية رقم 51 .
- (٥) سورة الممتحنة ، آية رقم 9 .
- (٦) جاء في صحيح البخاري (11/1) : والحب في الله والبغض في الله من الإيمان .
- (٧) سورة آل عمران ، آية رقم 149 .
- (٨) سورة الأحزاب ، آية رقم 1 ، وآية رقم 48 .
- (٩) في الأصل : هوبه .
- (١٠) سورة الكهف ، آية رقم 28 .
- (١١) سورة القلم ، آيات 10 - 13 .

في تحريم طاعة المفسدين : ﴿ ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ . ^(١) وقال عز وجل في تعريم طاعة الجاهلين : ﴿ ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، إنهم لن يغفوا عنك من الله شيئا ﴾ . ^(٢) وقال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته المقربون الكرام عليه وسلم : « على المرء السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » . ^(٣)

واستدل على وجوب قتالهم بقول الله عز وجل : ﴿ يأيتها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدا فيكم غلظة ﴾ ^(٤) ... الآية ، ويقول رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : على المرء السمع والطاعة ، أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا « لا إله إلا الله » فمن قالها فقد « عصم مني ماله ^{١٩١} ونفسه إلا بحقه . وحسابه على الله » ؛ فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقلا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ؛ فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : فو الله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أمي بكر للقتال ، فعلمت أنه الحق . ^(٥)

(١) سورة الشعراء ، آية رقم ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) سورة الجاثية ، آية ١٨ - ١٩ .

(٣) ورد هذا الحديث مع بعض الاختلاف في ألفاظه في سنن المصطفى لابن ماجة القزويني (ط . القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ .) ٢٠٢/٢ ؛ وفي صحيح البخاري ٤٩/٤ - ٥٠ ؛ وفي سنن النسائي ١٦٠/٧ ؛ وفي سنن أبي داود (ط . القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .) ٤٠٩/١ .

(٤) سورة التوبة ، آية قم ١٢٣ .

(٥) ورد هذا الحديث وما تلاه من كلام أمي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في صحيح البخاري ١٤/١ ، وكذلك في ١٠٥/٢ ؛ وفي سنن النسائي ١٤/٥ - ١٥ ؛ وفي سنن ابن ماجة ٤٥٧/٢ ؛ وفي سنن أبي داود ٤١١/١ .

قال الإمام رضي الله تعالى عنه :

فكل من منع فريضة من فرائض الله عز وجل فحق على المسلمين جهاده ⁽¹⁾
حتى يأخذوها منه ، فكيف من منع الإيمان والدين والسنة ؟ !

وقال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : « ما من نبي
بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمة حواريون وأصحاب يأخذون بسنته
ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون
ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة
خردل » .

ونلا قول الله عز وجل : « ولولا دفع ⁽²⁾ الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
صوامع وبيع وصلوات ومساجد » ⁽³⁾ ... الآية .

فكل هذه مما جاء به الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه مما يشهد بصدق
ما أنى به وسعة علمه وعصمته ، * فكل هذه العلامات التي ناطها بالقوم الذين
نولى تغيير ما أتوا به دالة على أشراط الساعة وأنه - رضي الله تعالى عنه - هو
الإمام المهدي المنتظر الموعود - رضى الله عنه - ، وهذا أمر قد وضع بيانه ،
وسبح برهانه ، وسطع ضياؤه ، وارتفع سناؤه ، فسيان الإسهاب ⁽⁴⁾ في ذلك
والاختصار ، والإطناب والاقتصار .

ومما رأينا كتبه في هذا المعنى لحسن مساقه ، وعجيب اتساقه :

(1) في الأصل : جهادهم .

(2) في الأصل : دفاع .

(3) سورة الحج ، آية رقم 40 .

(4) في الأصل : الانتهاب .

رسالة خاطب بها أبو عبد الرحمن بن طاهر⁽¹⁾
 حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الأول الإمام
 أمير المؤمنين أبا محمد عبد المؤمن بن علي
 رضي الله تعالى عنه

يثبت فيها أمر الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه بالدليل والبرهان على
 طريق المنازعة بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة بالسوء عقلا ونقلا

وهي هذه بنصها :

بسم الله الرحمن الرحيم
 صلى الله على سيدنا محمد وآله .

(1) نظن أن المعني هنا هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن طاهر المرسى ، وهو من أسرة بني طاهر المشهورة التي تداولت رئاسة مدينة مرسية Murcia و كورتها فترة طويلة ، وجده وسميه أبو عبد الرحمن بن طاهر هو الذي تغلب على مرسية أيام ملوك الطوائف حتى أخرجه منها واعتقله أبو بكر بن عمار وزير المعتمد بن عباد ، وتوفي أخيراً في بلنسية سنة 507 (راجع عن ابن طاهر هذا ابن بسام : الذخيرة - القسم الثالث ص 24-40 ؛ ابن عبد الملك : الذيل والتكملة 5/590 ، ترجمته 1165 ب ؛ ابن خاقان : فلتاند العقيان ص 56-70 ؛ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص 160 ، 201-203 ؛ ابن سعيد : المغرب 2/247 ؛ وانظر الفصل الذي اختصه به وبينه المستشرق الأستاذ جاسبار ريمرو في كتابه « مرسية الإسلامية » ص 105-116 ، Gaspar Remiro : Historia de Murcia Musulmana, Zaragoza, 1905 ، أما المقصود في هذا النص فقد ترجم له ابن الأبار (التكملة رقم 774 ص 238) وقال إنه تفقه ورحل إلى قرطبة وسمع من شيوخها ، أجز له ابن العربي وغيره ، وكان يذهب في جميع ما يحمله إلى الدراية ، ثم طالع العلوم القديمة فبرز فيها وصار من أئمتها ، وتولى رئاسة بلده مرسية بعد انقراض دولة المرابطين ، وكانت وفاته بمراكش سنة 574 . ولعل ابن الأبار يشير إلى كتابته الرسالة الواردة هنا إذ يقول في ترجمته المشار إليها « وتلون للناس رغبة في السلامة » ، فهو يعني على ما نرجح ترفقه إلى الموحدين بكتابة مثل ذلك ، ولعله من أجل هذه الرسالة كافأه عبد المؤمن بن علي بتوليته على بلده مرسية كما ذكر ابن الأبار . وهناك ترجمة أخرى لابن طاهر في « الحلة السيرة » لابن الأبار أيضا (227/2 - 235) ، كما ترجم له أيضا ابن عبد الملك المراكشي في « الذيل والتكملة » ، المجلد السادس رقم 896 ص 338-339 ، فقال إنه طالع العلوم القديمة فبرز فيها وإنه « خاطب عبد المؤمن بمقالة علمية يقرر فيها صحة أمر المهدي القائم بأمر الله وبعث بها إليه ، ثم قد بها عليه » ، وليس هناك شك في أن ابن عبد الملك إنما يعني « بالمقالة العلمية » المذكورة هذه الرسالة .

أقول بعد حمد الله تعالى والصلاة على محمد المجتبي وعلى عترته (1) أهل الفضل والنهي .

بينما كنت متحير « النفس ، نازع الأنس ، لكوني مقيماً في مدن جاهلية ، وسير فاسدة خسية ، وفتن مدهمة ، وأمور على الجملة مخيفة مهمة ، إذ كان كل ذى فتنة منهم يدعو إلى الشرور المحظورة ، ويضطرنا إلى أن ندخل معه في الأمور المحذورة ، متشوقاً إلى مدينة فاضلة ، وإمرة عادلة ، وسيرة شرعية كاملة ، نجب الهجرة إليها عقلاً وشرعاً ، من جهة أنها حق طبعاً ، غريباً في هذه الدنيا ، ردى العيش خير لي أن أموت من أن نحيا - إذ وافاني بعض الإخوان معلماً أنه من المهاجرين إلى حضرة إمام الموحدين المسمى حقيقة بأمر المؤمنين عبد المؤمن ابن علي رضي الله تعالى عنه ، فتنسمت ريح الحياة اللذيذة الشرعية ، واستشعرت الإزاحة عن هذه المدن الضالة الجاهلية ، وقلت : عسى أن الحياة الآن هي الخير ، لنزداد من فعل ما نسعد به ، إذ قد ارتفع العائق والضير !

ثم إنه نازعتني نفسي النزوعية ، وقالت لي :

- أنى لك بحقيقة هذه الأرجحية ؟!

وردت عليها النفس المطمئنة الفكرية :

وهذه النفس النزوعية هي التي عنها القائل * بقوله :

أقول لنفسي حين فاجأها الردي ولاذت (2) فراراً من يسار إلى يُمْنى
قرى تحملي بعض الذي تكرهينه فقد طالما اعتدت الفرار إلى الأهنى

والنفس اللائذة هي النزوعية ، والقائلة للنزوعية : « قرى تحملي ... » هي المسماة عند نحوي العرب ضمير المتكلم ، وهي النفس النطقية الفكرية ، وهذا بعينه عنى القائل بقوله :

قالت لى النفس لى في أذى وقذى فقلت : صبراً وإجمالاً كذا يجب

(1) في الأصل : عترته .

(2) في الأصل : ولانت .

وهذه النفس النطقية هي النفس المطمئنة التي قال الله تعالى فيها : ﴿ يَا أَيُّهَا
النفس المطمئنة . ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي
جنتي ﴾ (1)

والنفس النزوعية هي التي قال الله تعالى فيها : ﴿ إِنَّ النِّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (2)
وهي التي تضاد كثيراً النفس المطمئنة ، وذلك أنه إذا حكمت النفس المطمئنة أن
الإمام المهدي أبا عبد الله محمد بن عبد الله الفاطمي - رضي الله تعالى عنه - مهدي
على الحقيقة ، وملك على الإطلاق ، وإمام أول ، وأنه الذي بشر به جده محمد صلى
الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، فكان ينتظر ويؤمل - قالت الأمانة بالسوء :

- وكيف ذلك ؟

قالت المطمئنة :

- ألم تكن مدن المثلثين مدناً ضالة فاسقة خبيثة ، « نذلة في الغاية ، (1) 21
تُعْلِيَّةٌ حسبها تقدم وبين في « رسالة الإمامة » ؟ وكان كل إنسان يظن لضعف
يقينه أن خلعه من المحال ، وأنه لا يستطيع عليه على حال ؟ وإنهم سرحوا الناس
وأنفسهم إلى الأفعال البهيمية ، وأزاحوهم وأزاحوا أنفسهم عن الأفعال الجميلة
الشرعية ، وجعلوا الناس شبه الآلات ليستبدوهم (3) بالأموال والكرامات ، وبالجملة
بجميع اللذات ؟ نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، « ومن يضلل الله فلن تجد له وليا
مرشداً » ؛ (4) وإن المهدي أبا عبد الله محمد بن عبد الله - رضي الله تعالى عنه -
قام لإطفاء هذه النار مستعداً ، إذ لم يجد عن ذلك في الشريعة بداً ، فبادر - رضي الله
تعالى عنه - لها مشمراً مجدداً ، وذكرنا الأوضاع النبوية ، ونبه على الطرق الشرعية ،
وحض على المسالك الأخروية ، وخسست تلك السير الجاهلية ، والسياسات الفاسقة

(1) سورة الفجر ، آيات رقم 27 - 30 .

(2) سورة يوسف ، آية رقم 53 .

(3) كذا ، وهي تحتل وجهها من التأويل ، يعني يستبدوا بهم ، وقد تكون تحريفها للفظ
« يستبدوهم » .

(4) سورة الكهف ، آية رقم 17 .

الديناوية ، فأعانتة الحكمة الإلهية ، ⁽¹⁾ وأتى في ذلك بالعجب العجيب ، والأمر الغريب ، والله عز وجل يؤيده وينصره ، ويصرف إليه نفوس أهل التوحيد ويظفره ، حتى أعلى به كلمة أهل التوحيد ، وجعله رحمة لقوم مؤمنين ، وأتاح له من الظهور ، والسنا المشهور ، ما ملأ الأقطار البسيطة واستوفاه ، وأوفى « بالأمنية على منتهاها ، والأمر حتى الآن ينساق ويتصل ، ويطرد ولا ينفصل ، وكل ما جاء به هو الذي ندب إليه جده صلى الله تعالى عليه وملائكته الكرام وسلم . أيها الناس ، فليس هذا قد جاء بهدى ؟ فهو مهدي حقيقة ضرورة .

فقلت الأمانة :

- بلى ، سلمت ، وألقيت بيدي إليك في البيان واستسلمت ، ⁽²⁾ فكيف هو إمام أول ، وملك على الإطلاق ؟

قالت المطمئنة :

- أليس القول قد تواتر عندنا أنه آثر ما ينبغي أن يؤثر ، واجتنب ما ينبغي أن يجتنب ؟ وهل تحصل هذه الخصال لإنسان حتى يعرف الفضائل التي هي فضائل بالحقيقة حق معرفتها ، ويعود نفسه أفعالها حتى تصير له هيئة وملكة ، ويعرف الفضائل ثلاثة حسبا قد تبين في كتابنا في « الفضيلة والرذيلة » ؟ وهل تصح المعرفة بهذه على وجهها إلا لمن عرف مراتب الموجودات ، وله قدرة على إنزال كل شيء منها منزله وتوفيقه حقه ، حقه الذي هو قسطه ورتبته ⁽³⁾ من مراتب الموجودات ؟ وهل يمكن ذلك حتى يعلم السعادة القصوى بالحقيقة ما هي ، ويحصل أفعالها كلها لتحصل له السعادة ، وتديروا الناس تديراً يحصل لهم به السعادة ؟

وإذا نحن تأملنا أفعال المهدي رضي الله تعالى عنه في خاصة نفسه المتواترة عندنا وجدناها فضائل بالذات خافية ، وإذا تأملنا تديروا للناس وجدناه كله

(1) في الأصل : إلهية .

(2) في الأصل : واستلمت .

(3) قد تكون أيضا : ومرتبته .

يبحر نعيم السعادة الحقيقية ، فهو عارف ضرورة بالمهنة الملكية ، وبالفضائل * (1) العملية ، وإذا تأملنا تواليفه في العلوم وأغراضه وإغماضه كما حكى لنا عنه أنه ذكر له أمر الرجل المعروف بالغزالي كان ، فقال : « ذلك الرجل قرع الباب ولم يفتح له ! » ، أو « ولم يؤذن له » أو « ولم يلج » ، حسبما قال باختلاف الروايات عنه - وماشاكل هذه الأغراض السنية الرفيعة التي لا تصدر إلا عمن استولى على المعارف النصرية ، (1) وتواليفه تشهد لنا بحقيقة هذه القضية ، فإذا هو عارف بالفضائل الفكرية ، والفضائل الخلقية ، وهذا هو الإمام الأول الذي يستحق أن يكون ملك المعمورة الكونية ، وارتفعت درجته عن أن يكون خادماً لشيء من الأجزاء المدنية ، بل مدبراً للكل ، حتى تحصل للناس السعادة الحقيقية . ذلك هو الفوز العظيم ! وهذا هو الإمام الأول على الإطلاق ، أي يستحق أن يكون ملك الناس أجمع بالواجب والاستدلال ، (2) إذ عنده صناعة الملك ، وتدير المدن قولاً وفعلًا ، لا يفوته شيء من ذلك أصلاً ، اتفق أن أطاعه ناس أم لا ، وهو في ذلك كالطبيب العارف بصناعة الطب ، فهو طيب في الحقيقة وإن لم يستفته ناس * (3) ولا عالج مريضاً ، هذا هو الحق في نفسه .

ولما رأى أقوام ألا (3) يوقعوا اسم الملك على من لم يكن مطاعاً في مدينة ، وآخرون يضيفون (4) إلى ذلك القهر والتخويف - قلت إنه ملك على الإطلاق ، أي على كل جهة من الوجوه ، إذ كان رضي الله عنه مطاعاً يقهر الظالم ويخوف الفاسق ، ولما كانت هذه اللفظة - أعني « على الإطلاق » - تقع على معنى قولنا « على التحقيق » وتقال على أنحاء شتى منها هذان النحوان : (5) أنه ملك على

(1) لعلها : النظرية .

(2) في الأصل : والاستهلاك ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

(3) في الأصل : لا .

(4) في الأصل : يصيغون .

(5) في الأصل : هذين النحوين .

التحقيق ، وعلى كل جهة أيضا - فإذا قد صدق القول في المهدي إنه - رضي الله تعالى عنه مهدي على الحقيقة ، وإنه ملك على الإطلاق ، وإمام أول .

قالت الأمانة بالسوء :

- لا جرم ما قضى به الحق تبين ، فانقدت لذلك وأذعنت ، بيد أنه بقيت واحدة ، فأنى لك بها ؟ وكيف أنقاد لك فيها ؟ وهي قولك : إنه ⁽¹⁾ الذي بشر به صاحب الشريعة صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ؟

قالت المطمئنة :

الآن تقهرك الحجج ⁽²⁾ الشرعية ، وتبهرك الأقاويل المقنعة الحقيقية :
أليس أمها الأمانة بالسوء ⁽³⁾

[قالت الأمانة بالسوء : ⁽⁴⁾

- بلى !

قالت المطمئنة :

1411 - ورسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي * يوحى ؟ ⁽⁵⁾

فقلت الأمانة بالسوء :

- بلى !

قالت المطمئنة :

(1) في الأصل : إن .

(2) في الأصل : الحاج .

(3) يظهر أن كلمات سقطت من هذا الموضع على الرغم من أن الناسخ لم يترك في موضعها
بهاضا .

(4) زيادة يقتضها السياق .

(5) إشارة إلى الآيات القرآنية « وما ينطق عن الهوى .. الخ » ، سورة النجم ، آية رقم 3-4 .

- فلينظر الآن أوصافه - عليه الصلاة والسلام للمهدي الذي بشر به أنه يكون في آخر الزمان ، فإن صدقت تلك الأوصاف على المهدي أئى عبد الله محمد بن عبد الله رضي الله تعالى عنه لزمك أن تتقضى إلى الحكم بأنه المهدي الذي بشر به رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم .
فقلت الأمانة بالسوء :

- لا أسلم لك نتيجة هذا القياس ، إذ ليست ضرورية ، ولا أصفقت عليها إصفاقا ، وعسى أن تكون تلك الصفات اتفقت فيه اتفاقا ، ثم إن المهدي المبشر به الحامل لتلك الصفات سيأتي في المستقبل ، فأنى لك أن هذا هو المبشر به المنتظر المؤمل ؟

قلت المطمئنة :

- هيات ! قد تناقضت أيتها الأمانة بالسوء ولم تشعري ، وكفرت من حيث لم تدبري ! وذلك إذ ⁽¹⁾ قلت « وعسى أنه اتفق » إن وجدت فيه صفات المهدي ، فليس هو أحق أن تقولي فيه هذا من أن تقولي في الذي يأتي في المستقبل على ظنك الردى ، وكذلك إلى غير * نهاية ، ولا أمد أقصى ⁽²⁾ ولا غاية ، ⁽³⁾ فإذا قد بشر رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم بما لا يعرف أصلا ، فإذا لم يخبر عن معنى مفيد بل قال قولا بشارته باطلة إذ لا يتوصل إلى حقيقتها فادن - فضلا ، ⁽³⁾ - وهو إنما بشر بشيء له عنده معنى - فإذا به ينطق عن الهوى ، وقد سلمت أنه لا ينطق عن الهوى ، ومن قال إنه ينطق عن الهوى فقد كفر قطعاً ، عقلاً وشرعاً ، فإذا بك كما قلت تناقضت من حيث لم تشعري ، وكفرت من حيث لم تدبري ! وما مثلك عندي إلا مثل يهود الذين قال الله تعالى

(1) في الأصل : إذا .

(2) في الأصل : أقصى .

(3) كذا في الأصل : ولم تهتد إلى وجهه في تأويلها .

فيهم * وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * (1)

وذلك أن يهود كانوا أهل كتاب وعلم ، وكانت الخرج أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانت يهود معهم في بلادهم ، وكانوا قد غزوهم بها ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبيا مبعوث الآن ، قد أظّل (2) زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما بعث الله تعالى رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم وعرفوا صفته واسمه وزمانه الذي كانوا يتوكلون عليه (3) عتوا على الله وأنكروا وقالوا : ليس هو هذا ، وإنما يأتي في المستقبل ! - أو كما قالوا . فكفروا ، ألا لعنة الله على الكافرين .

وكذلك مثلك * آيتها الأمانة بالسوء مع المهدي رضي الله تعالى عنه .
قال الأمانة بالسوء :

- صدقت ، وبالحق نطقت ، فقد انقادت في ذلك إليك ، والآن بقيت واحدة : عليك أن تذكر لي الصفات التي وصف بها النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم المهدي ، ثم ننظر : هل تصدق على المهدي المذكور ؟ فإن صدقت أقررت بذلك ، وانقادت (4) الأمور لك .
قالت المطمئنة :

- أهلا وسهلا ! لقد قلت فأحسنيت قولاً .

ذكر الترمذي (5) في كتابه من طرق شتى عن النبي صلى الله تعالى

(1) سورة البقرة ، آية رقم 89 .

(2) في الأصل : أضل .

(3) أي يتوقعونه وينتظرونه .

(4) في الأصل : وانقادت ، وقد تكون العبارة « وانقادت في كل الأمور لك » .

(5) انظر عارضة الأخوذي لأبي بكر ابن العربي الإشيلي في شرح صحيح الإمام الترمذي (ط .

وملائكته الكرام عليه وسلم أنه قال : لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل (1)
من أهل بيتي ، يواطىء اسمه اسمي .

ومن طريق أبي هريرة : (2) لو لم يبق (3) من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك
اليوم حتى يلي ... وصحح الحديث .

وذكر أبو داود (4) هذا الحديث من طرق كثيرة بزيادات في الحديث ،
فمن زياداته : ... لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا مني - أو من أهل
بيتي - يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي . وزاد من طريق أبي بكر : ... يملأ
الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا ؛ ولم يذكر العرب في الملك .

وذكر أبو داود (5) عن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم « 21
أنه قال : المهدي من عترتي (6) من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها .

وخرج أيضا عن علي رضي الله تعالى عنه أنه نظر إلى ابنه الحسن ، فقال
رضي الله تعالى عنهما : ابني هذا سيد كما سماه النبي صلى الله تعالى وملائكته
الكرام عليه وسلم ، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم ، يشبهه في
الخلق ولا يشبهه في الخلق ، يملأ الأرض عدلا .

وذكر الترمذي (7) عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : خشينا
أن يكون بعد نبينا صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، فقال : إن في

(1) في الأصل : رجلا .

(2) انظر هذه الزيادة في عارضة الأحودي 75/9 .

(3) في الأصل : يبقى .

(4) انظر سنن أبي داود 207/2 - 209 .

(5) نفس المرجع 208/2 .

(6) في الأصل : عترتي .

(7) عارضة الأحودي 75/9 .

أمتي المهدي ، يخرج فيعيش خمسا أو سبعا أو تسعا (1) زيد (1) الشاك ، يعني الراوي - ، قال : وقلنا : ما ذاك ؟ قال : سنين . قال : فيجيء إليه الرجل ، فيقول : يا مهدي ، أعطني ! قال : فيحشى في ثوبه ما استطاع أن يحمله !

فهذه الصفات وصف بها رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، ومواطأة اسم أبيه ، وأنه منه ومن أهل بيته وعترته ومن ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها ، وأنه يعيش خمس سنين أو سبعا أو تسعا بعد خروجه ، وأنه يلا الأرض قسما وعدلا ، وأنها كانت قبل خروجه مملوءة ظلما وجورا ، * وأنه يأتي إليه الرجل فيقول : يا مهدي ، أعطني أعطني ! فيحشى في ثوبه ؛ وما قاله علي رضي الله تعالى عنه أنه من صلب الحسن ، يشبه النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم في الخلق لا في الخلق ، والأمر محمول على أن ذلك إنما علمه من النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، إذ ليس هذا مما يدرك بفكر وروية ، (2) إذ هو علم بمُعَيَّب .

فإذا كانت هذه الصفات عينها (3) عندنا ، ونظرنا هل تصدق على المهدي الماكور رضي الله تعالى فوجد القول قد توازن عندنا : أن اسمه محمد ، فقد واطأ اسمه رضي الله تعالى عنه اسم محمد رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم - قلنا : هذه واحدة قد صدقت .

(1) روى الترمذي هذا الحديث عن محمد بن بشار عن محمد بن جعفر عن شعبة عن زيد العمى (بفتح العين وتشديد الميم) عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري عنه عليه السلام . والمقصود أن الشاك في عدد تلك السنين إنما هو من قبل زيد العمى المذكور في السند . وأما زيد هذا فهو زيد بن الحواري البصري قاضي هراة (انظر الخرجي : خلاصة تذهيب الكمال - ط . القاهرة سنة 1322 هـ . - ص 108) .

(2) في الأصل : وروية .

(3) في الأصل : عبيده .

ثم وجدنا القول قد توازن عندنا : أن اسم أبيه عبد الله ، فإن اعترض
ملحد فإن التواريخ تشهد بأن عبد الله بن إدريس | بن إدريس |⁽¹⁾ بن عبد الله بن
حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم كان أميراً لبلاد السوس⁽²⁾ الأقصى ،
ولاشك أن الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من بجوحة بيته ، فقد صح أن
اسم⁽³⁾ أبيه عبد الله ، وأن تومرت لقب له ، فثبت أن له رضي الله تعالى عنه
جدين : قريباً وبعيداً ، كل واحد منهما عبد الله ، والجد أب لا محالة . ولا منازعة
في هذا بين العقلاء ، وقد واطأ⁽⁴⁾ اسم أبيه اسم [أبي]⁽⁵⁾ النبي صلى الله تعالى
وملائكته الكرام عليه وسلم . قلنا : وهذه الثانية قد صدقت .

ثم وجدناه من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها ، فهو من أهل بيته صلى الله
تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ؛ ومن عترته صلى الله تعالى وملائكته الكرام
عليه وسلم ، إذ عترته أعم من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها ، إذ قد تقع على
ذريته وعشيرته الأدين ، قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : نحن عترة رسول الله
صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم التي خرج منها ، وبيضته التي تفقأت
عنه ، ولأجل هذا قال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم بأثر
قوله عن المهدي رضي الله تعالى عنه إنه من عترته إنه من ولد فاطمة ليرفع
الإشكال ، ويزيل الاحتمال ؛ وهو أيضا رضي الله تعالى عنه من النبي صلى الله

(1) زيادة يقتضيها صحة الاسم ، إذ هو حفيد إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة الذين هم
من وقعة فح قرب مكة سنة 169 ودخل المغرب الأقصى سنة 172 ، فبايعه أهل المغرب الأقصى واستقام له
الأمر حتى توفي سنة 177 ، وخلفه ابنه إدريس الذي حكم حتى سنة 213 . أما عبد الله المذكور هنا فإنه
من أبناء إدريس ، ولكنه لم يتول الأمانة (انظر السلاوي الاستقصا 1/171 ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب
العرب ص 49 ؛ وابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم المغربي ، الدار البيضاء 1964 ، ص 204)

(2) في الأصل : السوسي .

(3) في الأصل : أحمد ، ولا معنى لها هنا ، ولعلها تحريف عما أثبتنا .

(4) في الأصل : وطئ .

(5) زيادة يقتضيها السياق .

تعالى عنه وملائكته الكرام عليه وسلم من وجه آخر ، وهو لقيامه بشريعته ودينه وسيرته ، كما تقول « أنا من فلان ، وفلان مني » أي أمرنا واحد وأغراضنا واحدة .
 ٢٥١ ب فإن لفظة « من » ^(١) مشتركة تقع على هذا النحو * وعلى النحو المتقدم ، وكلا النحويين من صفة المهدي رضي الله تعالى عنه ، إذ قام بشريعته ، وهو من أهل بيته ، قلنا : وهذه الثالثة أيضا قد صدقت .

ثم وجدناه رضي الله تعالى عنه إذ قام بشريعته وهو من أهل بيته قد عاش بعد خروجه تسع سنين على ما تواتر به القول ، وهي أحد ما شك فيه زيد ، فعلمنا أنه الحق ، فهي إذن التي أخبر بها النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، إذ إنما يخبر عن الحق ، فإنه لا ينطق عن الهوى ؛ على أنه قد روى عن أمي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم قال : يكون المهدي في أمتي سبعا إن قصر ، وإلا فثمانيا وإلا فتسعا ؛ ^(٢) فهذا حكم على التسع . قلنا وهذه الرابعة أيضا قد صدقت .

ثم وجدناه أيضا قد ملأ الأرض قسطا وعدلا حسبما تقدم القول في ذلك ، إذ كل بلد انقاد له فنظمته سياسته ، وحكمته إمارته العادلة ورياسته - أثبت فيه القسط بين الناس والعدل ، وتملك نفوس ساكنيها السكينة والفضل ، والبلاد في زمان تنقاد له طوعا وتنساق ، أو تنقاد إلى ملكه كرها وتنساق * وذلك بين محسوس لا مدفع فيه ، فإنه إذن قائم بأمره بعد وفاته ، فالحكم في ذلك حكمه في حياته ، وهذا بين ، قلنا : وهذه الخامسة قد صدقت .

ووجدنا أيضا الأرض حين أذن الله تعالى له بخروجه قد كانت امتلأت ظلما وجورا ، فقد كان للملثمين وغيرهم من الظلم والجور ما حصل من الشهرة والظهور ، أن كان غير خاف عند الخاصة والجمهور . وهذه السادسة قد صدقت أيضا .

(١) في الأصل : مني .

(٢) انظر سنن أبي داود 208/2 ؛ وسنن ابن ماجه 518/2 .

ثم وجدناه أيضا أنه كان يأتيه الرجل فيطلب منه قوته ويناديه : يا مهدي ،
أعطني أعطني ! الحديث أنه | لا | ⁽¹⁾ يأتي إليه رجل واحد مشار إليه حتى
تكون الألف واللام للعهد ، إذ لم يتقدم ذكر لرجل ما ولا عرف به صلى الله تعالى
وملائكته الكرام عليه وسلم ، فهي إذن للجنس فإذا معنى الحديث أنها سيرته ،
فإنه من أتى إلى ذلك فقد أتى إليه حسبما تقدم القول فيه ، فيقول : يا مهدي ،
أعطني . وإن لم ينطق بذلك لسانه فهو يقوله بضميره ، والقول في الحقيقة هو في
الذهن حسبما تبين في الصناعة التي شأنها أن يتبين فيها . « فحشى في ثوبه ما
استطاع أن يحمله » أي ما استطاع أن يحمل مما هو له عدل وقسط ، فهو قد بالغ
في إعطائه إذ لم ينقص ⁽²⁾ له من حقه شيئا . وذلك هو الذي يستطيع ثوب المؤمن
الموحد أن يحمله ، فإن الزيادة على العدل ظلم لا يستطيع ثوب المؤمن الموحد أن
يحملة . وقد يحتمل أن يحمل الحديث على ظاهره . وقد جاء أن ⁽³⁾ المهدي « رضي
الله تعالى عنه قد فعل ذلك إذ أفاء الله تعالى عليه رغائب الأنفال ، وامتلات أيدي
الموحدين من أموال أهل الضلال ، وفعل ذلك جائز للإمام ، وكان رضى الله تعالى
عنه أعلم الناس بالحلل والحرام ، والتأويل الأول أحسن ⁽⁴⁾ قلنا : وهذه السابعة قد
صدقت أيضا .

وما قاله علي رضي الله تعالى عنه أنه من صلب الحسن رضي الله تعالى
عنه ، يشبه النبي ﷺ في الخلق ولا يشبهه في الخلق ، فهذه الصفات الثلاث
صادقة على المهدي رضى الله تعالى عنه ، إذ هو من ولد الحسن رضي الله تعالى
عنه حسبما ذاع واشتهر ، واستفاض وظهر .

(1) زيادة يقتضها السياق .

(2) في الأصل : تنقص .

(3) في الأصل : ويوجد .

(4) في الأصل : حسن .

وأما خُلُقُه رضي الله تعالى عنه فقد تواتر القول بأنه كان محبا في الحق ، مؤثرا للصدق ، وكذلك قام بإحياء الحق والحق إذ ذاك غير موجود العين ، ووعد أصحابه بمواعيد اتضح لهم صدقها اتضح الصبح لدى عينين ، وكان محبا في العدل وأهله ، مبغضا في الظلم وأصله ، جيد الفهم في الغاية من الذكاء ،⁽¹⁾ يعطي الإنصاف من أهله وغيرهم بالسواء ، ويرثي لمن حل به الجور كل الرثاء ، سهل الانقياد إذا دعى إلى الحق ، لا عوج⁽²⁾ ولا جموح ، صعب الانقياد إذا دعى إلى الباطل لا مُقَدِّم عليه ولا سَمُوح ، قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل جسورا ، لا ضعيف النفس ولا خائفا محسورا ، وكان الدرهم والدينار هينين⁽³⁾ عنده ، * وكذلك سائر أعراض الدنيا ، كبير النفس ، عالي الهمة ، تسمو نفسه إلى الأرفع من الأمور والأعلى ، حسن العبارة عما في ضميره جدا ، لا يرهقه التعليم تعباً ولا كذا . وهذه كانت أخلاق جده عليه الصلاة .

ولما كانت هذه الأخلاق في النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ،⁽⁴⁾ وذلك كما يُنْجَرُجان من عين واحدة قال فيه علي رضي الله تعالى عنه : يشبه النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم في الخُلُق لا في الخُلُق ، وهذا هو حقيقة التشابه .

وبَيَّنَّ مما تواتر أن خُلُقَه رضي الله تعالى عنه لم يكن كخُلُقِ رسول الله ﷺ ، فإذا جميع ما قال علي رضي الله تعالى عنه من صفة المهدي رضي الله تعالى عنه يصدق كلها على المهدي المذكور رضي الله تعالى عنه . فإذا الثامنة والتاسعة والعاشر قد صدقت .

(1) في الأصل : والذكاء .

(2) كذا ، ولعلها : أعوج أو أهوج .

(3) في الأصل : هين .

(4) في الأصل : السلام .

ويمكن من زوال الاستقصاء عن حديث رسول الله صلى الله تعالى
وملائكته الكرام عليه وسلم أكثر من مزاولتي أن نجد أحاديث في صفة المهدي
الآلة لما ذكرته من بيان وتمهيد ، على أن في ذلك كفاية لمن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شهيد .

قالت الأمانة بالسوء :

- أبدعت فيما جمعت ، بيد أنه قد وردت أحاديث عن النبي صلى الله
تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم في صفة المهدي ، لا تصدق تلك الصفات على
المهدي المذكور . من ذلك : قوله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم « إنه
يملك » العرب » ، ⁽¹⁾ وهذا لم يملك العرب ؛ ومنها قوله عليه الصلاة والسلام : « يكون »
اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل هاربا من أهل المدينة ، فيأتيه ناس من أهل
مكة ، فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام ... الحديث ⁽²⁾

قالت المطمئنة :

- أما حقيقة هذا الاعتراض ، فلا يحتاج الانفصال عنه إلى إغماض . أما ما
ذكرته أولاً من أنه قال عليه الصلاة والسلام « يملك العرب » وذلك لم يملك العرب
فقولك إنه لم يملك العرب قول كاذب ، فلذلك لزم عنه كذب ، وذلك إنه قد تواتر
القول عندنا إن الأمة الموحدة التي قام فيها ونهى كثير ⁽³⁾ منهم أو أكثرهم من

(1) انظر سنن أبي داود 207/2 .

(2) بقية الحديث كما جاء في المرجع السالف الذكر في الحاشية السابقة (سنن أبي داود 208/2) : « ..
فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث إليه بعث من أهل الشام ، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ،
فاذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ثم ينشأ رجل
من قريش أخواله كلب ، فيبعث إليهم بعثاً ، فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب ، والخنية لمن لم يشهد.
غنيمة كلب ، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبهم ﷺ ، ويلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض ، فيلبث
سبع سنين ، ثم يتوفي ويصلى عليه المسلمون » .

(3) في الأصل : كثيراً .

العرب ، ⁽¹⁾ فإن هذه الصفة هي أجدر أن تكون من الصفات التي يستدل بها | منها | على أنه المهدي رضي الله تعالى عنه الذي بشر به رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم من أن تكون من الصفات التي تدل على خلاف ذلك .

وأيضاً فإنه لو لم يكن في القوم الذين قام فيهم عرب ولا ملك إلى ⁽²⁾ الآن عرباً لم يكن ذلك دليلاً ⁽³⁾ على أنه ليس بالمهدي المبشر به ، لأنه كما تقدمت فقلت إنه سيملك العرب والعجم ، وإن ذلك ينساق له محسوساً لا مدفع فيه ، وإن من قام بالأمر بعده فهو كحياته .

[في الرسالة ⁽⁴⁾ لسيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبي يعقوب رضي الله تعالى عنه إلى الناس [من] تونس عام قفصة - وقد جرى ذكر استجلابه للعرب | « رباح وانقيادهم إلى مفارقة إفريقية والجواز إلى الأندلس للجهاد - ⁽⁵⁾ ما نصه :

(1) في الأصل : الغرب .

(2) في الأصل : إلا .

(3) في الأصل : دليل .

(4) هذه الفقرة الموضوعية بين حاصرتين من الواضح أنها ليست من صلب رسالة أبي عبد الرحمن ابن طاهر ، وإنما هي تعليق من مؤلف الكتاب - أي ابن القطان - على ما يتعلق بملك المهدي للعرب تحقيقاً لما بشر به النبي ﷺ في الأحاديث النبوية التي سلف إيرادها عن ظهور المهدي . وقد أقحم ابن القطان هذا التعليق تدليلاً على صحة ما ذكره ابن طاهر .

(5) يشير المؤلف إلى غزو الخليفة الموحد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي لبلاد إفريقية وفتحها لقفصة في سنة 575 ، وما تلا ذلك من استنزال عرب قبيلة رباح وإخراجهم إلى الأندلس برسم الجهاد (عن هذه الأحداث انظر عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 252 ؛ ابن عذاري : البيان المغرب - الجزء الخاص بالموحدين ، ط . بيروت 1985 - ص 140 - 141 ؛ ابن خلدون : العبر 240/6 - 241 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 212 ؛ السلاوي : الاستقصا 147/2) . وقد أشار ابن عذاري فيما كتبه نقلاً عن ابن صاحب الصلاة إلى الرسالة التي وجهها الخليفة الموحد هذه المناسبة والتي اقتطف منها ابن القطان هذه الفقرة ؛ هذا وقد كان من بين الرسائل الموحدية التي نشرها ليفي بروفنسال تحت عنوان « مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة الموحدية » (ط . الرباط سنة 1941) =

« ولي هذه وفقكم الله وشهادة⁽¹⁾ بينة ، ودلالة واضحة ، على صحة ما روى عن رسول الله ﷺ من قوله : لا تقوم الساعة حتى يملك العرب رجل مني الحديث ، فذكر عليه الصلاة والسلام العرب تفخيماً لشأنهم ، واعتناء بأمرهم ، وتبنيها على عظيم المنة في ملكهم ؛ وأمر الإمام المهدي هو الذي هداهم وأرشدهم ، ونظمهم على الطاعة وجمعهم ، وقادهم إلى السعادة وجبرهم » .

ففي هذا الفصل من هذه الرسالة يسط لما قرره ابن طاهر⁽²⁾ هنا وموافقة له عليه | .

فلو خلصت أيتها الأمانة بالسوء [ما] تقدمت فقلت لأعرض⁽³⁾ لإعراضا ، عن أن تجعلي⁽⁴⁾ هذا اعتراضا ؛ ويكون على هذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام « يملك العرب » أن يملك جميع أصناف الناس حسبما وعد الله تعالى به في محكم كتابه حيث قال : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » ،⁽⁵⁾ لأنه إذا ملك العرب الذين هم أعتى الناس أصنافاً وأعسرهم انقياداً ، فأحرى ملك غيرهم ؛ قال الله تعالى : « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً » ،⁽⁶⁾ وهي تتمدح بذلك فتقول : « حي لقاح »⁽⁷⁾ يعنون بذلك أن الحمي

= رسالة كتبها عن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أبو الفضل ابن طاهر ابن محشوة في سنة 576 هـ . المناسبة ، ولم يرد النص المنقول هنا في هذه الرسالة وإن كانت فيه عبارات تؤدي نفس معنى ما يشير إليه ابن القطان : « ... وأن الله وعد هذه الطائفة المنصورة - أي الموحدين - أن تملك العرب ، كما بشر به المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ... » (انظر الكتاب للمذكور ، الرسالة السادسة والعشرين - ص 125) .

(1) في الأصل : بشهادة .

(2) في الأصل : ابن طاهر .

(3) في الأصل : لا أعرضت .

(4) في الأصل : تجعل .

(5) سورة الأنبياء ، آية رقم 105 .

(6) سورة التوبة ، آية رقم 97 .

(7) يقال « حي لقاح » بفتح اللام - أي لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يعصبهم في الجاهلية سباء ، -

لم يملكوا ولا ملك أبائهم ، ولذلك لا يؤلف بين قلوبهم إلا بأمر إلهي ، كما قال الله عز وجل ﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ﴾ ، « إنه عزيز حكيم » (2)

[29 ب]

وأما إتيانك بالحديث الذي خرج أبو داود رحمه الله تعالى وذكر فيه قصة الركن والمقام توهمين وتغالطين أن الحديث في المهدي - وهل ذكر النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم أن ذلك الرجل هو المهدي ؟ أو هل ذكر فيه عن ذلك الرجل ما ذكر في المهدي من كونه من عترته أو « موافقة اسمه اسمي » مما يستدل به استدلالا بينا على أنه عنى به المهدي ؟ وإنما غلطك في ذلك أمران : أحدهما أن وافق لبته للبت (3) المهدي ؛ والثاني أن أبا داود أدخله في جملة أحاديث المهدي رضي الله تعالى عنه ؛ وهل نمنع نحن أن يقوم بالحق أقوام ؟ وأن النبي - صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم - بشر بهم ؟

فإن كنت مغالطة (4) بذلك ، أيتها الأمانة بالسوء ، فقد تبينت مغالطتك ؛ وإن كنت غلطت فإن هذا لمن الغلط القبيح . فلو مارست صناعة القياس بعض ممارسة (5) ، وزاولت ذلك أقل مزاولة ، لما قلت إن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم إنما أخبر بذلك الرجل عن المهدي لكونه صدقت عليه صفة واحدة من صفات المهدي . وهى اللبت على أنه إن كان ذلك عندك قياسا فبالحرى أن يكون قياسا يصدق عليه من صفات المهدي صفات جمّة . أتتركين * الأقوى ، وتميلين إلى الأضعف الأوهى ؟ لقد خرجت من القوم « الذين يسمعون القول ،

أ 1 111

= أنشد ابن الأعرابي :

أبوا دين الملوك فهم لقاح إذا هيجوا إلى حرب أشاحوا

وهذا اللفظ مشتق من لقاح الناقة لأنها إذا لقحت لم تطاوع الفحل وليس يقوى عليها .

(2) سورة الأنفال ، آية رقم 63 .

(3) في الأصل : لبته للبت .

(4) في الأصل : غالطة .

(5) في الأصل : ممارست .

لهيكون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » (1) « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » (2) .

وأما إلزام ذلك لكون إنسان ما أدخله في جملة أحاديث المهدي فهذا إلزام باللفظ لا بالمعنى ، ولسنا بمقاومة هذا الإلزام نُعنى ، وبالجملة فكل حديث روه في مصنف صحيح من قيام إنسان بالحق ووصفه بصفات لا تطابق صفات المهدي رضي الله تعالى عنه فإن ذلك القائم بالحق لم يقل فيه النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم إنه المهدي ولا وصفه بصفات المهدي . وأنا قد بحثت واستقصيت وفحصت ؛ ومن زعم أن المهدي ينزل بيت المقدس فقد زاد في الحديث ما لم يذكر في مصنف صحيح ، وكذلك من قال إنه يخرج من مكة لم يقع في مصنف صحيح .

وأما ما وقع في كتب الحديثان فإن جعلنا ذلك إقناعا فقد وقع بأيدي كثير من أهل هذه الجزيرة (3) - أصلحها الله تعالى وسددها ، ونظمها عجلا بسيرة المهدي رضي الله * تعالى عنه ومهدا - كتاب صغير (4) في جرمه يحتوي على عظام في علمه ، يذكر أن المهدي يخرج بجبل درن ، فيفعل ويصنع ، وعدد أشياء كثيرة صدرت كلها من فعل المهدي رضي الله تعالى عنه ، ووجدت صنعه بالفعل بعد أن كانت موجودة بالقوة ، وذكر أن أتباعه وأنصاره وأشياعه مصمودة ، وذكر أنه سيسبي حتى يبلغ السبي في بلاد البربر أن تباع الجارية البربرية بخمسة دراهم ، وأنه سيجوز إلى الأندلس خليفته ، فيكون ويكون حتى يصل إلى مكة فيبايع بين الركن والمقام . ثم ذكر في ذلك ما جاء مما وردت به الأحاديث عن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم قال : « وتكون بيعته بمكة بين الركن والمقام » ، سوى البيعة التي تكون في المغرب ، وقد تقدمت .

(1) سورة الزمر ، آية رقم 18 .

(2) سورة الكهف ، آية رقم 17 .

(3) يعني بلاد الأندلس .

(4) في الأصل : كتاباً صغيراً .

فقلت :

لا فرق بينه وبين من قام بأمره بعده ، ولوضوح هذا الأمر وكثرة هذا المعنى قال من لم يثبت في قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ⁽¹⁾ ﴾ إنه أراد شريعته وسيرته ، وقد وردت [في هذا المعنى] ⁽²⁾

.....
 « إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴾ ⁽³⁾ أثبتا النفس المطمئنة ! نعم ، صدقت وأرشدت ، واستجدتكم البيان فأجدت ⁽⁴⁾ ! ﴿ الآن حصحص الحق ﴾ ⁽⁵⁾ وأجنتليت منه الغرر والاضحاح ، فأصبح ⁽⁶⁾ الأبي ، وخلص من شوائبه المكنون والمطلوني . وتبين أن أبا عبد الله محمد بن عبد الله رضي الله تعالى عنه هو المهدي ، وانحلت عنه غيابة الامتراء والريب ، ذلك لتعلمي أنني لم أخنك بالغيث ، فشأنك لي الآن ، فقد أذعنت لمذهبك إثارة للحق حيث كان ، فأنا لك سامعة مطيعة ، متبعة لما قضى به الرأي الحق ، إذ قد تبين لي أن قولك هذا هو الصدق ، فأنا دي بأهل صوتي : المهدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفاطمي رضي الله تعالى عنه هو الذي بشر به جده صلوات الله تعالى عليه وسلامه ، وهو الإمام الأول والمملك على الإطلاق الذي كان ينظر ويؤمل !

فلما رجعت هذه النفس إلى الحق ، وتبين لها بفضل الله تعالى حقيقة العول والصدق ، قمت أنا فحمدت الله رب العالمين ، وصليت على نبيه وعبدته

(1) سورة العنكبوت ، آية رقم 14 .

(2) جاءت هذه الالفاظ الموضوعية بين الحاصرتين في ذيل الصفحة إحالة على الورقة التي تليها ، وقد سمعت هذه الورقة في حرم بلي ذلك أشرنا إليه بالنقط المتتابعة ، رغم انتظام الترقيم .

(3) سورة يوسف ، آية رقم 53 .

(4) في الأصل : واستجرتك البيان فأجرت .

(5) سورة يوسف ، آية رقم 51 .

(6) أي ذل وانقاد .

خاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، إذ صرت بكلى في زمرة الموحدين ،
دون أن ينازعني منازع مني ، يحجي على شأني ، وكل موافق لكلى ، « وسري » ب
مساو الجهرى .

العلم أرفع شيء اكتسبه الإنسان ، وبه على الحقيقة هو الإنسان إنسان .
نبداً أنه اجتمعت على النفسان ، فقلنا :

- أليس القائم الآن بأمر الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه أميراً
للمؤمنين ، وإماماً للموحدين ، أبو محمد عبد المؤمن بن علي أيده الله تعالى
بالنصر والتمكين ؟ قام بالنصر قيام من استبد به وأظهره ، وجد في إذاعته حتى
أشهره ، وحارب عن الحق فنصر ، وأبقى عليه فأظهر ، وله من المشاهد الكريمة ،
والمآثر المشهورة المعلومة ، ما معرفة الناس [به] ⁽¹⁾ تغنى عن الوصف والذكر ،
وعسى أن السكوت عنه له أقرب إلى الآخرة ؛ وبالجملته إنه إذ رضيته للامر تلك
الطائفة الفاضلة ، والأمة المنصورة العادلة ، وظهر منه الغاية في الاستبداد ، والنهاية
في الاجتهاد ، فقطعنا - عقلاً وشرعاً - أن لا أمير سواه ، ولا والي إلا من ولاء .
قلنا لي :

- فما بالك لا تساعدنا فتتحرك إليه ، وتُعملُ الورد سريعاً عليه ؟
قالت المطمئنة :

- إذن أنا قد قضيت ، وبينت أن الحق عندهم والهدى ، وأن بهم
يستتضأ .

قالت النزوعية :

- وأنا قد نزعت * إليهم ، وتشوقت إلى الورد عليهم !

[32 أ]

فما تركاني حتى أجبت لقولهما ^(١) ، فالأعمال بالنيات ، ومنتظر الصلاة
في صلاة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

انتهت الرسالة ، وهي « الكافية في براهين الإمام المهدي رضي الله تعالى
عنه عقلاً ونقلاً » ، والحمد لله رب العالمين كثيراً .

* * *

بيعة الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه :

كنت إماماً في سنة أربع عشرة على قول ، وإماماً في سنة خمس عشرة على قول
كما سيأتي عند الفراغ من هذه المقدمة إن شاء الله عز وجل .

وفاته رضي الله تعالى عنه :

كانت عام أربعة وعشرين وخمسمائة .

عمره رضي الله تعالى عنه :

كان نحواً من خمسين سنة .

مدة بقائه إماماً بعد البيعة له رضي الله تعالى عنه :

كانت مدة إقامته رضي الله تعالى عنه إماماً بنفسه تسع سنين : بإيجليز⁽¹⁾
ثلاثاً ، وبتينملل⁽²⁾ ستاً .

إخوته رضي الله تعالى عنه :

عيسى ، وعبد العزيز ، لأب⁽³⁾ ؛ وأحمد الكفيف ، وأخته شقيقته⁽⁴⁾
زينب ، وأخته الأخرى لأب .

(1) في الأصل : الجليلين .

(2) في الأصل : ويشتمل .

(3) عيسى وعبد العزيز أخوا محمد بن تومرت المهدي هما اللذان قاما بالثورة ضد عبد المؤمن بن علي خليفة ابن تومرت ، وذلك حين بايع بولاية العهد لابنه محمد في سنة 549 ، وكان عبد المؤمن غائداً عن مراکش في سلا ، بينما توجه الأخوان من فاس سرا ، فاقتحما مراکش وقتلا عاملها أبا حفص ابن تفرحين ، فأسرع عبد المؤمن بالعودة إلى مراکش . وقضى على هذه الفتنة ، وقتل عبد العزيز وعيسى وصليهما (انظر ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 195 ؛ والسلاوي : الاستقصا 119 - 120 ؛ وراجع كذلك أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 171/1 - 173) .

(4) نعرف عن زينب شقيقة ابن تومرت أنه كان يعيش معها وكانت تنفق عليه من غزوها إبان مصاهه وأنها شهدت وفاته في سنة 524 (انظر أخبار المهدي لليدق ص 81 والسلاوي : الاستقصا 92/2 ، وأويشي : تاريخ الدولة الموحدية 26/1 ، 86) .

وزراؤه رضي الله تعالى عنه :

هم العشرة المؤثرون الذين يقال لهم « الجماعة » أعزهم الله تعالى .

أصحاب مشورته رضي الله تعالى عنه :

هم أهل الخمسين رحمهم الله تعالى ، وسيأتي ذكر جميعهم بعد إن شاء الله تعالى .

ولا ولد له رضي * الله تعالى عنه ولا زوجة ولا سُرِّيَّة ، لأنه كان رضي الله تعالى عنه حصورا .

هذه هي المقدمة ، فلنرجع إلى الأصل المقصود وهو :

كيفية انعقاد البيعة له رضي الله تعالى عنه :

فقول :

قال اليسع :

ولما استوثق الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من قبيلته ومنعة موضعه ، لأنه مكان لا يصل إليه أحد إلا من طريق لا يمشیها إلا راكب ، بعد راكب ، فيسد ⁽¹⁾ خللها أقل عصابة من الناس ، ولما فيه من التوعر في نفسه - قصد إلى قرية إنجيليز ⁽²⁾ تحتها ركن يستظل تحته على الماء فعند اجتماع أصحابه إليه في ذلك الركن تحت إنجيليز ⁽²⁾ قام فيهم ⁽³⁾ خطيبا ، فقال :

« الحمد لله الفعال لما يريد ، القاضي بما يشاء ، لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل ، وأزيل العدل بالجور ،

(1) في الأصل : فيصد .

(2) في الأصل : الجبلين .

(3) في الأصل : فيها .

مكانه المعرب الأقصى ، وزمنه آخر الزمان ، واسمه اسم للنبي عليه الصلاة والسلام ، ونسبه نسب النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم . « وقد ظهر جور الأمراء ، وامتألت الأرض بالفساد ، وهذا آخر الزمان ، والاسم الاسم ، والنسب النسب ، والفعل الفعل ! » (1) .

قال اليسع :

سمعت أمير المؤمنين أبا محمد عبد المؤمن رضي الله تعالى عنه يقول : « لما فرغ الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من كلامه بادر إليه عشرة رجال منهم أنا ، فقلت له : هذه الصفة لا توجد إلا فيك ، فأنت المهدي ! فبايعناه على ذلك » .

والعشرة المذكورون : الونشريشي ، وعمر آصناج ، والخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه ، وأبو يحيى أبو بكر بن بجيت ، والاحسن بن علي ، وعمر الهنتاتي ، وفقهه من أهل إفريقية لم أذكر اسمه الآن (2) .

وسمى هؤلاء بالعشرة !

قلت :

ولم أجد في هذه النسخة من كتاب اليسع إلا سبعة ؛ والعشرة عند غير اليسع (1)

(1) أشار ابن أبي زرع في إجمال إلى هذه الخطبة ، وحدد تاريخها يوم السبت السادس عشر من رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة (روض القرطاس ص 176) وعنه نقل السلاوي (الاستقصا 90/2) .

(2) هذا الفقيه هو الذي سيشير إليه ابن القطان فيما بعد عند حديثه عن إيقاع المهدي ، أما تيممل ، إذ أنه أنكر ذلك على المهدي فقتل وصلب « لأنه شك في عصمة الإمام المهدي » .

(3) عن أسماء أهل العشرة من أصحاب المهدي انظر : كتاب الأنساب ص 29 ؛ الحلل الموشية ص 108 ، روض القرطاس ص 176 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 420-422 ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم المغربي ص 208-209 ؛ الزركشي : تاريخ الدولتين (ط . تونس سنة 1289 هـ .) ص 4 ؛ ابن أبي دينار القفرواني : المؤنس (ط . تونس سنة 1286 هـ .) ص 108 ؛ النويري : نهاية الأرب (الجزء الخاص بتاريخ المغرب والأندلس ط . جاسبار رميرو غرناطة سنة 1919) ص 193-194 ، والسلاوي 83/2 ، 84 ، 90 ، وانظر مناقشة هذه الأسماء واختلاف المؤرخين فيها في كتاب أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 101/1-102

هم : سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو محمد⁽¹⁾ عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه ، أبو محمد البشير⁽²⁾ ، أبو إبراهيم الهزرجي⁽³⁾ ، أبو حفص عمر بن علي الصنهاجي⁽⁴⁾ ، أبو الربيع سليمان بن الحضري⁽⁵⁾ ،

(1) زيادة تفتضيها صحة الاسم والكنية .

(2) هو أبو محمد عبد الله بن محسن الوانشرشي المشهور بالبشير ، ذكر صاحب كتاب المقتبس من كتاب الأنساب نسبه كاملا وقال إن قرابة البشير كانوا ينتسبون إلى قيس ، ثم أورد اسمه بين أهل العشرة وتحدث عن تمييزه للموحدين (كتاب أخبار المهدي ص 27 ، 28 ، 33 ، 36) ، وقد زادنا البيهقي تفصيلا من بدء صلته بالمهدي منذ مرور هذا على ونشرس وبيعته له وتمييزه للمخالفين والمنافقين في سنة 523 واستراجه في غزوات المهدي (نفس المرجع ص 59 ، 73 ، 78) . وقد فقد البشير في وقعة البحيرة التي هزم فيها الموحدون سنة 524 (انظر كذلك في ترجمته : الحلال المشوية ص 87 - 88 ، 93 ، 95 ؛ ابن أبي روع : روض القرطاس ص 176 - 177 ، ؛ ابن خلدون : العبر 227/2 - 228 ؛ السلاوي : 86/2 - 87 ، 80 ، 81 ، 86 ، 87 ؛ ابن الأثير : الكامل 297/8 - 298 ؛ ابن خلكان : وفیات الأعيان ، 139/4 - 144 ؛ الدوردي : نهاية الأرب ص 191 - 193 ؛ وراجع كذلك ما كتبه عنه أويشي في تاريخ الدولة الموحدية 46/1 ، 79 ، 78 ، 80 ، 83 ، 84 ، 101 ، 595/2 - 600 ، 602) .

(3) هو أبو إبراهيم اسماعيل بن يسلاي الهزرجي الذي يلقبه البيهقي بإسماعيل إبيحج ، ويسميه عبد الواحد المراكشي أبا إبراهيم اسماعيل بن يحيى الهزرجي ، أما ابن أبي روع فيسميه إبراهيم بن اسماعيل المراكشي ، وكان من طلبه المهدي حينما كان في أغمات وريكة ثم عهد إليه المهدي بالقضاء وجعله قائدا على مراكش في غزواته الرابعة ، وكان أحد من عقدوا البيعة لعبد المؤمن بعد وفاة ابن تومرت ، وإليه يرجع فضل إخماد ثورة ضد عبد المؤمن في صفروى ، ويذكر عبد الواحد المراكشي من أخباره إنقاذه لابن تومرت من مؤامرة حيك لاغتاله ، وكذلك فداه لعبد المؤمن بمبيته في خبائه ومصرعه على يد بعض من الدومرية (انظر في ترجمته وأخباره كتاب أخبار المهدي ص 33 ، 70 - 75 ، 81 ، 83 ، 85 ، 92 ، 94 ، 99 ، 122 ؛ ابن أبي روع : روض القرطاس 176 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 303 - 305 ؛ الحلال المشوية ص 108 ؛ السلاوي : الاستقصا 90 ؛ وانظر كذلك أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 59/1 ، 100 - 101 ، 101 ، 126 ، 135 ، 172 ، 228 ، 592/2 ، 607 - 609) .

(4) كذلك ورد اسمه أيضا لدي البيهقي في كتاب أخبار المهدي ، ويسميه عبد الواحد المراكشي « بن عبد الله » المعروف عندهم بعمر أزناج ، واسمه الحقيقي كما يقول البيهقي يملوك ابن علي آصناج ، وكان وزير أحمد بن تومرت ثم كان أحد الثلاثة الذين اضطلعوا بمبايعة عبد المؤمن خلفا له ففاحه هذا عن الوزارة ، فأبقدره عنها إذ كان عندهم فوق ذلك ، وكان لأولاده مكانة عظيمة من عبد المؤمن حتى إن ذريته كانت أول من يعترض في العرض العام وكانت وفاته سنة 536 (انظر كتاب أخبار المهدي ص 33 ، 78 ، 80 ، 81 ، 85 ، =

أبو عمران موسى بن تمارا ⁽¹⁾ ، أبو يحيى أبو بكر بن يعيت ⁽²⁾ ، أبو عبد الله محمد ابن سليمان ⁽³⁾ ، أبو حفص عمر ابن يحيى ⁽⁴⁾ ، وكان عاشرهم

- 92 ، 123 ، عبد الواحد : المعجب ص 262 ، 267 ، 308 ، 422 ، 426 ؛ ابن أبي زرع ص 176 ؛ الحلل الموشية ص 88 ؛ ابن خلدون : العبر 228/6 ؛ وقد أشار ليعي بروفنسال في تقديمه لكتاب اخبار المهدي (المقدمة ص 10 - 11) إلى أن أبا بكر الصنهاجي البيذق ربما كان من قرابة عمر أصناج هذا . (وانظر كذلك أويني : تاريخ الدولة الموحدية 87/1 ، 101 ، 105 ، 110 ، 118 ، 125 ، 211) .

(5) اسمه لدي البيذق : أبو الربيع سليمان بن مخلوف الهواري الحضرمي وأضاف إلى ذلك أنه شهر بابن البقال وابن تاغظيميت عند أهل آغمات وسليمان آحضري عند الموحدين ، كان من طلبة ابن تومرت في آغمات وريكة ، وكان يكتب الرسائل عن إذن الإمام المهدي ، واستشهد في موقعة البحيرة سنة 524 . هذا ويسميه ابن أبي زرع والاسلاوي : سليمان بن خلوف ، وأما صاحب الحلل الموشية فيسميه إسماعيل بن مخلوف (انظر كتاب أخبار المهدي ص 28 ، 33 ، 70 ؛ روض القرطاس 176 ؛ الحلل ص 108 ؛ أويني : تاريخ 101/1 ، 599/2) .

(1) أبو عمران موسى بن تمارا الجدميوي أمين الجماعة ، واستشهد يوم البحيرة سنة 524 ، وكان ثلاثة من اخوته من أهل الخمسين (انظر أخبار المهدي ص 33 ، ابن أبي زرع : روض القرطاس 176 الاستقصا 90/2 ؛ أويني : تاريخ 101/1) .

(2) استشهد في وقعة البحيرة سنة 524 ، وقد اختلف في اسمه المؤرخون ، ويتفق كتاب أخبار المهدي مع ما جاء هنا ، ويسميه ابن خلدون « أبا يحيى بن يكتب » وابن أبي زرع « أبا يحيى بن نخت » وصاحب الحلل « أبا يحيى أبا بكر بن تنجيت » ، أما عبد الواحد فقد ذكره من أهل الجماعة وقال إنه « رجل من تينملل يعرف عندهم بابن ييجيت - أنا شك في اسمه - » ، وأضاف الاسلاوي إلى اسمه نسبة « الهنتاتي » (انظر اخبار المهدي ، ص 33 ؛ العبر 228/6 ؛ الحلل ص 108 ، روض القرطاس ص 176 ؛ المعجب ص 421 ؛ الاستقصا 90 ؛ أويني : تاريخ 101/1) ، وكان لابي يحيى هذا ولد ولاء عبد المؤمن على قرطبة سنة 549 .

(3) أبو عبد الله محمد بن سليمان ، كان من أهل آنسا ، وكان يوم في الفريضة عن إذن المهدي ، واستشهد يوم البحيرة سنة 524 ، وسماه عبد الواحد « عبد الله بن سليمان » وقال إنه من أهل تينملل من قبيلة مسكالة (انظر أخبار المهدي ص 33 المعجب ص 262 ؛ العبر 228/6 ؛ الحلل ص 108 ؛ أويني : تاريخ 102/1 ، 105) .

(4) أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي المعروف بعمر بنتي ، ويسميه عبد الواحد عمر بن ومزال ، وكان اسمه فصكة فسماه المهدي عمر ، وكان من أقرب أعوان ابن تومرت إليه ، ثم كان من بين من عقدوا الأمر بعد -

١١١ ب | عبد الله بن ملوية^(١) ، وسيأتي ذكره . « وهؤلاء العشرة هم المسجون بأهل الجماعة .

قال اليسع :

وتابعهم على هذا المعتقد بأثرهم خمسون رجلا ، فسموا أهل خمسين ، ثم تابعهم سبعون رجلا ، فسموا أهل سبعين^(٢) ، واختص المذكورون بهذا الاختصاص ، وانعقد لهم من البر والتكرمة ما أنهضهم إلى أن تسمع بقية عوامهم منهم وتطيع . وكانوا إذا قطعوا الأمور العظام يخلون بالعشرة لا يحضر معهم غيرهم ، فإذا جاء أمر أهون أحضروا الخمسين ، فإذا جاء دون ذلك أحضروا السبعين رجلا ، وفي ما دون ذلك لا يتأخر أحد ممن دخل في أمره رضي الله تعالى عنه .

ذلك لعبد المؤمن وهو الذي فتح للموحدين كثيرا من بلاد الأندلس مثل الجزيرة الخضراء ورندة وإشبيلية وقرطبة وغرناطة ، كما اشترك في أعمال حربية أخرى مهمة منها القضاء على ثورة محمد بن عبد الله بن هود الماسي ، وتوفي في الطاعون الذي أصاب الأندلس والمغرب في سنة 571 ، وهو جد الحفصيين الذين توطدت دولتهم بعد ذلك في إفريقية (انظر أخبار المهدي ص 33 ، 71 ، 75 ، 89 ، 93 ، 95 ، 97 ، 98 ، 104 ، 106 ، 108 ، 109 ، 117 ، 118 ، 121 ، 126 ؛ المعجب ص 262 ، 267 ، 282 ، 293 ، 337 ، 421 ؛ ابن خلدون : العبر 227/6 ، 279 ، 275 ، 276 ؛ روض القرطاس 176 ، 190 ، 193 ، 198 ، 201 ؛ الحلل الموشية ص 108 ، 146 ، 151 ، 158 ؛ الاستقصا 90 ، 108 ، 143 ، 146 ؛ أويشي : تاريخ 208/1 ، 219 ، 222 ، 230 ، 236 ، 238 ، 239 ، 241 ، 243 ، 249 ، 253 ، 260 ، 269 ، 274 ، 385 ، 391/2 ، 394) .

(١) عبد الله بن يعلى أو يعلاتن الزناتي التازي المعروف بابن ملوية ، كان من كبار أعوان المهدي وقواده ، ثم ارتد عن دعوته بعد خروجه من تينملل وانضم إلى جيوش علي بن يوسف أمير المرابطين ، فظفر به وقتل وصلب سنة 527 (انظر أخبار المهدي ص 33 ، 75 ، 85 ، 122 ؛ الحلل ص 108 ؛ العبر 228/6 ؛ أويشي : تاريخ 84/1 ، 102 ، 106 ، 111) . وسوف يفصل ابن القطان الحديث عنه فيما يلي . انظر ص 162 .

(٢) سبق أن علق ابن القطان على ما ذكره اليسع من أمر أهل السبعين إذ قال إنه لا يرى ذلك صحيحا ، ولم يرد ذكر لأهل السبعين في كتاب المقتبس من الأنساب ، وإن كان قد قال بذلك بعض المؤرخين المغاربة مثل ابن الخطيب في كتاب رقم الحلل حسبا نقل عنه السلوي (الاستقصا 93/2) وصاحب الحلل الموشية (ص 108) فضلا عن بعض المؤرخين المشاركة مثل ابن الأثير (الكامل 298/8) ، والنويري : نهاية الأرب ص 194 .

وأول ما دبرهم به أنه ألف لهم كتاب « التوحيد » باللسان البربري وهو سبعة أحزاب عدد أيام الجمعة | أيام |⁽¹⁾ كان الموحدون أعزهم الله تعالى مع الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه بتينمل .

« وهنا وقائع كانت في أول أمره رضي الله تعالى عنه :

منها وقعة علي بن تابشا اللمتوني ببني وارتانك⁽²⁾ ، وجهه إليهم صاحب السوس أبو بكر ابن ورييل في جملة من الأنجاد ، فأحاطوا ببني وارتانك⁽²⁾ وهم غارون⁽³⁾ ، فقبضوا على مائة رجل منهم أبو الحسن يوجوت بن واجاج⁽⁴⁾ » من (١١) أهل خمسين ، فحملوا إلى تيونوين لصاحب السوس ، فسجنهم .

ثم مشت الحصنة التي فعلت هذا من اللمتونيين⁽⁵⁾ ليضربوا على الملت ان ورغن⁽⁶⁾ حيث كان الإمام المهدي رضي الله تعالى [عنه]⁽⁷⁾ قبل هذا ، فألفوهم وقد أخذوا حذرهم منهم ، وكنموا لهم ، فخرجت كائن هرغة عليهم ، واشتد حربهم ، وأخذت أكثر خيلهم وسلاحهم ، وقتل أكثرهم ، وقتل من هرغة نحو .

(1) زيادة يتطلبها السياق .

(2) في الأصل : وارتانك ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، فقد ورد الاسم على هذه الصورة في كتاب المقتبس من كتاب الأنساب ، وقد علق صاحب الكتاب على ذلك الاسم فقال إن هؤلاء فعذ من أهل تينمل (انظر أخبار المهدي ص 40) .

(3) في الأصل : عارون ، والأصح ما ذكرنا أي غافلون .

(4) في الأصل : يوجوت ، والصواب ما ذكرنا ، وقد أورد هذا الاسم صاحب كتاب المقتبس وأبو بكر البيهقي الصنهاجي من بين أهل خمسين (انظر أخبار المهدي ص 34 ، 94) .

(5) في الأصل : المتونيين .

(6) في الأصل : الملت ان وزغن ، ولعل الصواب ما ذكرنا ، أي المنسوب إلى هرغة . والمعروف أن محمد بن تومرت ينسب إلى قبيلة هرغة ، وقد ذكر عبد الواحد المراكشي أنه ولد في ضبعة تدعى « إيجلي أن وارغن » (المعجب ص 245) .

(7) زيادة يتطلبها السياق .

خمسة وثلاثين رجلا وهي أول غزوة لهرقة ، فجمعوا غنائمهم ، ومللعوا بها إلى المهدي رضي الله تعالى عنه فكانت أول غنيمة للموحدين أعزهم الله تعالى فيها الخيل .

ومن الوقائع الماثورة في السنة سنة ست عشرة وخمسمائة ...

أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى في هذه السنين الثلاث التي استقر فيها الإمام المهدي رضي الله تعالى بإيجليز⁽¹⁾ من هرقة :

وجه علي بن يوسف جيشا أمر عليه ابراهيم بن تعيشت⁽²⁾ ، فسلكت

(1) في الأصل : بالجليل .

(2) هو أبو إسحاق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين أخو الأمير علي بن يوسف اللمتوني ، ويعرف بابن تعيشت أو تاعياشت ، وهو اسم أمه ، وهي علي ما يذكر ابن عذارى أمة سوداء . كان قد ولي سبعة ثم مرسية قدمه عليها علي بن يوسف بعد عزل أخيهما ابن عائشة عنها بسبب اعتلال بصره بعد صدوره من وقعة البورت Congost de Martorell قرب برشلونة سنة 508 . وكان ابن تعيشت من أعظم قواد المرابطين وله على نصارى الأندلس وقائع كثيرة . ويقول ابن عذارى إنه ولي بلنسية سنة 509 . تولاها مع مرسية ، ثم نقل إلى إشبيلية التي ظل عاملا عليها من شوال سنة 511 (فبراير 1118) حتى جمادي الأولى سنة 516 (يولية - أغسطس 1122) إلا أن ابن الأبار يقول إن أمير المسلمين علي بن يوسف نكبه في سنة 515 واستصفى أمواله وقال انه يظن أن ذلك كان بسبب تقصيره الذي جر وقعة كندة Cutanda التي هزم فيها المسلمون سنة 514 . ثم انتقل إلى المغرب ، ويبدو أن علي بن يوسف رضي عنه بعد ذلك ، إذ أننا نراه مشتركا مع إخوته وأهل قرابته في الاجتماع الذي عقد علي بن يوسف فيه ولاية عهده لابنه سير في سنة 522 . كما أننا نراه قبل ذلك - في سنة 516 أو 517 - على رأس جيوش المرابطين أثناء قتالهم مع الموحدين في السوس كما نرى من الخبر الذي يذكره هنا ابن القطان وغيره من المؤرخين . ويقول ابن الأبار انه لم يقع على خبر له بعد نكبه ، إلا أنه نقل عن ابن صاحب الصلاة في تاريخه أنه قتل وقل عسكريه على طريق سجلماسة بجهة جبل هسكورة ، وذلك خلال الحرب الدائرة بين المرابطين والموحدين ، ويشير ابن خلدون إلى دوره في هذه الحرب ولا سيما في موقعة البحيرة التي هزم الموحدون فيها سنة 524 . ويشير ابن القطان إلى مصرع ابن تعيشت في احدي المعارك الدائرة سنة 528 ، أما البيهقي فإنه يذكر أن مقتله كان في الغزوة التي قاد الموحدين فيها عمر بن علي الصنهاجي (عمر آصناج) في مكان يدعى « تيزي آن الابهات » . وقد أثنى ابن الأبار على ابن تعيشت وعنايته بالعلم والرواية ، وهو الذي أهدي إليه الفتح بن خاقان كتاب « قلائد العقيان » ، كما أنه هو الذي مدحه ابن خفاجة الشفري بكثير مما هو مثبت في =

السوس الأقصى ، وقصد هرغة ، وقد حصن أهلها قلعة يقال لها إيجيليز . ومنعوها
أضبط منع . فنزل العسكر عليها من جهة شرقها بمكان وعر . فخرج الإمام رضي
الله تعالى عنه في جملة من الحصن بعد أيام من نزول العسكر عليهم ، فعقد لهم
مجلسا وعظهم فيه ، ووجه بعضهم يقاتل ، « فكان إذا جاءه جريح من أصحابه ¹¹
نشطه ورغبه في الشهادة ، ويقول لأصحابه : لا تنظروا إلى أعداء الله وأعدائكم ،
فيعضموا في أعينكم !

فلم يكن إلا أن نزل بأصحابه من أعلى الجبل إلى أسفله يريدون مقاتلتهم
والعسكر في جبل آخر يناوحوه ، فانهزموا وتركوا خيلهم وأسلحتهم وأمتعتهم ، وأن
القوم على جميع أموالهم ، ⁽¹⁾ واستحذوا عليها ، وقد كانوا لا درع لهم ولا عدة .
ولما نالوا ما وعدهم به وصدق خبره على وفق مخبره عظم رضي الله تعالى
عنه في أعين الموحدين أعزهم الله تعالى ، فكانوا يستحيون عن رفع رؤوسهم نحوه
حتى يأمرهم . وشاع ذكر الهزيمة في جميع البلاد ، فهيب أمره ، وكثر المهاجرون ⁽²⁾
إليه ، ولم يبق قبيل من قبائل أهل جبل المصامدة إلا وقد هاجر إليه منه ، وأقاموا
يفاتن بعضهم بعضا ، ومصامدة ⁽³⁾ الفحص * مع المجسمين وعلي بن يوسف ،
وهم : دكالة ، وهسكورة ، وهزميرة ، وهزرجة ، ورجراجة ، وحاجة ⁽⁴⁾ ، وصودة .
(٨)

- ديوانه ، وأشار ابن سعيد في كتاب المغرب إلى كثير ممن اتصل به من الشعراء والكتاب (انظر في
ترجمته : البيان المغرب لابن عذاري - القسم المرباط ص 106 ؛ ابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي
الصدفي ، ترجمة رقم 40 ؛ ابن خلدون : العبر 228/6 ؛ السلاوي : الاستقصا 87 ؛ البيهقي : أخبار المهدي
ص 84 ؛ الحلل الموشية 110 ؛ ابن سعيد : المغرب 397/1 ، 253/2 - 254 ، 287 ؛ الفتح بن حاقان : فلتاد
العقيان ص 3 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان 24/4 ، 123/7 ؛ ديوان ابن خفاجة بتحقيق الدكتور السيد
مصطفى غازي في مواضع مختلفة من الديوان ؛ وانظر كذلك بحث فرانسكو كوديرا عن « أسرة بني تاشفين »
ص 109 - 111 ؛ وأويشي : علي ابن يوسف ... ص 96 ، 105 ، 108 ، 113 - 114) .

(1) في الأصل : أحوالهم .

(2) في الأصل : المهاجرين .

(3) في الأصل : أو مصامدة .

(4) في الأصل : وحاجة .

وأمره رضي الله تعالى عنه في كل يوم يتزهد ، وكتب كتبه إلى جزولة ولمطة وهنكية وبني ييغز ودرعة وصنهاجة القبلة وهسكورة القبلة وجميع من جاورة يدعوهم إلى الطاعة وحرب المجسمين ، وقد تقدمت نسخة كتابه في السنة قبل هذه (1) .

وسماهم الزراجنة (2) ، شبههم بطائر أسود البطن أبيض الريش ، يقال له « الزرجان » لأنهم يبيض الثياب سود القلوب . كما سماهم أيضا « المجسمين » (3) لانه ألزمهم في المذاكرة أنهم يقولون بالتجسيم والمكان ، تعالى الله عن ذلك وسبحانه عن صفات النقص علواً كبيراً ؛ ويسمون أيضا « الحشم » للثامهم كما يفعل النساء المتحشمت .

وأمر علي بن يوسف - في هذه المدة التي كان فيها الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه بإيجيليز - الفلاكي الأندلسي ، (4) وكان فاتكا شهما تاب من قطع السبل ، قدمه علي على العساكر ، وسد به ثغوره ، فصنع حصونا ضبط بها ثغوره ،

(1) يبدو أن هذه الرسالة قد سقطت في بعض خروم الكتاب السابقة .

(2) أثار كثير من المؤرخين أيضا إلى هذه التسمية ، ولكن ابن القطان هو الوحيد الذي يفسر لنا أصل هذا الاسم .

(3) ذكر البيهقي في أخبار المهدي (ص 77) مناسبة هذه التسمية ، فقال إن المهدي أطلقها على المرابطين أثناء غزوته التاسعة إلى أسدزم ان الغزى : « ... فقال (المهدي) للموحدتين : ما يقولون - بعد أن سمع منهم كلاما من عندهم - ، قالوا له : لقبونا . قال : وكيف لقبوكم ؟ قالوا : يقولون « خوارج » . قال : سبقونا بالقيح ، لو كان خيرا أحجموا عنه وما سبقونا إليه ، لقبوهم أنتم فإن الله ذكر في كتابه « فحين اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ... الآية » ، قولوا لهم أنتم أيضا « المجسمون » ففعلنا . وفي اتهام المهدي للمرابطين بالتجسيم ورد عليهم في ذلك انظر كتابه « أعزما يطلب » ص 258 وما يليها ، وكذلك المقدمة الفرنسية التي كتبها جولدم تسيير لهذا الكتاب ص 65 وما يليها .

(4) كان الفلاكي - على ما يذكر ابن القطان هنا - أحد قطاع الطرق في الأندلس ، ثم استنزل على بن يوسف واتخذ من قواد عسكريه ، واستخدمه أولا في إشبيلية ثم نقله إلى منطقة السوس لقتال الموحدتين ، وقد اشترك مع بعض قواد المرابطين الآخرين مثل ميمون بن ياسين في بناء سلسلة من الحصون لحماية المناطق المحيطة بمدينة مراكش من ناحية السهول الجنوبية وحتى تتخذ قواعد تنفذ منها القوات =

ومنع الموحدين من النزول ، وولى أصحابه عليها ؛ وتمنع من أهل الجبل كل من أطاع
الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من أداء كل ما كانوا يؤدونه لعلي « بن يوسف . ١٨١
قال ابن الراعي :

ولما ارتقى الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه جبل إيجيليز ⁽¹⁾ أقام فيه ثلاثة
أعوام : من سنة خمس عشرة إلى سنة ثماني عشرة .

ومن أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى وقبعة هنتانة :

وذلك أنه لما اتصل بأبي بكر بن ورييل ما صنعه هرغة - وفرهم الله تعالى
وأعزهم - بعلي بن تابشا وأصحابه أخذ في الاستعداد والتأهب ، وحشد أهل
السوس ، وأخذ الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه في التأهب أيضا ، وحفر
جبوب ⁽²⁾ الماء ، وكانت هرغة ومسكالة وسجانة وقبائل أهل تينملل قد هداهم الله
تعالى ، فهم متوازيون ، فوجه نمير بن تجلد بن يملوك مع جماعة وافرة إلى سوس ، فهبط
إلى السوس وإلى جبل درن يدعو إلى الله تعالى ، وإلى الحق الذي جاء به الإمام
المهدي رضي الله تعالى عنه ، فاستجاب له من أهل تلك الجبال جملة منهم جدميرة ⁽³⁾
الجبل وهزيمة الجبل وجنفيصة الجبل ومن وفقه الله من أهل جبل درن .

= المرابطة إلى السوس حيث كان يحتجى ابن تومرت وأصحابه ، وقد تحدث عن دور الفلاكي في ذلك
كتاب الخلل الموشية (ص 113) ، على أن الفلاكي لم يلبث أن اعتنق مبادئ « التوحيد » وانضم إلى عبد
المؤمن هو وأصحابه على ما يذكر البيهقي (أخبار المهدي ص 88) ، ثم عاد فرجع إلى صفوف المرابطين ،
ولكنه لم يستمر معهم طويلا ، إذ عاد إلى خلافة عليهم ، وانضم مرة أخرى إلى الموحدين في إيجيليز هرغة ،
ووفد على عبد المؤمن بن علي في تينملل سنة 535 (أخبار المهدي ص 129) ، وانظر كذلك أويشي : تاريخ
الدولة الموحدية 76/1 ، 107 ، 111) . هذا وسيعود ابن القطان إلى الحديث عنه فيما بعد .

(1) في الأصل : الجبلين .

(2) في الأصل : جيوب .

(3) في الأصل : جدميرة .

ثم إن هنتاته لما سمعوا بالإمام المهدي رضي الله تعالى عنه وبأخباره اجتمعوا على أبي حفص عمر بن يحيى ⁽¹⁾ ووانودين بن يمصيلت ونمير بن داود « وأبي ماغليف قطران بن تارساين وأبي يهدا ومحمد بن يزيمر وخلف بن والال وسائر أشياخ هنتاته ، فتذاكروا خبر الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه وما جاء به وما هو عليه من الخير والوعظ ، فأرادوا تحقيق ذلك ، فوجهوا أبا يعقوب إسحاق بن عمر ⁽²⁾ ليسبر أمره ، ويخبر رجاله وتواصوا هم وطالب لهم يقال له سكاتو بوصايا في كيفية لقائه له رأوا أنها تنفعهم ، فتوجه إسحاق بن عمر والموحدون أعزهم الله تعالى في ثلاثة آلاف راجل وثلاثمائة فارس يقدمهم البشير ⁽³⁾ .

« وتطلع ورأى ، وعمل جميع ما أوصوه به ، واجتمع بالإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، ثم انصرف إلى تيفنوت ، فاجتمع بالذين أرسلوه وعرفهم بما هو عليه الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من رفع المظالم والمناكر والمغارم ⁽⁴⁾ ، وقال لهم باللسان الغربي ⁽⁵⁾ :

(1) هو أبو حفص عمر بن يحيى الهنتائي المعروف بعمر بنتى (انظر تعليقنا السابق على اسمه وترجمة حياته في ص 127 - 128 حاشية رقم 4) .

(2) إسحاق بن عمر الهنتائي كان من أكابر قواد الموحدين ، وقد تحدث البيهقي عن دوره في الغزاة السابعة لمحمد بن تومرت ، وهى الغزاة التى وجهها المهدي إلى هسكورة ، وقد جرح فيها ابن تومرت وقام عمله إسحاق بن عمر هذا هو وأبو محمد وسنار (أخبار المهدي ص 76) . وذكر البيهقي في موضع آخر من كتابه أن المهدي دفع إليه جريدة (أى كتيبة) إلى قبيلة ذكالة ، فقتل منهم ستائة « وكان شقيقا مائهم » (أخبار المهدي ص 112) .

(3) هو أبو محمد عبد الله بن محسن الوانشرىشي ، وقد سبق أن ترجمنا له (انظر ص 126 حاشية رقم 2) ، وهذا العدد الذي يذكره ابن القطان أقرب إلى المعقول من الأربعين ألفاً الذين ذكرهم ابن حلمان (العبر 228/6) ومن الأربعمائة الذين ذكرهم الزركشي (تاريخ الدولتين ص 4) .

(4) في الأصل : والمغارب .

(5) في الأصل العربي ، والصواب ما أثبتنا ، ويقصد باللسان الغربي اللغة البربرية ، ومن هذه الكلمة أخذت اللفظة الإسبانية Algaravia وهي تعني الضجيح الذي لا يفهم ، وقد كان بعض اللغويين يظنونها تعريفاً لكلمة « العربية » أي اللغة العربية ولكن الصواب هو أنها مأخوذة من الاستعمال المغربي الأندلسي الشائع الذي يطلق كلمة « اللسان الغربي » على اللغة البربرية .

النور « النور في بلاد هرغة ، وأنتم في الظلمة ياهنتة ⁽¹⁾ !

فصنعوا طعاما واجتمعوا عليه ، وتعاهدوا وتوجهوا بأجمعهم ، وكانت
عساكر السوس والحشم تحركوا إلى إيجيليز وضيقوا على هرغة بحومة وادي إينشو ،
وقد كان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه شرع في بناء مسجد إيجيليز ، فأخذ
حجرا ليضعه في موضعه ، فسمع الصياح والهدير ، وهو الذي يقولون له « أما
ولل ⁽²⁾ » ، فسأل عنه ، فقيل له : وقد هنتاة ! فقال باللسان الغربي ⁽³⁾ ما معناه :
فتجدد الأمر اليوم ! فوضعوا الفيسان من أيديهم ، وخرج إلى هنتاة سيدنا ومولانا
الخليفة الإمام امير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه بأمر
الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فاجتمع بهم ودعا لهم ، وقال لهم : استريحوا !
فقالوا : لا راحة لنا حتى نأخذ عزوى ⁽⁴⁾ هذا العدو ! فاستأذن الإمام المهدي
رضي الله تعالى عنه في ذلك ، فقال لهم : هذا وقت الظهر ، فتوضأوا وصلوا ،
فإذا قضيت الصلاة فخذوهم على بركة الله تعالى !

فأصعدوا ⁽⁵⁾ الجبل حتى صاروا بحيث لا يفصل بينهم وبين مناهدهم
من الموحدين « أعزهم الله تعالى إلا خندق كبير ، فاتفق رأيهم على أن يردموه () »
ببرادع الدواب ليتأتى لهم جوازه ، فلم يمهلهم جماعة الموحدين أعزهم الله تعالى :
هنتاة ومن تقدم ذكرهم ، فقتلوهم وهزموهم وأخذوا خيلهم وأسلحتهم وأسلابهم ،

(1) صحح ليفي برونسفال هذه الكلمة عند نشر هذا النص بـ « هنتاة » . ونظن أن هذا تصويب
ليس له ما يبرره ، فقد ذكر ابن خلدون (العبر 227/6) أن هنتاة يقال لهم بلسانهم « هنتى » ، فيكون
ما ذكره ابن القطان - على الصورة التي ضبطنا الكلمة بها - صحيحا متفقا مع نطق الهنتائين لاسم
قبيلتهم .

(2) تطلق هذه الكلمة على مختلف ألوان الضجيح والصياح ؛ انظر تعليق ليفي برونسفال عليها في
القطعة التي نشرها من « نظم الجمال » (. Mélanges.. p. 379,n.1 .) .

(3) في الأصل : بلسان الغربي .

(4) يراد بهذه الكلمة في الاستعمال المغربي الدارج حتى الآن معنى الثأر أو الانتقام .

(5) في الأصل : قد صعدوا . والمقصود بضمير الجمع هنا عساكر المرابطين .

وفتح الله للموحدين أعزهم الله تعالى فتحا عظيما ولم يرجع عن عسكر الحشم إلا من تأخر أجله .

وإن أبا الحسن يوجوت بن واجاج⁽¹⁾ مع الجماعة المسجونين معه من بني وارتانك⁽²⁾ تيونوين قاعدة السوس حيثئذ كما قد مر ذكره من سجنهم عند اشتغال السوسي أنى بكر بن ورييل والحشم بهذه الحروب فروا من السجن ، ولحقوا بالإمام المهدي رضي الله تعالى عنه .

ومنها وقعة أبي ما غليف⁽³⁾ وهنتاة بهم في بلاد هنتاة :

وذلك أنه لما اتصلت هزيمة المثلثين بإيجيليز⁽⁴⁾ من هرغة بعلي بن وسف اغتم غما شديدا ، وجيَّش عسكراً مختاراً ، وقدم عليهم سير بن فودي وأبا مسعود والريتسيغ بن بقور ومهدي بن توالي مع حشد حاحة وجميع أنحاء إذفرجال ، وقال لهم علي بن يوسف : اقصدوا إلى تيفنوت وأحرقوها بالنار ! فاجتمعت العساكر ، وأخذوا على طريق الجاعة ، وشقوا واد نفيس ووسط الجبل يريدون تيفنوت ؛ واتصل الخبر بالإمام رضي الله تعالى عنه ، * فجمع هنتاة ، وقال لهم : تداركوا بلادكم فإن الكفرة قد قصدت إليكم ، فخذوهم على بركة الله ! فودعوه ودعا لهم ، وانصرفوا إلى بلادهم .

فلما أشرفوا همز أبو ما غليف فرسه وكبر وقال : ابتدأت سواقي جرى الماء بالخير والبركات إلى بلادنا ! ، ثم قال لهم : يا هنتاة ، أنا أرغب إليكم أن

(1) سبقت الإشارة إلى أبي الحسن يوجوت بن واجاج هذا وخبر وقوعه هو ومائة من أصحابه من بني وارتانك في قبضة عامل السوس المرابطي أنى بكر بن ورييل وسجنهم في تيونوين (انظر ص 129 ، حاشية 4) .

(2) في الأصل : وارتارك .

(3) في الأصل : مغاليف .

(4) في الأصل : بالجلين .

تقدموني للرأي في هذا النهار لا غير ، ولا يشركني ⁽¹⁾ معي أحد ، فقالوا له :
نعم ، لك ذلك ، لأنك شيخ عارف بالأمور . فقدموه في ذلك اليوم ، فتخير ⁽²⁾
أنجاد فرسانهم ورجالهم ، وقد كان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه أعطاهم
خصمتهم ⁽³⁾ من غنيمة وقعة إيجيليز ⁽⁴⁾ المتقدم ذكرها من الخيل والسلاح والسلب ،
فتقوا بذلك . وأخذ بهم أبو ما غليف طريقا سلكه خرج منها أمام أعدائهم ،
فقتلهم أجمعين ، واحتوا على سلبهم ، حتى لتحصل لأحد هنتاة صاع ⁽⁵⁾ ممسوح
مملوء من دنائير ، وقتل سير ابن فودي ⁽⁶⁾ وأبو مسعود وريتسيغ بن بقور وغيرهم ⁽⁷⁾

.....
* أعزهم الله تعالى وغنموا أموالهم .

واتصلت الأنباء بالموحدين أعزهم الله تعالى أن الحشم فيمن انضاف إليهم
من بني واوزجيت ⁽⁸⁾ وغيرهم يتبعونهم ، فتربصوا بتادرات ⁽⁹⁾ حتى اجتمعوا بهم ،
فكانت بينهم وقعة عظيمة فتح الله تعالى فيها لأوليائه الموحدين أعزهم الله تعالى ،

(1) في الأصل : يشركه .

(2) في الأصل : فتحير .

(3) في الأصل : خصمتهم .

(4) في الأصل : الجليلين .

(5) في الأصل : صاع .

(6) في الأصل : فولى .

(7) عن هذه الوقعة انظر أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 80/1 .

(8) بنو واوزجيت المذكورون من أفخاذ أهل تينمل على ما يذكر صاحب كتاب المقتبس من
كتاب الأنساب (أخبار المهدي ص 41) ، وكانوا من أول من استجابوا للمهدي واعتنقوا دعوته قبل
وصوله إلى تينمل (أخبار المهدي ص 72) ، ولكنهم ثاروا عليه بعد ذلك ، فأوقع بهم ابن تومرت و عهد
المؤمن عدة وقائع . ويسمى ابن خلدون هذه القبيلة « بني واسكيت » (العبر 228/6) .

(9) تادرات إحدى مدن السوس تقع إلى شرق تينمل ، وقد ذكر البيهقي أن المهدي بنى فيها
مسجدا (أخبار المهدي ص 71 - 72) ، وكذلك أويشي : تاريخ 60/1 .

وهزمهم وقتلوا جميعهم ، ⁽¹⁾ ومات في تلك الوقعة العمران ، ⁽²⁾ وعمر بن ديان ⁽³⁾ ووصل الموحدون أعزهم الله تعالى إلى أنسا ، ⁽⁴⁾ والتقوا مع الحشم هنالك ، واستشهد من الموحدون أعزهم الله تعالى من كتبت عليه الشهادة ، وجاز الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه إلى جبل درن ، فاحتوى على تلك البلاد كلها من بلد تاصبوت إلى بلد ماغوصه ⁽⁵⁾ إلى بلد جنفيسة حتى وصل إلى واد يسان ، ومكث هنالك مدة حتى غزا تلك البلاد كلها ، ورجع حتى وصل تاصبوت ، ⁽⁶⁾ وجاز إلى تادارات أيضا ، فأغار الموحدون أعزهم الله تعالى عليها ، وقتلهم قتلا ذريعا . وجاز إلى حصن أوصليم ⁽⁷⁾ فحصره الموحدون أعزهم الله تعالى مدة ، ثم رحل عنه الإمام رضي الله تعالى عنه إلى بلد إنسوال ⁽⁸⁾ . ونهض إلى بلد غجدامة ⁽⁹⁾ إثر غدرهم للشيخ أبي محمد عطية ⁽¹⁰⁾ رحمه الله

صه

- (1) من هذه الغزوة وغزوة أنسا التي تليها انظر البيهقي أخبار المهدي ص 76 ؛ وابن خلدون : العبر 226/6 ، وأويحيى : تاريخ 70/1 - 71 ، وقد حدد هذا الباحث الأخير تلك الأحداث بسنة 517 .
- (2) لم نهند إلى من يقصده ابن القطان بذكر هذين « العمرين » ولعلهما كانا بعض القواد المرابطين .
- (3) في الأصل : عمر بن ديار - والتصويب عن البيهقي الذي نفهم من حديثه عنه أنه كان من قواد المرابطين معتصما بحصن أنسا ، وقد أشار البيهقي إلى هزيمته المشار إليها هنا في الكلام عن الغزاة الخامسة لابن تومرت (انظر أخبار المهدي ص 76 ، 128 ؛ وكذلك أويحيى : تاريخ 70/1 - 73) .
- (4) هو الحصن الذي يسميه البيهقي « أنسا بني إيماديدن » (أخبار المهدي ص 128) .
- (5) يسميها صاحب كتاب المقتبس ماغوسة (أخبار المهدي ص 42) وجاءت في موضع آخر باسم « موغوصة » (نفس المرجع ص 43) ، وهم فخذ من جدميوة كان يطلق عليهم اسم « جدميوة الجبل » ، وقد ذكر البيهقي أن المهدي غزاهم وفتح بلادهم في سنة 518 ، ولعله يعني نفس هذه الغزوة (أخبار المهدي ص 132) .
- (6) في الأصل : ياصبوت ، وقد وردت قبل ذلك بقليل كما أثبتنا .
- (7) لعل هذا الحصن هو المذكور في كتاب البيهقي (أخبار المهدي ص 132) باسم « أوصليم بني وارم غمي » ، ويشير إليه ابن القطان مرة أخرى قائلا إنه يقع في بلاد جلاوة .
- (8) ربما كانت إنسوال هذه هي التي ذكرها صاحب كتاب المقتبس باسم « سؤالة » ، وقال إنها أحد أفخاذ صنهاجة الظل (أخبار المهدي ص 46) .
- (9) في الأصل : عجرامة ، وقد أثبتنا ما جاء في كتاب المقتبس من كتاب الأنساب (ص 44) وقد ذكر في هذا الموضع أنها من أفخاذ هسكورة الظل . وسماها ابن خلدون « عجرامة » (العبر 228/6) .
- (10) أشار البيهقي إلى هذه الغزوة في أحداث سنة 522 ، إذ قال إن المهدي أرسل طلبة الموحدين إلى -

تعالى ، وكان غدرهم له وهو في مصلاه ، فاستباح الموحدون أعزهم الله تعالى بذلك دماءهم وأموالهم .

وقفل الإمام المهدي « رضى الله تعالى عنه راجعا إلى تينملل كرمها الله »⁴⁶ تعالى ، واستوطنها .

وقال اليسع بن أبي اليسع في استيطان الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه لتينملل :

إن أهل مدينة تينملل بعثوا رسلهم إلى الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه يعلمونه بطاعة هزيمة الجبل ، وأن يجيئه⁽¹⁾ وسكناه عندهم أصلح له وأقرب من تسامع الناس به ؛ فرحل إليهم رضى الله تعالى عنه بجميع من أطاعه . وحصل بتينملل ، وأكرمهم أهلها وأنزلوه في المدينة وأضافوه وأطاعوه وبايعوه ، فرأى من كثرتهم ومنعة موضعهم وحسن بلدهم مراحه .

فكان يخرج إلى الشريعة⁽²⁾ من خارجها . ويجلس على حجر مربع أمام محراب الشريعة ، فيعظ الناس ، وكانت قبيلة هزيمة يسكون العدة فقال لهم الإمام يوما : مالكم تمسكون العدة . وأصحابنا إخوانكم الموحدون أعزهم الله تعالى لا يسكونها ؟ فأقاموا على ترك عدتهم زمانا ، وقد كان الإمام رضى الله تعالى عنه خاف من جهتهم لكثرتهم ومنعتهم ، وكوشف من حالهم بما اقتضى له تدقيق النظر في أمرهم ، فوصلوا في بعض الأيام إلى الوعظ دون عدة ، فما شعروا إلا وأصحابه الموحدون أعزهم الله تعالى ورضى عنهم معهم العدة قد أحاطوا بهم ، فقتل منهم في ذلك « اليوم نحو من خمسة عشر ألفا »⁽³⁾ ، وقتل من ذلك⁴⁷ ،

= قبائلهم ، وكان من هؤلاء أبو محمد ابن عطية المنحصى : أرسل إلى غجرامة ، فتوفي شهيدا في هـ . السنة (انظر ص 132) ، وراجع كذلك ابن خلدون : العبر 228/6 .

(1) في الأصل : مجته .

(2) ذكر دوزي في « ملحق القواميس العربية » تحت هذه المادة (748/1) أن لفظ « الشريعة » كان يطلق في الاستعمال المغربي على القاعة المخصصة لإلقاء الدروس والمواعظ في المساجد .

(3) بياض في الأصل بقدر كلمة .

القبيل كل من حضر في ذلك اليوم يتينملل ، وسبى حرمهم ، وغنمت أموالهم ،
فقسم أرضهم وكرومهم بين الموحدين من أصحابه ، وأصفى ديارها جوائز
جوائز : لكل جائزة قبيلة ⁽¹⁾ .

ثم أدار على المدينة سوراً أحاط بوهدها ، وبنى على رأس الجبل سورا ،
وأفرد في قوته حصنا يكشف ما وراء الجبل ⁽²⁾ .

قال اليسع :

ولا أعلم مدينة أحصن [ولا أمنع] ⁽³⁾ منها ، إذ أنها بين جبلين لا يدخلها
الفرس إلا من شرقيها وغربيها . فأما غربيها فطريق أوسع ما به ما يمشى عليه الفارس
وحده . وأضيقة ما ينزل عن فرسه خوفا من سقوطه ، لأن الطريق مصنوعة في
نفس الجبل ، تحت راكبها حافات ، وفيها مواضع مصنوعة بالخشب ، إذا أزيلت
منها خشبة لم يمر عليها أحد ، ومسافاتها على هذه الصفة نحو من مسيرة يوم ؛
وكذلك من شرقيها ، وهي طريق مراکش ، على صفة الغربية ⁽⁴⁾ .

وقد اتفق لهم فيها أنهم تركوا في أول الحال عسكرياً دخل إليه الطريق الشرقية
مع « الزبرتين » ⁽⁵⁾ وكان من أقماط ⁽⁶⁾ الروم فأسلم ، وكان * ⁽⁷⁾

(1) كذا ، وهو يعني : لكل قبيلة جائزة . هذا وقد نقل خير هذه الواقعة عن اليسع - فيما يبدو -
ابن الأثير (الكامل 296/8 - 297) والنويري (نهاية الأرب - ط . جاسبار رميرو - ص 190 - 191) .
ذلك أشار إليها صاحب الحلل المشوية إشارة عابرة (ص 112) . وانظر أويشي : تاريخ 71/1 - 73 .

(2) في وصف تينملل ومدي ما هي عليه من حصانة انظر H. Terrasse & Basset : Sanctuaires
et Fortresses almohades ، p. 37 ss . (المشاهد والقلاع الموحدية) ؛ وكذلك Ferriol : Les Ruines
de Tinnel ، Hesperis ، 1922 ، pp. 162 - 163 (أطلال تينملل) وكتاب أويشي : تاريخ 73/1 - 74 .

(3) كلمتان مطموستان لا تستبين منهما إلا بعض الحروف .

(4) في وصف الطريق المؤدي إلى تينملل انظر الإدريسي : نزهة المشتاق ص 64 ، وكذلك بحث
تيراس وباسيه : المشاهد والقلاع الموحدية ص 35 .

(5) في الأصل : الزبرتين ، وهو تحريف أصلحناه بما أثبتنا ، وكان قائداً مسيحياً أندلسياً من =

وما يريدهونه من النزول إلى البسائط ، ⁽¹⁾ ⁽²⁾ العسكر الطريق هبطوا من أعلى الجبل عليهم ، فلم يفلت منهم إلا من كان في بطن الوادي .
ولما قتل الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه أهل تينملل آخى بين أصحابه ⁽³⁾ ، وكان يبعث بعونه إلى المواضع التي تليه من ناحية سوس ، وهي قبيلة ⁽⁴⁾ تينملل ، فيغيرون عليها ، فيسبون ويقتلون ويغنمون ، وفي كل يوم يتزايدون ويصلون أفواجا إلى دين الله تعالى فيدخلون .

فواد أمير برشلونة Barcelona وأرغن Aragon ومن كبار رجالات دولته ، ثم وقع في أسر قائد البحر المراتبي علي بن ميمون ، فوجهه هذا إلى مراكش حيث اعتنق الإسلام ولزم خدمة الأمير علي بن يوسف ، ففلاه سلطان المراتبين قيادة الجيش المسيحي المرتزق الذي خدم تحت لواء المراتبين في محاولاتهم لإخماد ثورة الموحدين ، وكان اسم هذا المنصب « قائد الروم » ، وقد أبلى « البربرتر » في قتال الموحدين بمنطقة السوس بلاء حسنا حتى قتل في إحدى المعارك التي خاضها ضد الموحدين في سنة 539 . أما اسمه فهو اسم إسباني تعرفه المراجع الإسبانية على هذه الصورة : Reverter ؛ وقد كان للبربرتر هذا ولد اسمه علي اعتنق فيما بعد دعوة الموحدين وأصبح من أكابر رجال دولتهم ، وإليه يرجع الفضل في انتزاع جزيرة ميورقة Mallorca من أيدي بني غانية ، وقد قتل على هذا في إحدى المعارك سنة 583 (انظر عن أخبار البربرتر وحياته ابن خلدون : العبر 230/2 - 231 ؛ البيهقي : أخبار المهدي ص 86 - 88 ، 95 - 96 ؛ وتعليقات لهي بروفنسال في ترجمته الفرنسية لهذا الكتاب ص 139 ، 155 ؛ وريهارت دوزي : Recherches..., II, pp. 437 - 442 ومقال الدكتور حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المراتبين إلى الموحدين - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ببلدريد ، مجلد سنة 1955 ، ص 102) . هذا ونلاحظ أن ابن خلدون يسميه « الروبرتر » بينما يسميه البيهقي « البربرتر » .

(6) جمع « ققط » وتكتب أيضا « قومس » Comes (بالإسبانية Conde ، وبالفرنسية Comte) ، وهو اللقب المعروف « الكونت » .

(7) في الأصل موضع ثلاث كلمات مطموسة طمسا كاملا ، والمقصود كما يتبين من السياق : « وكان يخول بين الموحدين وما يريدهونه .. الخ » .

(1) في الأصل : البساط ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

(2) في الأصل موضع كلمتين مطموستين ، ولعلهما « فلما سدد العسكر الطريق ... الخ » أو شيء في معناها .

(3) أورد صاحب كتاب القبتيس فصلا طويلا عن هذه « المؤاخيات » التي قام بها المهدي بين أصحابه وأنصاره (انظر أخبار المهدي ص 37 وما بعدها) .

(4) كذا ، والمعروف أن أهل تينملل لم يكونوا قبيلة واحدة ، وإنما كانوا قبائل شتى يجمعهم -

وكان رضى الله تعالى عنه أثبت في العشرة الفقيه الإفريقي ، ⁽¹⁾ فلما قتل أهل تينملل أنكر ذلك ، فقتل وصلب ، لأنه شك في عصمة الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه .

وكان مبتدأ هذه المحاولات ⁽²⁾ في سنة ثمانى عشرة . وكأنها كلها كانت فيها أو في التي بعدها ، لم يبينوا ذلك ، وكأن الأول أظهر الأمرين .

* * *

- اسم هذا الموضع كما قال عبد الواحد المراكشي (المعجب ص 323) ؛ ولهذا فربما كانت هذه الكلمة تعريفا للفظ « قبله » أي الواقعة إلى جنوب تينملل .

(1) هو الفقيه الإفريقي الذي سبق أن نبه إليه ابن القطان عند حديثه عن أهل العشرة قائلا إنه « لا ، در اسمه الآن » (انظر ص 125 ، حاشية 2) ، ولم يورد اسمه صاحب كتاب « المقتبس » عند إيرادها لأسما، هؤلاء العشرة .

(2) قد تحتل أيضا أن تكون « المحاولات » .

أخبار غير الموحدين أعزهم الله تعالى :
من ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى .

في هذه السنة توفي أبو الحسن موسى « بن عبد الصمد »⁽¹⁾ ، والفقيه أبو بكر ابن عطية الغرناطي⁽²⁾ ، وقاضي قبة أبو عبد الله الموروري⁽³⁾ ، والمشرف أبو محمد ابن مالك⁽⁴⁾ .

ومن ذلك قتل الأفضل صاحب الأمر ، فقد قيل إنه كان في هذه السنة ، وقد قدمناه في سنة أربع عشرة⁽⁵⁾ مع ما ذكره ابن حمّاد⁽⁶⁾ .

(1) هو أبو الحسن موسى بن عبد الصمد بن موسى البكري القرطبي ، ولد سنة 466 وروى عن أبيه وعن أبي مروان ابن سراج وغيرهما ، وتقلد أحكام القضاء بقرطبة مع الشورى ثم صرف عن ذلك ، وله رحلة حج فيها وكتب كثيرا رواها ، وقد سمع منه في المشرق ، وتوفي سنة 518 (ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 1440 . ط . مدريد ، وانظر ص 577 ، الهامش من طبعة القاهرة) .

(2) أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية المخاربي الغرناطي ، ولد سنة 441 ، وروى عن أبيه وغيره ، ورحل إلى المشرق سنة 469 فسمع صحيح مسلم وسمع بالمهديّة صحيح البخاري ، وكان حافظا للحديث وطرق علله وأسماء رجاله وكان شاعرا لغويا ، توفي سنة 518 (ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 981 ؛ والفتح بن خاقان : قلائد العقيان ص 205 - 206) .

(3) هو أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن أبي الخير بن علي الأنصاري ، وأصله من سرقسطة ، سكن قرطبة ، وله رواية عن الباجي وأبي محمد ابن فورتش والعدري وغيرهم ، عني بالقراءات وجودها ، وحدث عنه أبو عبد الله بن الحاج قاضي الجماعة بقرطبة ، وتوفي بقرطبة سنة 518 (ابن بشكوال : الصلة ، رقم 1265 ؛ وابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي الصديقي ، رقم 89) .

(4) ذكره ابن خاقان في قلائد العقيان (ص 169 - 170) ، وسماه « الوزير المشرف » وقال إن أمر المسلمين (أي علي بن يوسف) ولاه شرق الأندلس عند ما كثرت فساداه ، فاستقل بعمله أحسن استقلال .

(5) سبق أن علقنا على ما ذكره ابن القطان حول مصرع الأفضل (انظر ص 79 ، حاشية رقم 2) ، وقد جعله المؤرخ في سنة 514 وإن كان قد أورد الخبر في ذكر أحداث سنة 515 ، والواقع أن مقتل الأفضل كان في سنة 515 المذكورة لا في 514 ولا في 518 كما نرى من اضطراب ابن القطان بين التاريخ ، ولعل المؤرخ خلط بين الأفضل والذي خلفه على الوزارة وإمارة الجيوش بمصر وهو أبو عبد الله المأمون بن البطائحي ، إذ أن الأمر لم يلبث أن قبض عليه وقتله هو وأخاه المؤمن بعد أن استصفى أموالهما ، وحتى ذلك إنما وقع في سنة 519 لا في السنة السابقة (انظر ابن تغري بردي : الحجوم الزاهرة 229/5) .

قال الوراق (1) :

وظهر الأمر بعد قتل الأفضل ، بعد أن لم يكن يظهر إلا مرتين في السنة وكان الأمر سيئ السيرة . زين له بطانته أنه يملك الدنيا بأجمعها ، ورأى أن ذلك لا يكون إلا بالرجال ، والرجال لا يملكون إلا بالمال ، فنظر في صرف أموال جميع الأمراء إليه وجميع الناس فكان لا يرث بديار مصر والد ولده ، ولا ولد أباه ، وإنما يصير ما يتركه الناس من الأموال إذا ماتوا للسلطان . وأمر بأخذ أموال التجار الغرباء وسائر الناس من السوق (2) تسبب إليهم الأسباب لأخذ أموالهم ، فيؤتى إلى التاجر العطار ، فيقال له : وجد في زمن مولانا عليك كذا وكذا ! - ما يستغرق جميع ماله وأضعافه (3) - : فينكر الرجل ذلك ويقول : ما اشتريت قط بنسيئة من سلطان ولا غيره ! فلا يسمع قوله ، ويعذب حتى يقر أن جميع

(1) هو أبو الحسن علي بن حمادة الصنهاجي المتوفى سنة 628 مؤلف كتاب « البذ المحتاجة » ، في أخبار مصهاجة » ، وكتاب « أخبار ملوك بني عبيد (أي الفاطميين) وسيرتهم » الذي نشره فوندرهايدن في المرات سنة 1927 مع ترجمة فرنسية (وإن كان الناشر قد أخطأ في اسم المؤلف إذ جعله « ابن حماد ») ؛ وهو « ابن عبد الله محمد بن حمادوه البرنسي السبتي صاحب كتاب « المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس » (انظر عن علي بن حمادة كتاب « مفاخر البربر » ص 65 ؛ وليفي بروفنسال : نص جديد عن فتح العرب للمغرب - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمديريد سنة 1954 ص 205 ، حاشية رقم 1 ؛ وكذلك ، Robert Brunschvig : Un aspect de la littérature historico-géographique del'Islam, Mélanges Gaudfroy - Demombynes, Le Caire, 1936, 1945, (p.156) .

(1) هو أبو مروان عبد الملك بن موسى الوراق صاحب كتاب « المقياس في أخبار المغرب والأندلس وفاس » ، وهو من مؤرخي القرن السادس الهجري ، وكان كتابه من أهم مراجع ابن عذارى في البيان المغرب (انظر البيان 2/1 ، 228/3 ، 249 ، 258 ، 272) وابن الخطيب (الإحاطة - ط . حب الدين الموطأ 1/278 ، 288 ؛ و ط . محمد عبد الله عنان 446/1 - 447) والسلاوي (الاستقصا 1/166 ، 169) و « مفاخر البربر » (ص 37 ، 64) ، وانظر كذلك عنه ليفي بروفنسال : تاريخ إسبانيا الإسلامية 259/2 ، 264 ، 272 ؛ 81/3 .

(2) في الأصل : السرقة .

(3) في الأصل : وأضعفه .

ذلك من شراء فلفل أو لآك⁽¹⁾ أو غير ذلك من العطر . فإذا استصفى ماله طلوب بما بقى عليه فإذا لم « يوجد عنده شيء قيل له : أحل على من تعرف أنه ذو مال وكثر وتصرف ، فيقول الرجل : فلان عنده دين ترتب لي عليه ، وهو كذا - ويذكر عدداً يستغرق مال ذلك الرجل ، فيترك الأول ، ويؤخذ الثاني فيفعل مثل ما فعل بالأول : فكانت أيامه على هذه الوتيرة⁽²⁾ !

واستخلص لنفسه فتيين من الفتيان الوضاء الوجوه الحسن الخلقه ، كان أحدهما للفاحشة ، وكان رزق كل واحد منهما في كل يوم ألف دينار⁽³⁾ . اسم أحدهما حرز الملوك⁽⁴⁾ . اسم الآخر العادل ؛ وأحدث في بلاد مصر أشياء لم يستحل⁽⁵⁾ مثلها الفراعنة ولا التماردة ، ولا سائر الأمم الماضية .

والعباسي في هذه السنة هو المسترشد في هذه السنة قبل ؛ وأمير إفريقية الحسن بن علي بن يحيى ؛ وعصر الأمر .

(1) كذا ، وربما كانت هذه الكلمة تحريفاً للفظ « لك » (بضم اللام وتشديد الكاف) ، وهو صيغ يستخرج من بعض الأعشاب (انظر لسان العرب تحت هذه المادة) .

(2) لخص ابن عذارى هذه الفقرة في « البيان المغرب » (287/1) ناسباً إياها إلى ابن القطان ، « ما » « وكان [الأمر بحكم الله] جباراً عنيداً ظالماً جائراً ، وكثر في زمانه دعوى الباطل ، ونصر الظالم على المظلوم وإعانتة على ظلمه » .

(3) نقل هذا النص أيضاً ابن عذارى (بيان 287/1) وأضاف إليه : « وكان يعمل الزراعة » (15) ، ولعلها التزه (ويصح للناس فيها المخطورات ، فلا يشاء مؤمن أن يعاين منكراً مباحاً إلا غايته » .

(4) في الأصل : هدار ملك ، وسيأتي الاسم فيما بعد في هذا الكتاب هكذا « حرز الملوك » ، وهو ما أثبتناه هنا ، وإنما يعني هذين المملوكين اللذين أشار إليهما المقرئ في الخطط (172/2) وابن عري بردي (النجوم 240/5) واسم أولهما عند المقرئ « هزار الملوك برغوار » وعند ابن تغري بردي « هزار الملوك جوامرد » ، وأما الثاني فهو برغش الملقب بالعادل . هذا ويبدو من هذا النص تعامل ابن القطان على الفاطميين ومبالغة في التشهير بهم ، إذ لا يشير المقرئ ولا ابن تغري بردي إلى ما برع مؤلفنا هنا أنه كان الغرض من استخدامهما ، فكلا المؤرخين يقول إنهما كانا من خدام الأمر ، وإليهما يرجع الفضل في تولية الخليفة الحافظ بعده .

(5) في الأصل : يستحر ، ولعلها كما أثبتنا ، وقد تكون أيضاً « يستجز » .

ومات⁽¹⁾ في هذه السنة العزيز بالله صاحب نجاية . وول ابنه يحيى وكان لبني الناصر [بن علاء الناس بن حماد بيجاية والقلعة وتلك البلاد]⁽²⁾ وزراء يعرفون ببني حمدون [توارثوا وزارتهم . منهم ميمون بن حمدون⁽²⁾] عند يحيى هذا ، فنشأ ليحيى ولد ، فولاه الأمر بعده ، وفوض الأمر إليه في حياته ، فجعل الولد يستنقص [الوزير]⁽²⁾ ميمونا ويقبح أفعاله ويسميه « الشيخ الكذاب » ، فخاف منه ميمون على نفسه ، فجعل يخاطب الإمام * أمير المؤمنين أبا محمد عبد المؤمن ابن علي رضي الله تعالى عنه .

باب أخبار سنة تسع عشرة وخمسمائة :

في أخبار الموحدين :

فمن ذلك ظهور أبي محمد البشير :

قال اليسع :

لما كان عام تسعة عشر وخمسمائة خرج الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه إلى الناس ، فقال له : تعلمون هذا الشيخ البشير ؟ فقالوا له : ومن البشير ؟ قال لهم : هو الونشريشي . تعلمون⁽³⁾ أنه أُمي لا يقرأ ولا يكتب ، وتعرفون أنه لا يثبت على آية ، وقد جعله الله مبشراً لكم مطلعاً على أسراركم ، وهو من آية الله تعالى في هذا الأمر !

فأول كراماته أنه حفظه الله القرآن ، وعلمه الركوب ، ثم استعرضه أمامهم فحفظ ، فعرضه عليهم في أربعة أيام : في كل يوم ربع ، وأجرى أمامهم حصانا أتقن ركوبه غاية الإتيقان ، فاستغربوا أمره وأعجبهم وصدقوا ذلك تصديقا قويا⁽⁴⁾ .

(1) نقل هذا النص حتى آخر الفقرة ابن عذارى في البيان المغرب (309/1 - 310) دون أن ينسبه إلى ابن القطان .

(2) إضافات يقتضيها السياق ، من البيان المغرب (الموضع المذكور في الحاشية السابقة) .

(3) في الأصل : يعلمون .

(4) أورد هذه القصة مع كثير من التفاصيل التي هي أشبه بحولك الاساطير منها بسرد التاريخ : ابن الأثير في الكامل (297/8) والنويري في نهاية الأرب . (ط . جاسبار وميرو سنة 1919) من 192 - 192 ؛ =

ثم قام الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه خطيباً فهم ، فقال لهم :

« قال الله تعالى : ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ⁽¹⁾ ﴾ ، وقال سبحانه ⁽⁴⁾ :
وتعالى : ﴿ منهم المؤمنون وأكثرهم ﴾ الفاسقون ⁽²⁾ ﴾ ؛ وهذا البشير مطلع على
الأنفس محدث ، والنبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم يقول « إن
في أمتي محدثين ، وإن عمر منهم ⁽³⁾ » ؛ وقد صبحنا أقوام أطلعه الله تعالى على ما
في نفوسهم من النفاق ، ولابد من النظر في أمورهم حتى يتم المراد من العدل في
أحكام هذه البلاد .
فقالوا له :

- ما أمرت بمثل !

فنودى في الناس في جبل المصامدة المطيعين : من كان مطيعاً لله تعالى
ولرسوله ﷺ وللإمام المهدي رضى الله تعالى عنه ⁽⁴⁾ فليقبل !
فكانوا يأتون قبائل قبائل ⁽⁵⁾ ، فيعرضون على البشير ، فيخرج قوماً عن
يمينه وقوماً ⁽⁶⁾ عن يساره ، فكل من أخرجه عن يمينه يزعم أنه من أهل الجنة ، وما
خرج عن يساره ، إلا شاكاً ⁽⁷⁾ في الأمر وفي الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه .

- وانظر كذلك أوثى : الخرافة والتاريخ فيما كتب عن نشأة الدولة الموحدية (وهو الملحق الأول من
ملاحق كتابه « تاريخ الدولة الموحدية ») 596 - 595/2 .

(1) سورة الأنفال ، آية رقم 37 .

(2) سورة آل عمران ، آية رقم 110 .

(3) ورد هذا الحديث في صحيح مسلم في باب فضائل عمر (رضى) (115/8) على هذه الصورة :
« قد كان يكون في الأئم قبلكم محدثون ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم » ؛ وفسر
ابن وهب لفظ « المحدث » هنا بأنه الملهم ، وقال القسطلاني إن المحدث هو الذي يلقي في روعه الشيء قبل
الإعلام به أو يجرى الصواب على لسانه من غير قصد .

(4) زيادة يقتضيا السياق .

(5) في الأصل : قبائل قبائل .

(6) في الأصل : قوم وقوم .

(7) في الأصل : شاكا .

واتفقت له فيهم عجائب : منها أنه يؤتى برجل ، فيقول : ردوا هذا على
اليمن ، فإنه تائب ، وقد كان قبل كافراً بهذا الأمر ، ثم أحدث البارحة أو اليوم توبة !
فيقول الرجل : كل ما حدث به الإمام فهو حق ! ويطلق أهل اليسار ، وهم
يعلمون أنه ليس لهم إلا القتل ، فلا يفر منهم أحد . وكان إذا اجتمع منه كثير
قتلهم * قرباتهم : يقتل الأب ابنه والابن أباه والأخ أخاه ⁽¹⁾ .

أخبار سنة (522)

..... * وفيها استرعى علي بن يوسف البيعة لابنه سير ⁽²⁾ ، فعقدت
له البيعة بقرطبة .

(1) من هذا « التمييز » أو التطهير الذي اضطلع به البشير انظر ابن الأثير والنويري (في الموضوعين
الذين سلفت الإشارة إليهما من قبل) ؛ والبيدق : أخبار المهدي ص 78 ؛ وابن خلدون : العبر 228/6 ؛
والسلاوي : الاستقصا 86/2 - 87 .

(2) سير بن علي بن يوسف بن تاشفين ، من أبناء السلطان المرابطي علي بن يوسف ، وقد عقد له
أبوهم ولاية العهد في يوم الجمعة 14 جمادى الأولى سنة 522 (15 يونيو 1128) كما نص على ذلك ابن
مبارك في البيان المغرب (القسم المرابطي ص 78 - 79 وعبد الملك بن موسى الوراق في كتاب المقياس
حسبما نقل عنه ابن الخطيب في الإحاطة (ط . عنان) 446/1 - 447 ، وعهد علي بن يوسف في نفس
الوقت إلى ابنه تاشفين بحكم الأندلس ، فكير ذلك على سير وفاروس أباه في عزله لما اشتعل في نفسه من
حسد لأخيه تاشفين بسبب ثناء الناس عليه ، فلم يسع أباه إلا أن عزل تاشفين عن الأندلس وأمره
بالوصول إلى حضرته ، فرحل هذا إلى مراكش في أواسط سنة 531 ، وصار في جملة من يتصرف بأمر
أخيه سير ويقف ببابه كأحد حجابيه . وقد بقي سير ولياً للعهد منذ سنة 522 حتى وفاته سنة 533 « على
الصورة القبيحة » كما يقول ابن الخطيب ، وهي الصورة التي سوف يصفها ابن القطان عند الحديث عن
موته في أخبار سنة 533 ، ويتفق مع هذا ما يذكره فرانسيسكو كوديرا في بحثه عن « بني تاشفين » في
كتاب « أبحاث نقدية حول التاريخ الأندلسي » (المجلد التاسع - سرقسطة سنة 1899) ص 119 - 120
حيث يصف مجموعة من القود المرابطية ضربت في مراكش والمرية وإشبيلية منصوباً فيها على « سير ولي
العهد » . (وانظر عن سير بن علي مقالنا « وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين » ص 132 - 133
والمرامح المذكورة في هذا الموضوع) .

وفيهما عزل علي ولده أبا بكر ⁽¹⁾ عن إشبيلية ⁽²⁾ ، وغربه مكبولا إلى الصحراء
لأمر نسب إليه ، لأنه لم يرض بيعة أخيه ، وولى مكانه بإشبيلية أجداي ⁽³⁾ ،

(1) أبو بكر بن علي بن يوسف ، هو أكبر أبناء السلطان المرابطي ، ولد سنة 493 (1099 - 1100) ،
وكان يلقب بـيكور (صيغة تصغير « أبي بكر ») وكذلك بكو ، ونشأ بالأندلس كما جرت عادة علي بن
يوسف في تنشئة أبنائه ، فدرج في إشبيلية وقام على رعايته وتأديبه الطبيب الأندلسي المشهور أبو مروان
ابن زهر ، ولكنه لم يكن منصرفا إلى التحصيل بل كان كثير التشغب والتضريب كما نستدل من رسالة من
أبيه إليه (نشر هذه الرسالة الدكتور حسين مؤنس : سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في
الأندلس صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، سنة 1954 ص 68 - 70) ، ويبدو أن أول
منصب رسمي عهد به إليه كان حكم إشبيلية في ذي الحجة سنة 517 (يناير - فبراير 1124) ، وإن كان لم
يضطلع به بالفعل إلا في شهر المحرم سنة 518 (فبراير - مارس 1124) ؛ وكان مما قام به أثناء حكمته
إشبيلية تعقبه لألفونسو المخارب حينما قاد حملته الطويلة التي اخترق فيها بلاد الأندلس في سنة 519
(1125 - 1126) ، وقد أسند إليه أبوه بعد ذلك قيادة جيوش الأندلس في 27 صفر سنة 520 (24 مارس
1126) ؛ ويذكر ابن الأبار من غزواته حملته إلى كولية في جمادى الآخرة سنة 522 (التكملة ط . كوديرا
ص 87 ، الترجمة رقم 289) ، أما عزله عن إشبيلية الذي يشير إليه ابن القطان في هذا النص فإنه كان في
رجب سنة 522 (يولييه 1128) بسبب نصريجه بالتذمر والضيق من تعيين أخيه سير وليا للعهد ، ولعله
كان يرى نفسه أحق بذلك لأنه أكبر إخوته . فنفي إلى الصحراء (صحراء المغرب) كما يذكر ابن القطان ،
ويبدو أن أباه رضى بعد ذلك عنه إذ نرى أنه قد عهد إليه بقيادة بعض جيوش المرابطين في قتال الموحدين ،
وفي سنة 533 يتوفى سير بن علي ولي العهد فيعهد علي بن يوسف بالأمر إلى تاشفين ، ويعود أبو بكر إلى
الاحتجاج والسخط . حتى إذا ضاق به أبوه أمر بإخراجه من مراکش وحمله إلى الجزيرة الخضراء ليسجن
بها ، ويقول ابن عذارى إنه وصل إلى الجزيرة مريضا فلم تطل مدة محبسه هذا إلى أن هلك (انظر مقالا
« وثائق تاريخية جديدة » ص 130 - 139 ؛ وأويشي : علي بن يوسف وأعماله بالأندلس ص 102 ، 108 ،
وانظر كذلك ابن عذارى : البيان المغرب (القسم الموحدي - ط . بيروت ص 30) .

(2) كذا ، ويكتب هذا الاسم عادة « إشبيلية » ، على أن كتابة هذا الاسم بغير ياء - كما جاء في
الأصل - كان شائعا في عامية الأندلس كما ينص على ذلك ابن هشام اللخمي في « لحن العامة » :
« ويقولون ببعض بلاد الأندلس إشبيلية ، والصواب إشبيلية ، وكذلك عربتها العرب ، وكان اسمها قبل
ذلك أشبانية » (انظر هذا النص و تعليق الدكتور عبد العزيز الأهواني عليه في مقاله « ألفاظ مغربية من
كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة » مجلة معهد المخطوطات العربية مايو سنة 1957 ص 143) .

(3) لسنا نعرف على وجه التحقيق من هو « أجداي » هذا ، وقد ذكر أويشي في مقاله عن « علي بن
يوسف ... » أنه هو المسمى بعد الله بن أبي بكر سير اللمتوني (ص 102 - 103 ، 112) ، ثم ذكر -

فنهض من قرطبة إلى إشبيلية ، واستخلف على قرطبة أبا زيد تيكلمت⁽¹⁾

وفيهما ولى [قضاء] قرطبة [أبو] عبد الله محمد * بن أصبغ⁽²⁾ ؛ وقدم أبو الوليد بن رشد⁽³⁾ إلى مراکش على علي بن يوسف ، وأشار عليه ببناء سور

- مرة أخرى في نفس المقال أنه عبد الله بن عمر بن سير اللمتوني (ص 107 - 108 ، 111) ؛ هذا والذي نعرفه من القائمة التي أوردها ابن عذارى لولاء إشبيلية في « البيان المغرب » (القسم المراتبي) (ص 106) أن الذي خلف أبا بكر بن علي بن يوسف على حكم إشبيلية هو عمر بن سير وظل عليها ما بين شعبان وذو القعدة سنة 522 (أغسطس - ديسمبر 1128) . انظر مقال أويثي السالف الذكر ص 108 ؛ ويرى هذا الباحث أن حكم أجداي للمدينة ربما كان بصفة مؤقتة قبل ولاية عمر بن سير المذكور .
1 ذكر أويثي في مقاله المشار إليه (ص 111) أن أبا زيد هذا قتل في سنة 524 (1129 - 1130) في خلال معركة مع النصاري على الأرجح ، وأن حكمه لقرطبة كان لفترة قصيرة على أية حال ، إذ أن ابن القطان هو المؤرخ الوحيد الذي يشير إلى ولايته .

2 في الأصل : « وفيها ولى قرطبة عبد الله بن محمد بن أصبغ » ، والنص على هذه الصورة يقع في الخطأ مما حملنا على إصلاحه على ما أثبتنا ، فالذي نعرفه من سائر المراجع التاريخية أنه لم يل ولاية قرطبة أحد يحمل هذا الاسم في السنة المذكورة ، وإنما نعرف أن من بين من ولوا قضاء الجماعة بقرطبة أبا عبد الله محمد بن أصبغ الأزدي القرطبي المعروف باسم ابن الناصف ، ولد سنة 474 ، وولى خطة المظالم بقرطبة مع شيخه أبي الوليد ابن رشد ، وكان هذا يستحضره في مشايخ أهل الشورى ، ثم ولى قضاء الجماعة مدة طويلة ، وصرف بعد ذلك عنه ، ففرغ إلى التدريس وولى الصلاة بالمسجد الجامع ، وتوفي سنة 536 وقد جاوز الستين (انظر في ترجمة : الضبي : بغية الملتبس ترجمة 51 ؛ ابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي الصديقي ، ترجمة 118 ؛ ابن سعيد : المغرب 163/1 ؛ ابن بشكوال : الصلة رقم 1288) .

هذا ويدلنا على صواب ما رجحنا أن ابن القطان نفسه سيذكر في أخبار سنة 528 أن فيها عزل علي ابن يوسف « أبا عبد الله بن أصبغ » عن القضاء بقرطبة ؛ وقد اتخذ بنص ابن القطان الأستاذ أويثي فعده من ولاية قرطبة في هذه السنة (انظر مقاله عن علي بن يوسف ... ص 111) .

3 هو الفقيه المشهور أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، ولد بقرطبة في سنة 450 ، وولى قضاء الجماعة في قرطبة سنة 511 وبقي في هذا المنصب حتى سنة 513 أو 515 إذ استعفى من القضاء لكي يتفرغ لتأليف كتابه الكبير « البيان والتحصيل » . وكانت وفاته في الحادي عشر من ذي القعدة سنة 520 . (انظر في ترجمته ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 1270 ؛ الضبي : بغية الملتبس ، ترجمة 24 ؛ ابن فرحون : الديباج المذهب ص 278 - 279 ؛ النباهي : المرقبة العليا ص 98 - 99 ، وانظر كذلك بروكلمان : تاريخ الأدب العربي 384/1 . والذيل 662/1 .

مراكش ، وقال له : لا يعمل لك سكنى هذه المدينة دون سور ، فبناه وأنفق في بنائه نحو سبعين ألف دينار ⁽¹⁾ .

وفيه مات ابن الوراق السرقسطي ⁽²⁾ ، وابن يربوع المحدث ⁽³⁾ ، وأبو بكر ابن ناصر ⁽⁴⁾ .

والعباسي في هذه السنة المسترشد كما كان ، وبإفريقية حسن بن علي ، وبمصر الأمر .

* * *

(1) من الواضح أن ابن القطان قد وهم هنا إذ جعل رحلة ابن رشد إلى مراكش في سنة 522 هـ بعينها ، فإنه توفي قبل ذلك بستين ، ويبدو أن ابن القطان قد اعتمد في هذا التاريخ على أبي مروان الوراق في كتاب « المقباس » إذ أن هذا المؤرخ هو الذي أوحى في كلامه عن بناء سور مراكش بأن رحلة ابن رشد كانت في سنة 522 هـ ولو أنه لا ينص على ذلك صراحة (انظر ما نقله عن الوراق في ذلك صاحب كتاب « مفاخر البربر » ص 53) ، وقد تابع ابن القطان على ذلك ابن عذارى في البيان المغرب (310/1) ولو أنه لا ينص على نقله عنه والصحيح أن رحلة ابن رشد إلى مراكش ونصحه لعل بن يوسف ببناء سورها إنما كانا في أواخر سنة 519 هـ على أثر الغزوة التي قام بها ابن رزمير (ألفونسو المحارب ملك أرغن) واخترق فيها الأندلس من شمالها إلى جنوبها . وقد نص على هذا التاريخ صاحب الحلل الموشية (ص 97) ، وقد كانت وفاة ابن رشد بعد رجوعه إلى قرطبة من تلك الرحلة بنحو خمسة شهور (انظر ترجمة أويشي الإسباني « النص » الحلل » ص 116 ، وكذلك مقالنا « وثائق تاريخية جديدة ... » ص 124 - 126) .

(2) في الأصل : « ابن الوراق والسرقسطي » مما يوحي بأنهما شخصيتان مختلفتان والواقع أن الإشارة هنا إلى أبي المطرف عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الفهمي السرقسطي المعروف بابن الوراق ، أقرأ الناس بالمسجد الجامع بقرطبة وتولى الصلاة فيه ، وكانت وفاته في الخامس من صفر سنة 522 هـ ، وكان مولده في سنة 442 (انظر ترجمته في ابن بشكوال : الصلاة ، ترجمة 750) .

(3) هو المحدث المشهور أبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعيد بن يربوع ، أصله من شتتين ، وبصرى في عداد أهل إشبيلية ، وسكن قرطبة ، وكان بصيراً بالحديث والرجال والتعديل والتجريح ، وتوفي في التاسع من صفر سنة 522 هـ ، وولد في سنة 444 (انظر ترجمته في الصلاة ، رقم 644 ، وابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي الصديقي ، رقم 191) .

(4) لم نهند إلى شخصية ابن ناصر هذا .

باب

أخبار سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

كان الموحدون أعزهم الله تعالى بتينملل .

وفي هذه السنة وصل إلى علي بن يوسف خبر من مدينة بلنسية أن ابن رذمير⁽¹⁾ عازم على الخروج إلى بلاد المسلمين ، فخشى أن تكون حركته كالتى كانت في سنة عشرين⁽²⁾ ، فقسط على الرعية سودانا يغزون في العساكر ، وكان قسط أهل فاس منها ثلاثمائة غلام من سودانهم برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم ، يخرجون ذلك من أموالهم ، ففعلوا .

ونهبست الحشود إلى مرسية ، وقائدها يدر بن ورقاء⁽³⁾ ، وقائد العساكر

(1) يعنى به ألفونسو الأول ملك أرغن Aragon المعروف بالحارب Alfonso el Batallador ، حكم أرمن ونبرة ما بين سنتي 499 و 529 هـ . (1104 - 1134) وهو الذي استولى على سرقسطة سنة 517 (1118) من أيدي المسلمين واتخذها عاصمة للملكه ، وكان قد قام في سنة 519 - 520 بحملة جريئة على بلاد المسلمين من سرقسطة حتى وصل إلى السواحل الجنوبية الشرقية دون أن يتعرض لمقاومة تذكر .
(2) يعنى الحملة التي أشرنا إليها في الحاشية السابقة ، وقد فصل الحديث عنها صاحب الحلل الموشية ص 91 - 97 (والترجمة الإسبانية ص 109 - 110) وابن الخطيب : الإحاطة (ط . عجب الدين الخطيب) 20/1 - 24 ، والإحاطة (ط . عنان) 108/1 - 114 ؛ وانظر كذلك : Dozy: Recherches..., 1, pp. 348 ؛ و كوديرا : اضمحلل دولة المرابطين ص 13 - 16 ؛ ويوسك بيللا : المرابطون ص 233 - 236 ؛ يوسف أشباح : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان) ص 146 - 150 ؛ ومقالنا « وثائق تاريخية جديدة » ص 123 - 126 .

(3) في الأصل : بدر بن ورقاء ، والصواب ما أثبتنا ، وهو القائد أبو عبد الله يدر بن ورقاء ، كان « اليها على بلنسية في سنة 519 (1125) حينما مرت بالقرب منها جيوش ابن رذمير (ألفونسو المحارب) خلال حملته على الأندلس ، ويبدو أن عمل مرسية أضيف إليه بعد ذلك ، ويذكر ابن عذارى (الذي يسميه محمد بن يوسف يدر) أنه توفي سنة 524 وهو على عمل بلنسية (انظر مقال أويشي عن « علي بن يوسف ... » ص 113 - 114) ، وقد نص صاحب « مفاخر البربر » عليه في القائمتين اللتين أوردتهما أعمال بلنسية ومرسية للمرابطين (ص 82) ، ومن بين « النصوص السياسية » التي نشرها الدكتور حسين مؤنس عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين (صحيفة معها الدراسات الإسلامية بمدريد =

كلها ابن مجوز⁽¹⁾ ، وابن رذمير بالقليعة⁽²⁾ بمقربة من جزيرة شقر ، فالتقى

- سنة 1955 - ص 120 - 122) رسالة موجهة من ابن ورقاء هذا إلى القاضي ابن عبد العزيز بلنسية يعلمه فيها باستخلاص حصن كوالية من أعمال بلنسية من أيدي النصارى ، وتاريخ الرسالة 14 من جمادي الآخرة سنة 522 ، وهذه الغزوة هي التي اشترك فيها - باعتباره قائداً عاماً للجيش المرابطة أبو بكر بن علي بن يوسف كما يفهم من نص لابن الأبار (التكملة ط. كوديرا ص 87 ، ترجمة 289) ، ولعل هذه الحملة هي نفسها التي يتحدث ابن القطان عنها في هذا الموضع ، وانظر كذلك أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 77/1 .

(1) يرى أويثي أن ابن مجوز هذا هو الذي تسميه بعض المراجع الأخرى أبا زكريا يحيى بن علي بن الحاج وأن اسم « مجوز » و « مكور » و « مقوز » ليست إلا صيغا بربرية لكلمة « حاج » العربية ، وهو من عائلة بني الحاج المشهورة التي أنجبت عدداً من أعظم القواد المرابطين ، وأول أفراد هذه الأسرة أبو عبد الله محمد بن سموين بن محمد بن ترجوت الذي كان ابن عم يوسف بن تاشفين وواحداً من خيرة قواده وهو الذي هزم ألفونسو السادس ملك قشتالة في معركة كشنرة Consuegra سنة 490 انظر حول هذه الواقعة تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ، مدريد 1971 ص 108 ، وأخوه أبو الحسن علي بن الحاج هو الذي عهد إليه بحكم غرناطة سنة 496 ، وفي سنة 497 يستشهد في ميدان القتال ضد النصارى قرب بلنسية ، ويخلفه في هذه السنة أخوه محمد على حكم غرناطة ، وفي سنة 498 يعزل عن غرناطة ويظل بعيداً عن مناصب الحكم حتى يعتلي علي بن يوسف العرش ، فيعهد إليه بولاية فاس سنة 501 ، ثم بلنسية سنة 503 ، ثم يشترك في القتال الدائر بين المرابطين وألفونسو الحارث قرب سرقسطه ، ويستشهد هناك في سنة 503 ابنه يحيى وعن هذه الواقعة يتحدث ابن الأبار عرضاً في ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن حيوة الأنصاري ، إذ قال إنه توفي شهيداً بسرقسطه في « الكائنة على أبي عبد الله ابن الحاج اللعنوني بها سنة 503 » وتسمى سنة المرج . (انظر التكملة لابن الأبار ، ط. كوديرا ، الترجمة 1572 ص 554) ، وفي سنة 508 يشترك في معركة البورت Congost de Martorell التي هزم فيها المسلمون ، ويتوفي في السنة التالية في معركة ضد القشتاليين .

أما أبو زكريا يحيى بن علي بن الحاج المذكور في هذا الموضع من النص فقد أسند إليه حكم إشبيلية سنة 523 ، وفي هذه السنة يشترك في الواقعة التي انتهت بهزيمة قليلة Cullera التي يتحدث ابن القطان عنها هنا ، وقد كان من نتائج هذه الهزيمة أن عزل عن حكم إشبيلية ، وخلفه على ولايتها أخوه عمر في سنة 524 ، ولكنه لم يلبث أن استشهد أيضاً في سنة 526 في الواقعة التي هزم فيها المسلمون أمام جيوش ألفونسو السابع ملك قشتالة . وقد أشار إلى هذه الواقعة ابن عبد الملك المراكشي في ترجمة سليمان بن جعفر الحضرمي الإشبيلي (الذيل والتكملة ، المجلد الرابع ، الترجمة 147 ص 61) إذ قال إن سليمان بن جعفر المذكور هو الذي خاطب علي بن يوسف بن تاشفين عن أهل إشبيلية يعلن باستشهاد أميرها عمر بن مقور بقتل الروم إياه في رجب سنة 526 . (انظر أويثي : علي بن يوسف ص 106 - 107) .

(2) هذه الواقعة هي المعروفة باسم « قليلة » Cullera ، وهي قرية تقع على ساحل البحر المتوسط على مسافة بضعة كيلو مترات إلى شرق جزيرة شقر Aicira .

الجمعان هنالك ، «انهزم المسلمون ، وتبعهم العدو ، وذهب أكثر الرجال قتلا وأسرا ، وحاز العدو (1) الأسلاب والأثاث والدواب ، وذهب من المسلمين ما يزيد » على اثني عشر ألفا بين قتيل وأسير ؛ وبلغ ذلك علي بن يوسف ، فغاضه (2) ، وأمر بالكتب إلى لمتونة (3) بالخزى ، فكتب ابنا أبي الخصال (4) عنه إليهم بكل تنكيل وخزى ؛ وكل هذا مما مهد الله تعالى به أمر الموحدين أعزهم الله تعالى .

وأغارت (5) النصارى على غليرة (6) ، واكتسحت ما وجدت ، ورصد النصارى أجداي (7) صاحب قرطبة في بعض مخارجه ، فالتقوا به ، فنكب المسلمون وأصيب منهم جملة ، وعزل أجداي عن إشبيلية ، ووليها يحيى بن بكون (8) ؛ وعزل تميم (9)

(1) زيادة يقتضيه السياق .

(2) في الأصل : فغاضه .

(3) في الأصل : لمتون .

(4) في الأصل : أبناء أبي الخصال ، وإنما المقصودان هما أبو عبد الله محمد وأبو مروان عبد الملك ابنا مسعود الغافقيان الشقوربان وكانا من أعظم كتاب الدولة المرابطية حتى وقع منهما أو من أحدهما ما أوجب غضب علي بن يوسف عليهما وإقصاءهما بسبب تلك الرسالة التي يشير إليها ابن القطان هنا ، وتوفي أبو مروان بمراكش سنة 539 ، وأما أبو عبد الله فكانت وفاته بقرطبة في السنة التالية (انظر مقالنا « وثائق تاريخية ... » ص 118 - 119) . هذا وقد نشر الدكتور حسين مؤنس نص الرسالة التي كتبها أحد هذين الأخوين على لسان علي بن يوسف إلى جند بلنسية من المرابطين حينما أوقع بهم ابن رزمير تلك الهزيمة ، وفيها يعيرهم بتخاذلهم وتقاعدهم ، وقد أفحش الكاتب الأندلسي في رسالته هذه على المرابطين وأغلظ لهم في القول أكثر من الحاجة على ما يقول عبد الواحد المراكشي في « المعجب » (ص 240 - 241) ؛ انظر « نصوص سياسية ... » ص 114 - 118 .

(5) في الأصل : وغارت .

(6) بالإسبانية Galera . انظر أويثي : تاريخ .. 77/1 .

(7) في الأصل : أجد .

(8) كذا ، ولعلها مكوز (مجوز) ، ويرى أويثي أنه أبو زكريا يحيى بن علي بن الحاج ، وأنه هو المذكور باسم « ابن مجوز » (انظر ما سبق أن أوردناه في الحاشية رقم 1 ص 153) .

(9) هو تميم بن علي بن يوسف بن تاشفين ، ذكره ابن عذارى في حديثه عن أبناء الأمير علي بن يوسف ، وقال إنه حضر مبايعة أخيه سير بولاية العهد في قرطبة ، 14 محمدي الاخرة سنة 522 ، =

عن فاس⁽¹⁾ ووليها عمر بن علي بن يوسف⁽²⁾ .

وضرب السليطين⁽³⁾ بالنصارى على جريدة⁽⁴⁾ من الخيل تحمل الميرة إلى بعض الثغور ، فرموا الأطعمة وفروا أمامه .

وبعث علي بن يوسف ألفي دينار لإصلاح سور⁽⁵⁾ سبتة .

وكان العباسي في هذه السنة المسترشد على ما كان عليه قبل . وكان بمصر أيضا في هذه السنة [الأمر⁽⁶⁾] ، وفي المهديّة وبجاية الولاة الذين كانوا عليها في السنين التي قبلها حسبما تكرر ذكره .

* * *

= ولسنا نعرف عنه بعد ذلك إلا ما يذكره ابن القطان هنا من ولايته على فاس ثم عزله عنها ، ثم اشتراده في قتال الموحدين (انظر أويشي : علي بن يوسف ... ص 105) .

(1) في الأصل : قابس ، والصواب ما أثبتنا .

(2) لا نعرف الكثير عن أبي حفص عمر بن علي بن يوسف المذكور هنا ، وقد ذكر ابن عذارى أنه ولي حكم غرناطة خلفا لابن عمه أبي عمر بنناله ، وكان أول ما قام به هو إطلاق سراح فقهاء جيان الناس قبض عليهم سلفه عامل غرناطة ، وكان من أهم ما قام به أثناء عمله هو الاشتراك مع أخيه الأكبر أبي بكر بن علي بن يوسف في مهاجمة النصارى الذين كانوا قد استولوا على أحد حصون المسلمين ، فاستنقذ الأميران الحصن واستعرضا معا جنودهما في غرناطة ، ولكن حكمه لهذه المدينة لم يستمر إلا أربعة أشهر (من جمادى الأولى حتى رمضان سنة 522) وبعدها عزل عن غرناطة وانتقل إلى المغرب فيما يبدو (انظر البيان المغرب - القسم المرابطي - ص 75 - 77 ، 97 ، 99) ونعرف من نص ابن القطان هنا أنه عهد إليه بحكم فاس ل سنة 523 ؛ كذلك نعرف من نص آخر في آخر هذا الكتاب أنه هو الذي ألحق بأخيه سير ولي العهد جراحة عظيمة إثر تسوره على داره يريد زوجته ، وذلك في آخر صفر سنة 533 ، فتوفي سير من أثر هذه الجروح .

(3) في الأصل : السلطين ، وإنما المراد بالسليطين (تصغير السلطان) هو ألفونسو السابع الذي ولي عرش قشتالة في سنة 1126 بعد وفاة أمه « أراكة Urraca » بنت ألفونسو السادس وظل يحكم حتى سنة 1137 (520 - 534 هـ) ، وكان قد نصب على عرش بلاده وهو بعد صغير السن ، وربما كان هذا هو السبب في استخدام ابن القطان عند الإشارة إليه لفظ « السليطين » بالتصغير .

(4) في الأصل : حليدة .

(5) في الأصل : رسول .

(6) إضافة يقتضيه السياق .

فوصلوا يوم الاثنين إلى أمجدار بقبلة أغمات وريكة . فوجدوا عسكر يطى وعمر بن تورجير بن يوسف زوج ابنته مريم في عساكر ، فبشر المسيح ⁽¹⁾ بهزيمتهم فانهزموا .

ولما رأى يطى بن إسماعيل الهزيمة وثب من صهوة فرسه إلى الأرض وجلس على درفته ليرجع الناس إليه ، فأدركته الدفعة وقتل وهو على درفته . وكانت الهزيمة من أمجدار ⁽²⁾ إلى فحص مراکش حرسها الله تعالى .

الهزيمة على أغمات :

« وخرج يوم الأربعاء جميع أهل أغمات حتى التجار ، فتنادب ⁽³⁾ الموحدون أعزهم الله على القتال ، وكان المدبرون لأمر الموحدين أعزهم الله تعالى ثلاثة رجال : سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين ⁽⁴⁾ ، وأبو حفص عمر بن علي أصناج ⁽⁵⁾ ، وأبو عمران موسى بن تمارا الجدميوي ⁽⁶⁾ ، رتبوا الصفوف . فحالت الهزيمة وأخذت جميع المحلات ، وقتل من أهل أغمات مقتلة عظيمة ، ومات فيها من جنادة ⁽⁷⁾ ثلاثة آلاف أسود ، ومشت الهزيمة إلى أن وصل الموحدون أعزهم الله تعالى أفراج يوسف بن وغواد ، فباتوا هنالك ليلة الخميس .

(1) من الغريب إطلاق تسمية « المسيح » ، فلنسا نعلم أن المهدي أو أحد رجاله قد أطلق عليه هذا الاسم ، وربما كانت سهوا من الناسخ أراد به البشير المذكور قبل ذلك .

(2) في الأصل : محدار ، وقد سبقت قبل ذلك بسطور على الصورة التي صحتها بها ، وذكر ابن المصنف أنها تقع بقبلة أغمات وريكة أي في جنوبها ، ونظن أن هذا الموضع هو نفسه الذي ذكره البيهقي باسم « مكذار » في الحديث عن الأحداث التي سبقت وقعة البحيرة (أخبار المهدي ص 78 من النص و 127 من الترجمة الفرنسية) .

(3) في الأصل : فتناشوا ، ولعل الصحيح ما أثبتنا .

(4) يعني المؤمن بن علي .

(5) عن عمر أصناج انظر ما سبق أن جاء في ص 126 ، حاشية رقم 4 .

(6) عن موسى بن تمارا راجع ص 127 ، حاشية 1 .

(7) لم يرد هذا الاسم في المصادر التاريخية أو الجغرافية الأخرى التي بين أيدينا . ومن الواضح أن المؤلف يستخدمه في الدلالة على قبيلة أو شعب من شعوب إفريقيا الغربية السوداء في المنطقة التي كان العرب يعرفونها بغانة ، ولعله يقصد به ما يدعى اليوم بـ « غينيا » .

هزيمة علي بن يوسف :

وأصبح الموحدون أعزهم الله تعالى يوم الخميس على باب الشريعة ،
فخرجت إليهم العامة أجمعون بنشاط وعزم بغير سلاح ، وبرز علي بن يوسف
بعساكره .

فلما رأى السوق بغير سلاح نودي فيهم أن ارجعوا ليأخذوا السلاح ،
فكان رجوعهم شبها بالهزيمة ، فخرج الموحدون أعزهم الله تعالى على بقية ذلك من
دائرة لهم كانوا صنعوها - تلك الدائرة - بحمي⁽¹⁾ ، ودفع الموحدون أعزهم الله
تعالى في أثر العامة دفعة واحدة ، فكانت الهزيمة إلى باب الشريعة⁽²⁾ ، وتضايق
الناس في الباب ، فمات أكثر الناس في الزحام وكثر القتل فيهم ، فدهش علي بن
يوسف وحر حتى لقال له بعض الناس ممن [كان معه]⁽³⁾ : يا مرابط ، سر
من هنا ! - إلى أحد الأبواب حيث لا زحام - ، ولم يرد أن يسميه لئلا يعلم به ،
ففر ودخل على باب المخزن⁽⁴⁾ .

وكان يوما عظيما ، فمشى الموحدون أعزهم * الله تعالى إلى بحيرة الرقائن⁽⁵⁾ ،
أمام باب الدباغين⁽⁶⁾ وباب أيلان⁽⁷⁾ ، فأخذوا مروسهم⁽⁸⁾ فيها .

(1) كذا ، ولعله يعني أنهم للتحصن والاحتواء بها .

(2) هو الباب الذي يعرف اليوم باسم « باب الخميس » .

(3) إضافة يقتضيها السياق .

(4) هو المعروف اليوم باسم « باب الأحمر » .

(5) في الأصل : الزناعين ، والصواب ما أثبتنا ، وقد أشار إليه البيهقي (أخبار المهدي ص 101) ،

ويسمى اليوم « باب الدباغ » .

(6) احتفظ هذا الباب باسمه القديم حتى اليوم : باب أيلان (أي أعامت أيلان) .

(7) كذا .

أربعون هزيمة على مراکش وذكر يوم البحيرة

ومتادى الحصار على مراکش حرسها الله تعالى مدة من أربعين يوما يقاتلونهم في كل يوم منها أشد قتال ، يحمل الواحد من الموحدين أعزهم الله تعالى على العشرة من المثلثين فيهمزهم ، وسيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه في هذه الأيام يتقدم أمامهم لبسالته ، ويهزم الأبطال لحماسته ، والسعد يقدمه ، والنصر يخدمه ، وعلي بن يوسف يحشر عساكره من جميع الأقطار ، ويستوفد من بالأندلس منهم وفي جزائر البحار ، والعساكر تصل إليه كل يوم ، إلى أن وصله وانودين بن سير⁽¹⁾ بعسكر سجلماسة ، فانكسر إلى باب الدباغين ، ووصل عسكر القبلة ، فلم يدخلوا مراکش ، وباتوا في أخبيتهم بخارج باب أغمات ، فعرض عليهم الدخول ، فامتنعوا إلا معالجة الحرب ، فغلس العربان مبكرين على سروجهم وتعبيتهم .

فكانت المدافعات بينهم على رؤوس العيون من سواقي الرقائق فاستشهد من
استشهد « من الموحدين ، وانحاز باقيهم إلى التمتع بداخل البحيرة .

وإن حفيرا من تلك السواقي خندقا عظيما مغاره في السعة ثلاثون ذراعا اعترض لسيدنا الخليفة الأول رضي الله تعالى عنه في طريقه ، فوثب به فرسه - وكان فرسا أخضر - فعجب الموحدون أعزهم الله تعالى لسعة الخندق وقوة الوثبة وثبات سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه على السرج ، وقيل إنه أعاد ذلك ثانية كذلك .

(1) في الأصل : وايدين ... ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، وربما كان وانودين بن سير هذا هو نفسه الذي ذكره ابن عذارى في البيان المغرب (الجزء الرابع - ط. تطوان 1960) ص 215 وطبعة بيروت الأخيرة . قسم الموحدين ص 239 ؛ وقد قال ابن عذارى عنه إنه كان أول وال على جزيرة ميورقة بعد استيلائها من أيدي القراصنة البيزيين والجنوبيين والقطانيين سنة 509 ، إلا أنه لم يبق بها إلا ثلاثة أشهر (انظر كذلك مقالنا « وثائق تاريخية ... » ص 161) .

وكانت الحرب في البحيرة إلى أن جمع الناس بين صلاة الظهر والعصر ،
وصلوا صلاة الخوف ، فقال علي بن يوسف لما رأى الموحدين أعزهم الله تعالى
يصلون صلاة العصر بعد الهزيمة في البحيرة : إن هذا لعجب : غلبوا ففصلوا ،
وغلبناهم فعطلناها ! ما أظن هؤلاء إلا على الحق ! . وقد كان الموحدون أعزهم الله
محافظين على الصلوات في أوقاتها وعلى شروطها .

وكانت هذه الكائنة على الموحدين أعزهم الله تعالى يوم السبت الثاني من
جمادى الأولى عام أربعة وعشرين وخمسمائة ⁽¹⁾ في قول المؤرخين كلهم إلا اليسع ،
فقد تقدم قوله ⁽²⁾ ، وما أراه إلا وهما .

وفقد البشير وجماعة من أهل الجماعة ، وحمل أبو حفص عمر بن يحيى ⁽³⁾
جريحاً على الأعناق ، فلما جن الليل تداول الناس جرحاهم ودفنوا من أمكنهم
دفنه ، وأردف الناس بعضهم بعضاً ، وتعاونوا ورحلوا .

وكان من لطف الله تعالى أن جاءت ⁽⁴⁾ السماء بمطر وابل في عشي ذلك
اليوم فانكفأ له * المجسمون إلى ديارهم ليعاودوا ⁽⁵⁾ القتال بعد ذهاب كلهم ،
وتخلص أمير المؤمنين رضي الله عنه مع الصابرين الباقين من أصحابه ، وأمير
المؤمنين رضي الله تعالى عنه يتقدمهم ، ودفعوا على من كان وثب عليهم من
الملثمين ، فانهزموا أمامهم ، وخلوا لهم عن الطريق .

(1) يقابل هذا التاريخ 13 أبريل سنة 1130 م . ، على أن الباحث الأستاذ أويش يرى أن هذا التاريخ
لا يطابق ما ذكره أبو بكر البيهقي في كتاب أخبار المهدي حول هذه الواقعة ، ورأى البيهقي له قيمته الكبرى
إذ أنه قد اشترك في المعركة بنفسه ، وقد ساق أويش حججه على رأيه ، وانتهى إلى أنه يمكن التوفيق بين ما
ذكره المؤرخان إذا صحح ما يقول ابن القطان على أساس جعل تاريخه « الثاني عشر من جمادى الآخرة »
لا الأولى أي 13 مايو سنة 1130 ، وقد كان يوم السبت أيضاً (انظر تاريخ الدولة الموحدية 83/1 - 84) .
(2) لم يتقدم هذا القول فيما بين يدينا من المخطوط ، ولعله ذهب في أحد الخروم الكثيرة التي دهب
بعض أوراقه .

(3) هو عمر إينتي (الهنتائي) الذي تكرر ذكره غير مرة .

(4) قد تكون أيضاً : جادت .

(5) في الأصل : ليعاودوا ، وقد تكون أيضاً : ليعادوا .

ولقد حكى السيد الأجل أبو علي الحسن بن أمير المؤمنين ⁽¹⁾ رضي الله تعالى عنه قال :

سمعت أبي رضي الله تعالى عنه يقول :

كان يوم البحيرة فارس من فرسان الموحدين ، يحمل على المثلثين فيرمونه بالنبال ، فيحميه الله تعالى من السهام ، فتصيب الرمح الذي بيده حتى يرجع رمحه مثل القنفذ من السهام .

قال :

وكان يفهمنا أنه رضي الله تعالى عنه ذلك الرجل .

وقعة بجهة أغمات :

وساروا حتى إذا كانوا بجومة أغمات لحقهم الطلب ؛ فروى عن سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه أنه قال :

لما ضيقوا علينا واضطرونا إلى الدفاع كان معي عبد الله بن يعلى بن ملوية ، فانقسمنا قسمين : أنا في قسم ، وهو في قسم ، والمثلثون قد ألحوا ⁽²⁾ في اتباعنا ، فقال لي عبد الله بن يعلى : كن أنت واصحابك في اليمين واضرب فيهم ! ففعلنا ذلك ، فانهزم المثلثون في الحين إلى باب مراکش فكان عاقبة عبد الله ما اختاره لنفسه أنه من أصحاب الشمال ! ⁽³⁾

(1) سنورد ترجمة الحسن بن عبد المؤمن هذا عند الحديث عن أبناء هذا الخليفة الموحي .

(2) في الأصل : لقد ألحوا .

(3) يعنى بذلك خروج ابن ملوية - وكان أحد أهل الجماعة العشرة - على دعوة الموحدين أو « ارتداده » عند إعلان خلافة عبد المؤمن بن علي ، وكان قد انضم إلى صفوف المرابطين حينئذ ونهض إلى تيممهم ليهدها ، فقام عليه بعض زعماء جفيسة وقتلوه وصلبوه بتيممهم سنة 527 (انظر ما سبق أن كتبناه عنه في الحاشية رقم 1 ص 128) .

ولما وصل الموحدون أعزهم « الله تعالى إلى جبل هزرجة وهي بلاد الشهبان أبي ابراهيم ⁽¹⁾ عين سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه خمسين رجلا هتسبا ، وأمرهم أن يسبقوا إلى الفج ، وكان هزرجة هموا بالغدر ، وخاف أن يسبقوا إليه ، فسبق المختسبون إليه ، وسلموا من عدوهم ، فلقوا به عسكرا من الغزاة إقد بعثهم الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فساروا معهم إلى تينمل . وكان قتل هيلانة يوم البحيرة ذريعا : مات منهم زهاء اثني عشر ⁽²⁾ ألفا ، لأنهم كانوا قد حشدتهم الموحدون أعزهم الله تعالى ، وأوعبوا في الحشد ، فعملوا الهزيمة يومئذ . وكانوا أول منهزم لأنبي عمروس من بلادهم ، فتبعهم الجعسون ، فأوعبوا قتلهم .

واستشهد يوم البحيرة نصف أهل الجماعة ، وسلم نصفهم . فالذين سلموا : منهم سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه . وأبو حفص عمر بن علي ، وأبو ابراهيم ، وأبو حفص بن يحيى ، وعبد الله بن ملوية . وكان سيدنا الخليفة قد وجه راقصا ⁽³⁾ للإمام المهدي رضي الله تعالى عنهما بالخبر . فوصل إليه . فاستجلاه ، وأعلمه بالحقيقة . فقال له : عاش أبو محمد عبد المؤمن ؟ قال : نعم ، قال له : كأنه لم يميت أحد ⁽⁴⁾ ! والبركة في بقائه . وكأنكم بالفتح !

وصادف الموحدون أعزهم الله تعالى الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه عند وصولهم إليه مريضا . فلم يعيش بعدها إلا أياما « قلائل » .

(1) يعني أبا ابراهيم اسماعيل بن يسلاي الهزرجي أحد أهل الجماعة العشرة (انظر ص 126 حاشية 3) .

(2) في الأصل : اثنا عشر .

(3) الرقاص في الاصطلاح الأندلسي والمغربي هو حامل البريد ؛ وقد ذكر البيهقي في كتابه (أخبار

المهدي ص 79) إنه هو نفسه كان أبلغ خبر هزيمة البحيرة إلى ابن تومرت (انظر دوزي : ملحق

القواميس العربية 547/1) .

(4) في الأصل : أحدا .

وقبعة انهزم فيها المثلثون :

ذكر البيهقي أنها كانت بعد البحيرة وقبعة مع لمتونة ، وهم في أربعة جيوش يقدمها أربعة من صناديدهم ⁽¹⁾ ، فاقتتلوا بموضع يقال له « أيجران بني توكريت » ⁽²⁾ ، فلما رأوا ما لا يطيقون رجعوا إلى مراکش ، ورجع الموحدون أعزهم الله تعالى إلى تنممل ، وهذا في حياة الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، وميزهم الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، وكتب اسم عمر أصناج بعد اسمه ، وجعل رسمه عقيب رسمه .

١٩٠ أ « قال اليسع :

..... [فقال ابن هَمْشُك :] ⁽³⁾ تأمرني أن أجمع ثلاثمائة

فارس وأخرج إليهم ؟ قال [علي بن يوسف :] نعم !

فصعد ابن هَمْشُك ⁽⁴⁾ على باب أيلان ، وأخرج جملة من أصحابه يقائلون أمامه لينظر أحوالهم في قتالهم ، فرآهم يخفتمهم يدخلون تحت ظل الفناء ،

(1) الحبر بالتفصيل في كتاب البيهقي (أخبار المهدي ص 79 - 80) ، وقد ذكر أسماء قواد هذه المهبوش المرابطة الأربعة ، وهم سير بن واربيل ومسعود بن ورتيغ ويحيى بن سير ويحيى بن كاتجان .

(2) يسمى البيهقي هذا الموضع « إيجر متاع بني كوريت » .

(3) لم يترك الناسخ هنا فراغا إلا أنه من الواضح ان عدة سطور قد سقطت من هذا الموضع مما حملنا على إضافة ما وضعناه بين حاصرتين ، على أن هذا النص كان من بين ما نقله عن اليسع صاحب « الحلل المشية » دون أن يشير إلى مصدره ، ومؤدي النص هنالك (الحلل المشية ص 114 - 115) أن الموحدين صرخوا الحصار قبل معركة البحيرة أربعين يوما على مراکش كان يتوالى خلالها القتال ، وكان في جيش علي ابن « سف » رجل من أهل تغور الأندلس يدعى عبد الله بن هَمْشُك ، فلما اشتد الأمر على علي بن يوسف من أهل الحصار طلب إليه ابن هَمْشُك أن يأذن له في الخروج إلى الموحدين بثلاثمائة فارس من أصحابه ... الخ .

(4) ضبط الأستاذ أويشي هذا اللفظ « هَمْشُك » بفتح الهاء والشين وسكون الميم (انظر تاريخ الدولة الموحدة 81/1 ، وترجمته للحلل المشية ص 118 ، حاشية رقم 1 حيث يذكر أن منبغله لهذا الاسم على تلك الصورة إنما توخاه وقصد إليه بعد أن رآه مضبوطا هكذا في نسخة « نظم الدمان ») ، =

فنزل وأمر الخارجين معه إليهم أن يردوا أرماحهم من ستة أذرع ، وبرز أول النهار إليهم ، فما انصرف حتى أدخل المدينة نحووا من ثلاثمائة رأس ، ففر الناس .

وأمر علي بن يوسف بالخروج إليهم ، فالتقوا ، وانهمز الموحدون أعزهم الله تعالى ، وقتل منهم نحو من أربعين ألفا ، ولم يسلم منهم إلا أربعمائة بين فارس وراجل . فظهر أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن رضي الله تعالى عنه في هذا اليوم ظهوراً عظيماً ، وأغنى غناء بينا ، وذب عن المنهزمين ، وحمى المفلولين إلى أن جن الليل ، وكان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه في هذه الأحوال لا يسافر إلا أن يبعث البعوث .

ولما جن الليل انصرف الموحدون أعزهم الله تعالى ، ولحقوا بالجليل فلما سمع الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه بهزيمتهم قال : إذا عاش عبد المؤمن بقي الأمر وظهر .

وفي * « البحيرة » فقد البشير ، ولم يجده الموحدون ولا المثلثون حيا ولا ميتا ، ^{٥٠} فيقول الغلاة في أمره إنه رفع ! ⁽¹⁾

= وقد تبع أوיתי على ذلك الأستاذ بوسك بيلا في كتابه عن « المرابطين » (ص 218 - 219) ؛ وإنما الصواب في ضبط الاسم هو فتح الهاء وضم الميم وسكون الشين ، أما مخطوطة « نظم الجمان » فلا يعتد بضبط ناسخها ، إذ أنه دائما حافل بالأخطاء مما لا يجعل لنا معولا عليه بأية صورة ، ويدل على صواب ما ذكرنا في ضبط هذا الاسم ذلك البيت الذي رواه ابن الأبار للشاعر أبي بكر اليعمري الوبذي في هجاء ابراهيم بن همشك (المقتضب من تحفة القادم بتحقيق الأستاذ ابراهيم الاياري ص 77) :

هُمُشْكُ ضَم من حرفيد سن : من هم ومن شك

إذ لا يستقيم ضبط أوיתי مع سلامة وزن البيت . أما عبد الله بن همشك فلم توافنا عنه المراجع بما يشفي الغلة ، وكل ما نعلمه هو أنه ينبغي أن يكون من هذه العائلة الأندلسية المسيحية الأصل والتي كان من أبرز رجالها ابراهيم بن همشك صهر أمير مرسية محمد بن سعد بن مردنيش (انظر عنه ابن الأبار في الموضع المذكور قبل ذلك ، وابن الخطيب : أعمال الاعلام ص 260 - 263 ، والإحاطة (ط . عنان) 1/ 296 - 303 . وابن عذاري : البيان المغرب - القسم الموحدي (طبعة بيروت) ص 67 ، 69 ، 73 - 78 ، 108 - 112 .

(1) عن معركة البحيرة انظر كذلك : البيهقي : أخبار المهدي ص 78 - 79 ؛ الحلل الموشية ص 114 - 116 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 14 - 15 ؛ ابن الأثير : الكامل 8/ 289 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان 53/5 ؛ نهاية الأرب (ط . جاسبار رميرو) ص 192 - 193 ؛ ابن خلدون : العبر 6/ 228 - 229 ؛ السلاوي : الاستقصا 2/ 86 - 88 .

فلما انصرفوا إلى تينملل بعد الهزيمة اشتدت عليهم الأحوال .

وقال ابن الراعي :

خرج الموحدون أعزهم الله تعالى عام البحيرة حتى نزلوا بظاهر أغمات بالموضع المسمى « أمجدار » ⁽¹⁾ ، وأقاموا هنالك أربعين يوما ، واتصل بهم بكور بن علي بن يوسف ⁽²⁾ بشرذمته وشوكته ؛ ففتح الله تعالى لأولياته الموحدين وهزمهم واتبعوهم بالسيف والسلب إلى مراكش .

وقال غيره :

هزم بكو ويطي بن إسماعيل ، فخرج علي بن يوسف بشرذمته وشوكته ، ففتح الله تعالى لأولياته الموحدين إلى باب المدينة ؛ ودخل علي بن يوسف على باب دالة ، ورجع بقية المنهزمين من واد أم ربيع فخلق علي بن يوسف لحاهم .

وكان يوم البحيرة بعد شهر ونصف من وصولهم ؛ وبنى الجامع ، وأنفق في بنائه نحو ستين ألفا ، وبنى صومعته نحو الثلث ، وتركها تتقعد ، ثم أتم بناءها سنة سبعة وعشرين .

والعباسي في هذه السنة هو المسترشد ، وإفريقية حسن بن علي وبمصر الأمر .

(1) في الأصل : إيجدار ، وقد سلف ذكر هذا الموضع على الصورة التي أثبتناها ، وأشرنا إلى أن الأرجح هو أن يكون هذا الموضع هو الذي يسميه البيهقي (ص 78) « مجداز » .

(2) كذا ورد الاسم هنا ، وقد سبق أن جاء « بكو » ، وقد سبق أن أشرنا إلى أن هاتين صيغتين في اسم « أبي بكر » .

| 42 ب |

.. موادعة الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه
للناس وإشعاره إياهم بوفاته

وذلك أنه لما نادى مرضه خرج راكباً على بغلته ، وجمع الناس ليسمعهم
دلامه ووداعه ، وأمر أن يكون الرجال أمامه ، والنساء خلفه ليسمع كلهم
دلامه ، فقال لهم رضي الله تعالى عنه : إن المهدي مرتحل عنكم ! فبكى الناس
واستوحشوا ، فقالت له أخته زينب : وإلى أين تغيب عنا ؟ ألم يكفك أن غبت
منا خمسة عشر عاماً ؟ وقالوا له : إن كنت تسير إلى الشرق ونسير معك ؟ فقال
إنما أسافر وحدي !

وكان وعظه رضي الله تعالى عنه ووداعه للناس من بعد العصر « إلى أن كاد⁽¹⁾ أ
الشفق أن يغيب ؛ ثم التفت إلى الوقت وهو راكب ، فكبح البغلة باللجام ،
ورجع إلى موضعه وصرف الناس ، وقال لهم : صلوا الصلاة في أوقاتها ، وإياكم أن
تقولوا إن المهدي أحر الصلاة عن وقتها من أجل أنه قد فاتته المغرب أو كادت
لاشتغاله بالوعظ ! واتصل به الألم .

وفاة الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه [عنه] :

توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رمضان
المعظم من عام أربعة وعشرين وخمسمائة⁽¹⁾ ، ودفن رضي الله تعالى عنه بمدينة
تينملل حرسها الله تعالى .

خاتمة لذكر دولته رضي الله تعالى عنه

بذكر ما لم ينضب بالتاريخ من أمره :

كان رضي الله تعالى عنه يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى ، ويخبرهم أن الله
سبحانه فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، وفرض عليهم زكاة تؤخذ

(1) يتفق معظم المؤرخين على هذا التاريخ (14/13 رمضان سنة 524 وهو يوافق أوائل أغسطس

سنة 1130 م .) . وانظر حول ذلك أويشي : تاريخ 87/1 .

من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، ويأمرهم بقراءة القرآن وحفظه ولزوم الحزب ⁽¹⁾ بعد صلاة الصبح وبعد المغرب ، وأمر المؤذنين إذا طلع الفجر أن ينادوا « أصبح والحمد لله ! » ⁽²⁾ إشعاراً بأن الفجر قد طلع ، لإلزام الطاعة ، ولحضور الجماعة وللغدو لكل ⁽³⁾ ما يؤمرون به ؛ وأمر بغزو من خالف أمره ؛ وعلم الناس الحركة كيف تكون ، فأمرهم إذا عزموا على الركوب * أن ينادي مناد : الاستخارة بالله والتوكل عليه ! ، وإذا تحركوا أن يقدموا أمامهم لواء أبيض مع عدد من الرجال يكون بينه وبين الأمير مقدار ربع ميل ، ويكون الأمير متقدماً على الناس خلف اللواء المذكور في جملة من يختص به يحفون به ، ثم تتبعهم الرايات الكبار والطبول والعسكر المعروفون بالساقة ، ثم كل قبيل على ترتيب وحسن هيئة معه علاماته .

فأما رأيته ⁽⁴⁾ المنصورة المتقدمة بين يديه ففى أحد وجهيها مكتوباً « الواحد الله ، محمد رسول الله ، المهدي خليفة الله » ، وفي الوجه الثاني « وما من إله إلا الله ، وما توفيقي إلا بالله ، وأفوض أمري إلى الله » .

وأما رايات الموحدين أعزهم الله تعالى وأنجدهم فإنما تفتن أمرها حين تواصلت فتوحهم بعده كما سيأتي وصفها إن شاء الله تعالى ، فأما في أيامه فإنه لما ملأت عليهم رايات لمتونة الفصوص مختلفة الألوان قال لهم : لا تهولنكم هذه الخرق ، وارفعوا أنتم ما لديكم من الثياب ، فغن قريب تصوير هذه العلامات كلهم لكم ! فرفعوا أزرقهم وأكسيتهم وأرديتهم ونحو ذلك ، ثم أفاء الله تعالى عليهم علامات أعدائهم .

(1) في الأصل : الحزب .

(2) أورد ذلك أيضاً السلاوي في الاستقصا (94/2) ، وقد أصبح هذا النداء شعاراً للموحدين بدليل ما يذكره ابن عذارى في البيان المغرب (القسم الموحدى - ط . بيروت ص 20) في أثناء الكلام .

« حصار الموحدين لوهران : » فاجتمعوا ذات يوم في الجبل المطل على وهران ، فصاحوا صيحة واحدة بلسان واحد : أصبح والحمد لله ! ولم يكن للمتونيون يصيحون بذلك ، فلما سمعه أهل عسكر تاشفين (بن علي بن يوسف) وقعت رجفة عظيمة ، فأمر ألا يخرج إليهم خيفة الكمين .

(3) هذه الكلمة مكررة في الأصل .

(4) في الأصل : رأيته .

وأوصيهم في سفرهم إذا مروا على طريق متصل « بها زرع نكبوا عنه ودرأوا
أهل الفساد عنه ؛ وإذا سمع صياح متظلم ⁽¹⁾ وعى قوله وأشكى من ظلمه .

وقال رضي الله تعالى عنه :

شروط العلم تسعة ، وهي : الفراغ التام ، والبصيرة النيرة ، والسريرة
الحسنة ، والهمة العالية ، والصبر الحديدي ، والافتداء بالإمام الناصح ، واتباع
السبيل الواضح ، والتأدب بأدب أهله ، وألا يبتغي به ماسوى وجه الله تعالى .

وينبغي لطالب العلم أن يقدم أربعة أشياء : أن يرغب إلى الله تعالى في
الهداية إلى الحق ، وأن يكون له سريرة حسنة ، وأن يقنع بما علمه الله ، وأن يعلم
أن الباب مفتوح لسائر العباد .

والأعمال لا تصلح إلا بتقديم أربعة أشياء : الحذر ، والاحتياط ، والإشفاق
، والإخلاص .

والقواطع عن العلم أربعة : الحوادث الصارفة ، واشتغال النفس ، وعدم
الكفاف ، ومخالطة الناس .

آداب الصحبة ثمانية : المسألة ، والمساحة ، والمساعدة ، والمناصحة ،
والمؤازرة ، والمواصلة ، والمحافظة ، والمكارمة .

وكان دعاؤه رضي الله تعالى عنه :

اللهم أعنا على طاعتك ، وأتمم علينا نعمتك ، وزدنا من فضلك
وإحسانك ، وثبتنا على دينك ، حتى نلقاك وأنت راض عنا برحمتك يا أرحم
الراحمين ⁽²⁾ .

(1) في الأصل : متكلم .

(2) نقل هذه الفقرة من دعاء المهدي صاحب الحلل الموشية ص 118 - 119 ، وانظر كذلك رحمه
أويشي الإسبانية ص 142 - 143 .

اللهم وفقنا ولا تغفلنا ، واهدنا إلى الخير ولا تخيننا ، ووفقنا لما تحب وترضى
141 ب | حينما كنا ، وأعنا على القيام بحقوقك ، وحفظ أمانتك ، « ورعاية عهدك ، بفضلك
يارب العالمين .

اللهم تعلم ذنوبنا كلها فاغفرها ، وتعلم عيوبنا كلها فاسترها ، وتعلم حوائجنا
كلها فاقضها ، وتعلم أعداءنا فاكفنا إياهم ، كفى بك وليا ، وكفى بك نصيراً .
اللهم إن نواصينا بيدك لم تملكننا منها شيئاً ، فكما فعلت ذلك بنا فكأن
أنت ولينا ومولانا ، واهدنا إلى سواء السبيل ، إنك نعم المولى ونعم النصير ،
والحمد لله رب العالمين .

ذكر الفترة التي تلت وفاته بكتان موته
رضي الله تعالى عنه عن الجمهور ، والبيعة
الخاصة لسيدنا ومولانا الخليفة الأول
أمير المؤمنين رضي الله عنه

وذلك أنه لما توفي رضي الله تعالى عنه كنتم أصحابه وفاته ، وما كان يعلمها
إلا أهل الدار المسمون قبل ، وهم خدمته وأخته شقيقته ، ولقد كنتم ذلك عن
زوجها ، وأكابر أصحابه فبايعوا سيدنا ومولانا الخليفة الأول الإمام أمير المؤمنين في
141 أ | الحين بيعة « السر رضي الله تعالى عنه (1) .

..... (2) وقال له : سيركبك الخيل !

(1) ذكر البيهقي أنه لم يحضر وفاة المهدي إلا خمسة أشخاص : خليفته عبد المؤمن بن علي ،
وأبو إبراهيم إسماعيل بن يسلاى المزرجي ، وأبو محمد وسنار ، وعمر أصناج ، وأخت المهدي أم
عبد العزيز بن عيسى (انظر أخبار المهدي ص 81) .

(2) لم يترك الناسخ فراغاً هنا ، ويبدو أن كلمات سقطت من النص فيها تمة لهذه الجملة التي يتنبأ
فيها ابن تومرت لعبد المؤمن بعلو كلمته واتساع سلطانه ، ويشبه ذلك ما أورده ابن حلكان في وفيات الأعيان
(219 : 1) إذ يقول إن ابن تومرت كان كثيراً ما يقول لأصحابه : صاحبكم هذا -

وقال الإمام رضي الله تعالى عنه عام البحيرة لما أصيب الموحدون : أسلم عبد المؤمن ؟ قالوا : نعم . قال : فالأمر باق إلى قيام الساعة !

فهذا وأمثاله من أقوال الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه يدل على ما صدقه الوجود من أن الخلافة في عقبه رضي الله تعالى عنهم أجمعين إلى قيام الساعة بحول الله تعالى كما قال النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم في حديث البزار ⁽¹⁾ الذي ذكرناه ، وكما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا اختلف الناس فالعدل في مُضَر » ؛ وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يزال أهل الغرب ⁽²⁾ ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة » ⁽³⁾ . وقد جردنا الكلام على هذا الحديث في « الإحكام » ⁽⁴⁾ والحمد لله .

كرمه رضي الله تعالى عنه :

كان يخرج للمواساة مرتين وثلاثاً في الشهر الواحد بحسب حضور المال ⁽⁵⁾

= غلاب الدول ! (يعني عبد المؤمن) ، ويتبع ذلك ابن خلكان بقوله : ولم يصح عنه أنه استخلفه ، بل راعى أصحابه في تقديمه إشارته ، فتم له الأمر وكمل .

(1) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار حافظ عالم بالحديث ، توفي بالرملة (فلسطين) سنة 905/292 . له مسند كبير في الحديث سماه « البحر الرائق » ، ويوجد السفر الأول منه في خزانة الرامنا برقم 243 ق (الأوقاف) ويوجد منه السفران الثاني والثالث في مكتبة الأزهر . انظر في ترجمة البزار : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 334/4 ، وتذكرة الحفاظ للذهبي 204/2 ؛ وشذرات الذهب لابن العماد 209/2 ، وميزان الاعتدال للذهبي 59/1 . ولم يتيسر لنا مقابلة الحديث المذكور على أصول مسند البزار .

(2) هذه الكلمات مطموسة في الأصل .

(3) ورد هذا الحديث في صحيح مسلم ، كتاب الإمارة 4/6 ؛ والمالكى : رياض النفوس 1/1 ؛ والحميدي : جنوة المقتبس ص 7 ؛ وابن عذاري : البيان المغرب 6/1 ؛ وعبد الواحد المراكشي : المعجب ص 14 - 15 .

(4) يشير ابن القطان بذلك إلى كتابه الذى ألفه للخليفة الموحدي المرتضى « الإحكام من أى خير خيرة الأنام » في معجزات رسول الله (ﷺ) وآياته . راجع دراستنا لابن القطان ولأثاره في تقديمنا لهذا الكتاب ص 10 .

(5) في الأصل : المثل .

لديه ، وكان رضي الله تعالى عنه يتفقد من يرتب ببابه الكريم بأن يغلق الباب على غفلة من الناس ويحصى من حضر ، فيعطوا على السوية عشرة دنائير عشرة دنائير ، يفعل هذا في العام مراراً كثيرة ، وربما وإلى ⁽¹⁾ ذلك في كل شهر .

تواضعه رضي الله تعالى عنه :

قال ابن صاحب الصلاة :

إنه ما لبس قط إلا ثياب الصوف عن قميص وعن سراويل وعن جبة تواضعاً لله تعالى وزهداً .

تأديبه لبنيه الكرام رضي الله تعالى عنه وعنهم :

كان رضي الله تعالى عنه يطعمهم الطعام الحسن ويلبسهم مثل ما يلبس من الثياب ، وكان يدرهم في الدين ويشد عليهم فيه ويعلمهم الأذان ، ويأخذهم بالرمي والعم وركوب الخيل والتدرب عليها مع الموحدين أعزهم الله تعالى ⁽²⁾ ، وكان يأخذهم بحضور الصلوات الخمس في الجماعات ، وبقراءة الحزب من القرآن إثر الصلاة ، ويحضرون مع المؤذنين في الأسحار على ارتقاب الفجر والمنازل ، وربما يمضون على أقدامهم ، وإذا ولاهم البلاد بعث معهم من أشياخ الموحدين أعزهم الله تعالى ورجاهم العقلاء الخيار الفضلاء وزراء وأشياخا في الأحكام ، والحمد لله رب العالمين .

(1) في الأصل : إلى .

(2) ما ذكره ابن القطان هنا حول تأديب عبد المؤمن بن علي لبنيه سواء من الناحية العلمية أو العسكرية كان متبعاً بصفة عامة في تربية الحفاظ - أي صغار الطلبة - الذين كان عددهم يبلغ ثلاثة آلاف ، وقد تحدث عن ذلك بالتفصيل صاحب الحلل الموشية (ص 150) . وانظر تعليق الدكتور أحمد مختار العبادي على هذا النص في مقاله « دراسة حول كتاب الحلل الموشية وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين » (مجلة تطوان العدد الخامس سنة 1960 ص 107) .

الإثناء الإمامي المهدي عليه رضي الله تعالى عنه والتصرّح بخلافته بعده
رضي الله تعالى عنهما وبقاء الأمر العلي في عقبه الكريم
إلى قيام الساعة بحول الله تعالى

قال :

..... (1) « مشاورين ، ويأمرهم بالتزام أشياخ البلاد من الفقهاء (1) »
والطلبة والكتاب والشعراء ، ومذاكرتهم وملازمة الخير وقراءة القرآن وعقائد الإمام
المهدي رضي الله تعالى عنه وحفظها ، وحفظ التوحيد العربي والغربي ، (2)
والعدل (3) والإحسان وإماتة الباطل .

علمه وحلمه وانبساطه رضي الله تعالى عنه :

أما علمه رضي الله تعالى عنه فسيأتي قطعه لزمانه بإملاء علوم المهدي رضي
الله عنهما ، وقراءة العقائد (4) والموطأ ، (5) ومجالسته للطلبة ، حتى

(1) سقط أول هذا النص ، ولو أن بقيته تبدو هي التي أوردتها صاحب الحلل الموشية في مس
150 - 151 والتي تحدث فيها عن تأديب الحفاظ وتعليمهم .

(2) يقصد باللغتين العربية والبربرية .

(3) في الأصل : والأعدل .

(4) ربما كان يعني بكلمة « العقائد » مجموع تعاليم المهدي ابن تومرت لا كتابا بعينه ، وفي هاه
الحالة يكون الأرجح أنه يعني كتاب « أعز ما يطلب » الذي يتضمن بيانا لعقيدة المهدي وجملة الآراء التي
كانت عماد ثورته الدينية السياسية ، وربما كان هذا اللفظ تحريفا لكلمة « القواعد » إذ أننا نعرف أن ابن
تومرت ألف كتابا بهذا العنوان ، ولو أنه فقد لسوء الحظ . (انظر مقال الدكتور مختار العبادي حول
كتاب الحلل الموشية ص 157) .

(5) كتاب الموطأ الذي صنّفه ابن تومرت إنما هو مجموعة الأحاديث النبوية التي وردت في موطأ
الإمام مالك بن أنس برواية تلميذه يحيى بن عبد الله بن بكير ، وذلك بعد حذف الأسانيد ، وقد نشرت
هذا الكتاب مطبعة فونتانة الشرقية بالجزائر سنة 1907 ، وبالخرزانة العامة بالرباط منه نسختان تحت
رقمي 840 ج و 1222 ج (انظر مقال الدكتور العبادي المشار إليه قبل ذلك ص 157 ، حاشية 72 - 73) .

يقول ابن حبوس⁽¹⁾ يمدحه :

تخليفة المهدي سيدنا اغندي⁽²⁾ نهج العلوم مُعبداً ومذلاً
وتفجرت عين النباهة بعدما [قد]⁽³⁾ كان خاطرها أكل وأجبلاً⁽⁴⁾
قد صير المعقول قلباً ماثلاً⁽⁵⁾ فمتى رميناه أصبنا المقتلاً
ورعى جميع العلم في أوطانه من كان ييدي الضعف أن ينتقلاً
وافيت حضرته المقدس تربها فإذا الذي أبصرت لن يتخيلاً
ووقفت وسط سماطه فوجدته سوقاً تقام على المعارف والعلا
لم ألق إلا عالماً وإزاءه متعلماً متكلماً متقللاً
ومدارساً تسع الرياضة لو رأى سقراط سيرتها لذم الهيكل
وسمعت كل مذاهب الحق التي ما إن ترى عن مقتضاها معدلاً

(1) هو أبو عبد الله محمد بن حبوس الفاسي ، ولد سنة 500 ، وتوفي سنة 570 ، وكان أول من هنا
«المؤمن بن علي لدى جبل الفتح (جبل طارق) عند عبوره إلى الأندلس ، وقال عبد الواحد المراكشي
«إن طريقته في الشعر كانت على نحو طريقة ابن هانيء ، وقد أورد المراكشي وصفون بن إدريس في
« زاد المسافر » من شعره بيتين من بحر الأبيات المثبتة هنا ورواها وقافيتها ، هما :

بلغ الزمان بهديكم ما أملاً وتعلمت أيامه أن تعدلاً
وبحسبه أن كان شيئاً قابلاً وجد الهداية صورة فتشكلاً

ولا نكاد نشك في أن هذين البيتين هما مستهل القصيدة التي اقتطف منها ابن القطان تلك الأبيات .
هذا وقد كان ابن حبوس حظياً لدى عبد المؤمن ولدى ابنه يوسف أبي يعقوب (انظر في ترجمته وأخباره :
المعجب ص 282 - 283 ؛ ابن الأبار : التكملة ، ترجمة 1055 ؛ صفوان بن إدريس : زاد المسافر ص 1 - 6 ؛
ابن حمادة : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ص 9 - 10 ؛ ابن دحية : المطرب ص 109 ، 199 - 201 ؛
وراجع مقال الأستاذ هنري بيريوس عن « الشعر في فاس على عصر المرابطين والموحدين » ، مجلة إسبريس ،
المجلد الثامن عشر سنة 1934 ، ص 17 - 33) .

(2) في الأصل : اعتدى .

(3) زيادة تقتضيها استقامة الوزن .

(4) أى انقطع .

(5) في الأصل : ما تلا .

وبصرت بالعلوسي⁽¹⁾ يفهق حوله وأني المعالي⁽²⁾ مجعلا ومفصلا
لم آت إلا مصقعا أو مفلقا ومجادلا عن دينه ومرسلا
« والتخل في علم الإمام مقصر حسب المبرز منهم أن ليلا⁽³⁾
فاترك عكاظا والوفود بسوقها حرقا⁽⁴⁾ وسحبان الخطيب ودغفلا⁽⁵⁾
يعشو لها الأعشى بنار مُخلّق⁽⁶⁾ ويضم علقمة⁽⁷⁾ إليها جزولا⁽⁸⁾ »

(1) يعني بالعلوسي الإمام أبا حامد الغزالي .

(2) يعني الإمام أبا المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري المعروف بإمام الحرمين ، ولد سنة 419 وتوفي سنة 478 (انظر في ترجمته ابن خلكان : وفیات الأعيان : 170/2 - 167/2 ، والسبكي : طبقات الشافعية 165/5 - 222 والمادة التي كتبها عنه بروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية 1100/1) ؛ أما إشارة الشاعر هنا إلى الغزالي وإمام الحرمين فلأن كليهما يعتبر من أكبر أئمة الأشعرية التي كانت مبادئها من أهم الأسس التي أقام عليها ابن تومرت ثورته الدينية السياسية ، وفي ذلك يقول عبد الواحد المراكشي : « وكان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في فيها وفي مسائل قليلة غيرها » (المعجب ص 255) .

(3) في الأصل : حرقا . ويعني بالحرق الجماعات .

(4) يشير في هذا الشطر إلى سحبان وائل الخطيب المشهور ، وإلى النسابة دغفل بن حنظلة السدوسي أو الذهلي ، وكان قد أدرك النبي (صلعم) ولكنه لم يسمع منه شيئا ، وقتله الخوارج الأزارقة (انظر مجمع الأمثال للميداني - ط. القاهرة سنة 1352 هـ . 308/2 ؛ وابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة - ط. القاهرة 1252 - 464/1 - 465 ؛ وابن عبد البر : الاستيعاب في أسماء الأصحاب - ط. هامش الإصابة - 467/1 - 468) .

(5) ورد هذا الشطر في الأصل : « يعيشوا لها الأعشى بنار مخلق » ، والصواب ما أثبتنا ، ويعني بالأعشى أعشى قيس الشاعر الجاهلي المعروف وبالمخلق سيذا من سادات الجاهلية في مكة ، كان فقيرا خاملا ذا بنات ، فسبق إلى إكرام الأعشى عند نزوله بمكة واحتفى به كثيرا ، فمدحه الأعشى بقصيدة جعلت أشراف العرب يتهافون على الزواج من بناته (انظر القصص في ابن رشيق القيرواني : العمدة 24/1 - 25) وهو يشير هنا إلى قول الأعشى من قصيدته في مدح المخلق :

لعمري لقد لاحب عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمخلق

(6) يعني الشاعر الجاهلي المعروف علقمة بن عبدة الفحل .

(7) هو الشاعر المخضرم الخطيئة جروول بن أوس العبسي .

والحق بحضرته السنية واستمع للقول واحذر ويك أن تقولوا
فيها كمال الدين والدنيا معا وسعادة الأرواح في أن تكملا
وأما انبساطه رضي الله تعالى عنه فإنه كان يحدث جلساءه ويفاوضهم⁽¹⁾ ،
كما روى عن بعضهم أنه قال :

كنت بتلمسان أقرأ كتب أصول الدين ، وكان لي صاحب يقرأ كتب
الفقه ، فرحل عني من تلمسان يريد المشرق ، فوصل إلى بجاية ، فخاطبني منها
يعرفني ويقول لي : قد وصل إلى هذه المدينة فقيه عالم بالعلم الذي تطلبه ،
فلتصل إليه ، فعند وصول كتابه إليّ رحلت إلى بجاية ، فلقيت بها الإمام المهدي
رضي الله تعالى عنه⁽²⁾ .

ومن مكارمه وحسن عهده رضي الله تعالى عنه ما حكى بعضهم أنه رضي
الله تعالى عنه لما توجه إلى فتح بجاية وتوسط بقرية كبيرة ، فاستوقف⁽³⁾ الجنـ
د وخب السير منفرداً على فرسه ، حتى وقف على باب دار من ديار القرية ساعة
يسائل أهلها ، ثم انصرف ، فلما نزل في قبة المعظمة الميمونة * أمر بإحضار أهل
الدار المذكورة ، فسألهم عن أبيهم ، فقالوا إنه توفي منذ أعوام وتركهم أربعة بنين ،
فأسلمهم⁽⁴⁾ أرضاً واسعة للحرث ، وأعطى كل واحد منهم ألف رأس من الغنم
ومثلها من البقر ، وأربعة آلاف دينار ، وكتب لهم ظهيراً بالعز والأمان والإحسان

(1) في الأصل : ويعاوضهم .

(2) عن ابتداء صلة عبد المؤمن بن علي بالمهدي انظر : أخبار المهدي ص 52 - 57 ؛ الحلل الموشية
ص 106 - 107 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 247 - 248 ؛ روض القرطاس ص 173 ؛ الاستقصا
79/2 - 80 ؛ ابن عذارى : البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 80 ؛ صلاح الدين الصفدي : الوافي
بالوفيات 324/3 ؛ وانظر مناقشة أويشي للقاء التاريخي بين رجل الدولة الموحدية وما أحاط به من أساطير
تاريخ الدولة الموحدية 43/1 - 46) ؛ وانظر ما سبق أن ساقه ابن القطان في ص 77 .

(3) في الأصل : فاستوقف .

(4) في الأصل : فأسهم .

ونقدمهم حكاما على قومهم رضي الله تعالى عنه ⁽¹⁾ .

ومنها أنه كان ساكنا بتينملل أيام الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ،
فآب ⁽²⁾ من سفرة سافرها ، فأهدت له جارة كانت له من نساء الموحدين عنزا ،
فقبلها بفضله ، فلما ملكه الله تعالى أعطى المرأة ثوبا وألف دينار ⁽³⁾ .

ومنها أنه رضي الله تعالى عنه أحسن بضعف طلبه مجلسه المكرم من طلبه
الحضرة منهم أبو محمد المالقي ⁽⁴⁾ وغيره ، فقال لأشياخ ⁽⁵⁾ الموحدين أعزهم الله
تعالى : هؤلاء طلبه غرباء ضعفاء ، والإقلال عليهم ظاهر ، فنرى أن ندفع إليهم
مالا نقارضهم فيه ، ويتجرون به ويردون السلف لنا ؟ فقالوا ، نعم ، فأسلفهم من
مال المخزن ألف دينار لكل واحد منهم ، فاكتسبوا منها ، وكانت أصل غناهم ،
ولم يأخذها منهم أبداً .

ومنها أنه رضي الله تعالى عنه تذاكر يوماً حال الأندلس مع الروم المقاتنين ،
فجرى [ذكر] ⁽⁶⁾ وقعة أقليمش ⁽⁷⁾ التي هزم فيها الطاغية وقتل ولده أذفونش ؟

(1) ذكر هذه القصة بتفاصيل أخرى تختلف عما جاء هنا عبد الواحد في المعجب ص 101 ،
وكذلك ابن عذارى في البيان المغرب (القسم الموحد) ص 80 - 81 .

(2) في الأصل : فباب .

(3) أورد هذه القصة أيضا ابن عذارى في البيان المغرب ص 81 .

(4) لعله أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن المالقي ، وهو الذي ولي القضاء لعبد المؤمن بعد وفاة أبي
محمد عبد الله بن جبل الوهراني ، وظل على هذا المنصب طوال حكم عبد المؤمن ثم صدر خلافة ابنه
يوسف أبي يعقوب (انظر المعجب ص 269 ، 318) ؛ وقد وردت هذه القصة أيضا في البيان المغرب لابن
عذارى ص 81 .

(5) في الأصل : الأشياخ .

(6) إضافة يقتضيه السياق .

(7) في الأصل : افليس ، وقد سبق للمؤلف أن فصل الحديث عن هذه الوقعة التي أحرز المراهطون
فها انتصارا عظيما على جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة (انظر ص 63 حاشية رقم 1) .

١٢١ ب | فقال رضي الله تعالى عنه لوزيره أبي جعفر ابن عطية ^(١) : اخرج إلى أشياخ الجند وسلهم هل بقي أحد ممن حضر وقعة أفليش ^(٢) ؛ ففعل ، فألقى شيخا يقال له عبد الله بن زيدون قال إنه حضرها ، وعمر بن تورزجين من أشياخ لمتونة أيضا حضرها : فعرف ابن عطية بذلك أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ، فسر بأن بقي من يحدّثه بصفة تلك الحروب ، وأمر بإدخالهما إلى مجلسه العالي ، وأمر بأن يحضر معهما أشياخ الجند ، فكان ذلك ؛ وسألهما عما شاهداه من تلك الحروب ، فحكياها ^(٣) من أولها إلى آخرها ؛ وعند تمام حكايتها أعطى لابن زيدون خمسمائة دينار ، ولابن تورزجين مثل ذلك ، وأعطى لأشياخ ^(٤) الحاضرين في المجلس لكل واحد مائة دينار ، وكانت هذه الحكاية سببا لنظرة الجزيرة الأندلس وتمييزه العساكر إليها .

ومن مكارمه العظيمة رضي الله تعالى عنه حضه ^(٥) الناس على العلم ، وإرادته لهم ولبنينهم ما يريده لنفسه ولبنيه ، واستدعاؤه الصبيان الصغار الأسنان من

(١) هو أبو جعفر أحمد بن جعفر بن محمد بن عطية القضاعي المراكشي ، أصله من قرية بناحية Tortosa بالأندلس ، ولد بمراكش وتولى الكتابة لعلي بن يوسف ولابنه تاشفين سلطاني المرابطين ثم لما انقطعت دولتهم أخفى نفسه مدة حتى استكنه الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتائي بمناسبة قضاءه على ثورة الدعي الماسي ببلاد السوس فلما وصلت الرسالة التي كتبها ابن عطية إلى عبد المؤمن استحسناها وأمر بتقريب أبي جعفر ثم استوزره ، وجرت له بعد ذلك محنة قتل فيها في أواخر سنة 553 (انظر في ترجمته عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 266-272 ؛ ابن الأبار : الحلة السيرة 2/194 ، 225-226 ، 237-238 ؛ ابن الخطيب : الإحاطة (ط. محب الدين الخطيب) 1/263-271 ، الإحاطة (ط. عنان) 1/271-279 ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ص 31-32 ، 57-60 ؛ المقرئ : نفح الطيب 5/183-187 ؛ السلاوي : الاستقصا 2/126-130 ؛ ابن الأبار : إعتاب الكتاب ص 225-229) .

(2) في الأصل : أفليش .

(3) في الأصل : فحكاها .

(4) في الأصل : الأشياخ .

(5) في الأصل : وحضه .

أراء إشبيلية⁽¹⁾ وقرطبة وفاس وتلمسان إلى حضرة العلية ليعلمهم ويحفظهم القرآن وحدث النبي ﷺ ، فانتخب الأولاد النجباء « الحفاظ من كل بلد ، ووجهوا أنفسهم لإلهم مزودين ، فكان عدد الذين توجهوا من إشبيلية⁽²⁾ خمسين صبيا ، فسافروا نحو الحضرة العلية مع الأستاذ أبي الحسن نجية منجهم والأستاذ أبي بكر الحصار ، نهضوا في كفالتهم حتى وصلوا حضرة مراکش حرسها الله تعالى ، فأنزلوا أكرم إنزال ، وتلقاهم الوزير أبو جعفر ابن عطية مأموراً بذلك ، وقد قبلوا بما أحسنهم من الإحسان والإنعام وإجراء الطرف والتحف ثلاثة أيام ، ثم أمروا بكتب التوحيد وحفظه ، وكتب موطأ الإمام رضي الله تعالى عنه وحفظه ، ومسلم⁽³⁾ وحفظه ، وأقاموا كذلك تحت جراية واسعة ، وجباية بالغة ، وأستاذاهم المذكوران معهم ستة أشهر ، حتى بدا عليهم نور الإمامة ، وتميزوا بالحفظ وامتازوا بالكرامة .

ثم ولى سيدنا ومولانا الخليفة أبا يعقوب⁽⁴⁾ رضي الله تعالى عنه إشبيلية وقرطبة ، فوجه معه الوزير أبا جعفر⁽⁵⁾ ابن عطية ، وبعث الصبيان الحفاظ معه إلى آبائهم ، وقد نالوا من الخير ما نالوا وانصرف الأستاذ أبو بكر « الحصار معهم . ١١ ب

(1) انظر تعليقنا المتقدم على ص 149 ، حاشية 2 .

(2) يعني صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري .

(3) في الأصل : أبي يعقوب ، وهو يعني يوسف بن عبد المؤمن الذي ولى الخلافة بعد موت أبيه سنة 558 وكانت وفاته سنة 580 ؛ أما ولايته على إشبيلية وقرطبة فقد كانت سنة 551 ويقول ابن عذارى في ذلك : « لما وصل أشياخ إشبيلية إلى الحضرة العلية في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة رغبوا في سيد يرجع معهم إليها ويستندون إليه في مصالحها وصرح ابن الجذ بطلب السيد أبي يعقوب ، فقال لهم عبد المؤمن إنه صغير السن (كان يبلغ حينئذ ثمانية عشر عاما إذ أنه ولد سنة 533) ، فقالوا : بل هو كبير ، فأسعفهم في ذلك وبعثه معهم أميرا » (البيان المغرب القسم الموحد ص 56) .

(4) في الأصل : أبي جعفر .

كراماته رضى الله تعالى عنه :

ومنها ذكره رضى الله تعالى عنه قبل وجوده ، وأعلى ما في ذلك ما ذكره أبو القاسم المؤمن⁽¹⁾ في كتابه الذي ألفه في « فضائل الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه » ، فإنه قال : إن في كتاب أبي عبد الله الملقب بالباقر بن علي زين العابدين⁽²⁾ بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم مرفوعاً إلى النبي ﷺ - الحضر على الإيمان بالمهدي وبطائفته التي تقاتل معه وبعده وهم أنجال الخليفة الآخذ عنه ما وعد الله الخليفة المؤيد بالنصر الذي ينصره ويفتح به وعلى يديه ، المسمى في الخطبة الجامعة عن رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم - عبد المؤمن بن علي القيسي رضى الله تعالى عنه⁽³⁾ .

قال أبو القاسم المذكور :

وهذا أيضاً موجود في كتاب يحيى بن زيد⁽⁴⁾ ، وفي كتاب القاسم الأكبر⁽⁵⁾ ؛ وجميع ما ذكر أيضاً من فضائل الإمام رضى الله تعالى عنه وعلاماته ومواضعه ورجاله وخدمته والخليفة الآخذ عنه المشار إليه في خبر وجود الخلق .
١٠١ أ ، وقسمة الطوائف⁽⁶⁾ * في الأديان وعبد الهوى « والناصر والمنصور بأمره المسمى

(1) راجع عن هذا المؤلف ما سبق أن كتبناه في ص 62 ، حاشية رقم 4 .

(2) في الأصل : علي بن زين العابدين .

(3) من الواضح أن هذا لا أساس له من الصحة ، وإنما هي أقاويل نسجها المؤرخون الذين كانوا في خدمة الموحدين تقوية لمركزهم .

(4) هو يحيى بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي إمام فرقة الشيعة الزيدية ، وهو الذي خرج على الوليد بن يزيد المرواني في خراسان ، فتمكن منه يوسف بن عمر والي خراسان وقتله وصلبه ، ثم أحرقه بالنار ، وذلك في سنة 125 . انظر تاريخ الطبري 228/7 - 230 .

(5) لعله القاسم بن إبراهيم العلوي الرسى إمام الزيدية ، وتوفى سنة 246 ، وينسب إليه كتاب « الرد على ابن المقفع » و « رسائل في الإمامة » . (انظر الأعلام للزركلي 171/5) .

(6) في الأصل : الطوائف .

والرجل المؤمن عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه في خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الكشف عن ضمير النفوس .

وإيضاح البيان في ذلك كله في كتاب « النصر » لإدريس بن إدريس⁽¹⁾ بسند جميعه إلى رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم .
وقال :

وسمعت أيضا أبا عبد الله اللخمي يقول :

رأيت في الخبر عن خير البشر رسول الله ﷺ أنه قال : خير القرون الذي أنا فيه ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، والآخر أشق ، ولا يقوم بالحق بعد الفترة التي تحدث في الخلق بعد هذه القرون إلا المهدي ، والرجل القائم بأمره ، ومن يليه من الخلفاء بعده رضي الله تعالى عنهم⁽²⁾ .

ومن ذلك تبشير الإمام المهدي رضي الله تعالى عنهما قبل الاجتماع به ودعاؤه بلقائه ، وقد كتبنا ذلك قبل هذا في هذه المقدمة⁽³⁾ .

(1) هو إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وأبوه إدريس ابن عبد الله هو الذي فر من وقعة فخ بالمشرق والذي أسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى ، أما إدريس الثاني هذا فقد ولد سنة 177 بعد أن توفي أبوه وأمه حامل به فبايعه أهل المغرب ، وهو الذي بنى مدينة فاس ، وكانت وفاته سنة 213 (انظر السلاوي : الاستقصا 160/1 - 171) ؛ ولسنا نعلم لإدريس هذا كتابا يسمى « النصر » كما يذكر المؤلف هنا .

(2) الذي ورد في صحيح البخاري (91/1) : « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - قال عمران : فما أدري قال النبي (صلعم) بعد قوله مرتين أو ثلاثا - ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن » ، وكذلك حديث آخر قريب من هذا : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء من بعدهم قوم تسبق شهادتهم أيمانهم وأيمانهم شهادتهم » . ولم نر الحديث على الصورة التي جاء بها في النص في واحد من كتب الصحاح .

(3) حول تبشير المهدي بلقاء عبد المؤمن وتنبئه به انظر القصص الواردة في ذلك في « أخبار المهدي » للبيذق ص 53 - 57 و « المعجب » لعبد الواحد ص 247 - 248 ، وقد جمع كل هذه الأقوال وناقشها الأستاذ أويشي في بحثه « الأسطورة والتاريخ في نشأة الدولة الموحدية » ، وهو الذيل الأول من ذبول كتابه « تاريخ الدولة الموحدية » (انظر 587/2 - 588) .

ومن ذلك ذكر ابن عبد ربه القرطبي صاحب « العقد » ⁽¹⁾ له في أرجوزة
ب ١٤١ نظمها يقول فيها بعد ذكر المهدي رضي الله تعالى عنه * إلى وفاته :

ويرجع الأمر إلى عدنان لماجد قد خصص من عيلان
رَبُّ الفتوح صاحب الملاحم وقامع الأعراب والأعاجيم

وجرى في وصف فتوحه طلقاً مديداً .

وذكره ابن الحناط ⁽²⁾ في أرجوزة له .

1) يعني كتاب « العقد الفريد » للأديب الأندلسي المشهور أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي المتوفى سنة 328 ، ولم نر في كتاب العقد أية أرجوزة يتحدث فيها عما يذكره المؤلف هنا ، وكل ما جاء في العقد الفريد أرجوزته التي يتحدث فيها عن غزوات عبد الرحمن الناصر والتي انتهت فيها إلى سنة 322 هـ . (انظر العقد - ط القاهرة سنة 1944 - 501/4 - 527) ، هذا ولو أن هناك أرجوزة تنسب لابن عبد ربه سرد فيها تاريخ الإسلام والخلفاء الراشدين ، على أن ابن الأبار يذكر بمناسبة هذه الأرجوزة خبراً عن القاضي منذر ابن سعيد البلوطي يقول فيه إنه كتب بيتي هجاء في ابن عبد ربه لأنه أسقط ذكر علي بن أبي طالب (رضه) من الخلفاء الراشدين (انظر عن ذلك مقالنا « التشيع في الأندلس » - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمديرية سنة 1954 - ص 110 - 111) ، وإذا صح ذلك فما كان أبعد ابن عبد ربه - وكان معروفاً بغيضه للشيعة ومن شابههم - عن أن يتبنأ بظهور خليفة لمهدي غير مقطوع بصحة نسبته إلى علي بن أبي طالب (رضه) ، هذا وقد ردد المؤرخ الموحدي صاحب كتاب المقتبس من كتاب الأنساب ما ذكره ابن القطان هنا عن تنبؤ ابن عبد ربه في أرجوزته بظهور عبد المؤمن ، وأورد البيتين المذكورين هنا وأضاف إليهما خمسة أبيات أخرى (أخبار المهدي ص 26) ، وهي أبيات ينم ضعف نسجها وركاكة ألفاظها عن الوضع والأختلاق ، كما أنه زعم أن الفقيه الأندلسي المعروف غاري ابن قيس تلميذ مالك بن أنس قد ردد النبوة في أبيات أخرى من بحر الرجز ، وهي أبيات مثل سابقتها لاشك في أنها موضوعة .

2) هو محمد بن سليمان بن الحناط الرعيني القرطبي ، توفي سنة 437 وكان شاعراً أديباً واسع الاطلاع على العلوم القديمة والحديثة ، وكان متهماً بفساد الدين والخلق ، وهو من الشعراء المعروفين بالتشيع (انظر في ترجمته : جذوة المقتبس للحميدي ، رقم 60 ؛ الصلة لابن بشكوال ، رقم 1435 ؛ البغية للفضي ، رقم 124 ؛ التكملة لابن الأبار ، رقم 429 ؛ المغرب لابن سعيد 121/1 - 124 ؛ الذخيرة لابن بسام ، القسم الأول 427 - 453 ؛ وكذلك مقالنا « التشيع في الأندلس » ص 142 - 143) ، وعلى أية حال فلنستأنف نعرف لابن الحناط هذا أرجوزة فيها إشارة لمثل ذلك .

وذكره عبد الملك بن حبيب ⁽¹⁾ فقال :

صاحب المهدي يأتي بعده خيرة الأعراب طرا والمعجم
أقبل الملك به من نعته أشيب اللحية ليس بالهرم

وذكره الطُّبْنِي ⁽²⁾ في أرجوزة له .

(1) هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب الإلبيري الفقيه المورخ الأديب ، ولد سنة 174 وتولى 238 ،
ولقد بقى لنا من كتبه مختصر كتابه الكبير في التاريخ ، ومنه نسخة وحيدة مخطوطة محفوظة في المكتبة
البودليانية بأوكسفورد تحت رقم 127 ، وقد قمنا بدراسة هذا الكتاب وبيان قيمته التاريخية في مقالنا عن
« مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي » (بحث بالإسبانية في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية
بمديريد) سنة 1957 ص 189 - 200 ، كما قمنا بنشر النص العربي للفصول الخاصة بفتح الأندلس
وأخبارها والتنبؤات عن الحوادث المستقبلية (ص 221 - 243) ، وليس في كل ذلك ذكر للبيتين المنسوبين
هنا لابن حبيب ، ولكن في الكتاب نصا قد يمكن تأويله بأنه يشير إلى المهدي بن تومرت ، وقد رأينا من
المستحسن أن ننقل هنا هذا النص (ص 240 من المقال المذكور) : « وسمعت عبد الملك بن حبيب
يقول : إذا خرجت دولة بنى أمية ووليا رجل من الموالى أو البربر تكون في دولته الصيحة ، ول دولة
أخرى من بنى أمية تكون القرمونية ، ثم تغرب قرطبة حتى لا يسكنها إلا الغربان ، وينتقل الملك إلى
إشبيلية ، وتخرج الخلافة من ولد العباس ، ويصير الأمر إلى بني أوى طالب حتى يخرج الدجال ، ويدخل
الداخل من قریش من ولد فاطمة ، فتبرأ إليه أهل الأندلس بالأمر ، ففى زمان هذا الفاطمى تفتتح
القسطنطينية ، وعلى يدي الفاطمى يقتل النصارى بقرطبة وكورها ، فلا يبقى نصرانى ، ويقع السبى في
ذرائعهم حتى توجد الخادم بمهماز والأمرد بسوط . وأخبرنى ابن أوى شمر أنه سمع حسانا يحدث بهذا » علم
أننا بينا في هذا المقال (ص 193 - 194) أن كل هذه الفصول زيادات أقحمت في الكتاب من بعد ، وربما
كان بعض مؤرخى البلاط الموحدى هم الذين أقحموها في النص تأييداً لرأيهم في ظهور المهدي ، ومهما
يكن من أمر فإننا لم نجد في الكتاب ولا زياداته أى إشارة إلى عبد المؤمن .

(2) بيت بنى الطنبى من الأسر المشهورة في الأندلس ، وأصلهم من طبة عاصمة الزاب بأفريقية ،
وأشهر من عرف منهم زيادة الله بن علي بن حسين الذي توفى سنة 415 ، وكان من جلساء المصور بن أبي
عامر ، وقد اختص ابن سعيد بالذكر بعض أفراد هذه العائلة (المغرب 92/2 والمراجع الأخرى المذكورة
في حواشي هذا الموضوع) ، ولسنا ندري من هو الطنبى المقصود هنا ، ولعله هو نفسه الذي ألف كتابه في
أخبار إفريقية والقيروان ، وهو كتاب أشار إليه عبد الواحد المراكشي (المعجب ص 441)

وذكره حبيب بن هيرة⁽¹⁾؛ إلى غير ذلك من ذكره رضي الله تعالى عنه في أراجيز قديمة غير منسوخة لصفاته وأفعاله وفتوحاته .

وبعضهم يأثر ذكره رضي الله تعالى عنه عن دنيال عليه السلام وعن سطيف⁽²⁾ . وبالجملة قد كان قبل وجوده السعيد منتظرا زمانه ، ومتشوقا كيانه ، إلى أن حقق الله تعالى منه ما كان يذكر ، وأبرز للوجود ما كان ينتظر فجاءت للأمة سعادتها ، ولانت نحو الحق مقادتها ، والحمد لله رب العالمين .

ومنها مما يلحق بذكره رضي الله تعالى [عنه] قبل وجوده وجود⁽³⁾ اسمه الأعز منقوشا * في لوح رخام .

قال أبو القاسم المؤمن :

دخلت⁽⁴⁾ في أرض القدس رباطا يعمره رهبان الروم مفروشا بالرخام المجزع ، وفيه رخامة بيضاء قد نقش في سطحها الظاهر منها أحد عشر سطرا على دل سطر منها اسمان إلا السطر الأوسط فعليه اسم واحد .
قال :

وعلى السطر الأوسط السادس⁽⁵⁾ اسم الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه

(1) لم نهند إلى شخصية حبيب بن هيرة هذا .

(2) سطيف بن ربيعة هو الكاهن الجاهلي المشهور (انظر عنه المقال الذي كتبه عنه ليفي دلافيديا في دائرة المعارف الإسلامية 189/4 - 190) ، ويبدو أن هناك أسطورة مغربية قديمة كانت تدور حول كونه مدفونا بأرض مدينة سطيف ، فقد ذكر البيهقي في أخبار المهدي (ص 114) أن عبد المؤمن بن علي حينما مر بسطيف في طريقه لفتح بجاية دفع جواده ومعه أصحابه الموحدون حتى وصل إلى قبر سطيف وحك عليه جواده ، ثم قال لأصحابه : أتعرفون ما قال صاحب هذا القبر ؟ قالوا له : أنت العارف بذلك . فقال لهم الخليفة : « أريولوني عن هذا القبر ثلثا تدوسني خيل عبد المؤمن بن علي الكومي القيسي ! » ؛ وربما كان المؤلف يشير إلى نفس هذه القصة .

(3) في الأصل : ووجود .

(4) في الأصل : دخلت .

(5) في الأصل : السابع ، والصواب ما أثبتنا .

وحده ، وعلى السطر السابع اسم الخليفة بعد الإمام المهدي رضي الله تعالى عنهما
الآن عنه في حياته المسمى عبد المؤمن بن علي القيسي . واسم شيت عليه السلام .
قال :

وعرضت ذلك على الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فأمرني بحفظه
وأن ^(١) أكتب ذلك حتى يمين الوقت الذي يكون فيه ظهوره رضي الله تعالى عنه .
ومن كراماته رضي الله تعالى عنه إنجاز ^(٢) الوعود النبوية للطائفة المهديّة
بفتح الأرض ، وتدويع الطول منها والعرض ، فما أم بلدا إلا فتحه ولا سعي سعيّا
إلا أحمدّه واستنجه ^(٣) ، تنجزا لصداق الوعود ، وكرامة بمصاحبة السعود ، حتى
إنه رضي الله تعالى عنه يشير إلى ذلك مهما كتب كتابا بفتح من فتوحه ،
ويقصّح بأنه كرامة من كرامات الله تعالى للدعوة المهديّة بفصيح « اللفظ »
وصريحه ^(٤) .

ومن كراماته رضي الله تعالى عن نضوب وادي سلا الذي هو بحر ترفاً فيه
السفن الكبار ، فنضب لجوازه رضي الله تعالى عنه بعسكره ، حتى لم يحتج فيه إلى
قنطرة ولا قارب ، كما سيأتي بعد إن شاء الله تعالى ، وذلك خرق عادة ^(٥) .

(١) في الأصل : وأنا .

(٢) في الأصل : إنجاز .

(٣) في الأصل : واستنجه .

(٤) انظر أمثلة لذلك في الرسائل التي كتب بها عبد المؤمن بن علي (مجموع رسائل موحديّة ص ١١ ،
٨٠ - ٨١ ، ٩٩ ... الخ) .

(٥) يبدو أن المؤلف يشير بهذا إلى ما حدث في أثناء توجه عبد المؤمن بن علي إلى فتح بجاية في سنة
٥٤٦ ، فقد جمعت جيوشه في سلا ، ومنها خرج إلى شريط ثم « الوادي متاع ورغة » ثم إلى مسون ،
ولا ينص البيهقي في حديثه عن خط سير عبد المؤمن هذا على ما يذكره ابن القطان هنا من جفاف الهر
حتى عبر عبد المؤمن وعسكره ، ولكنه يوحي بذلك إذ يقول : « وخرجنا من مسون ، ولم يعلم أحد أي
طريق سلكنا ، وسلك بنا الخليفة على طريق لم تسلك » (انظر أخبار المهدي ص ١١٣ ، وانظر عن هذه
الحملة روض القرطاس ١٩٢ - ١٩٣ ، وأويحي : تاريخ ١٦٥/١ - ١٦٧) .

ومنها ثماء دراهمه رضي الله تعالى عنه ، كما حكى بعض الموحدين من كومية
قال :

كان سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه أيام طلبه قد سافر من تلمسان إلى
فاس في طلب العلم ولقاء المشايخ بها ، فصحب في طريقه تاجرا مليا ⁽¹⁾ من أهل
الإسكندرية ، فرافقه إلى فاس ، فطلب المكربى من التاجر كراء دوابه ، فأعوزته
منه خمسة عشر درهما ، فاستسلفها التاجر من سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه :
ثم إن التاجر طلبه بفاس ليقضيه إياها . فلم يجده ، فكتب اسمه في زمامه ⁽²⁾ ، ثم
رحل إلى الإسكندرية ؛ ثم توغل في المشرق ، وجال ⁽³⁾ نحو ثلاثين سنة ؛ وكان
جعل تلك الخمسة عشر درهما رأس مال على حدة ⁽⁴⁾ ، فوضع الله تعالى فيها
البركة ونمت ثماء عظيما إلى أن صارت ألف دينار ؛ ثم رجع التاجر إلى بجاية بعد
غيبته تلك السنين الطويلة ، * فوجد أبا محمد عبد الله بن سليمان صاحب إمارة
البحر ⁽⁵⁾ ، فتوقف ماله حتى يعلم حاله ، فاستعجل التاجر الوصول إلى الحضرة

(1) أي غنيا .

(2) في الأصل : زمانة .

(3) في الأصل : وبحال .

(4) في الأصل : حدة .

(5) أبو محمد عبد الله بن سليمان التينملي المسكالي من أهل خمسين المستدركين بعد التميز ، وكان هو
وأخوه يوسف من كبار قواد عبد المؤمن وخيرة رجال دولته ، وقد ولى عبد المؤمن عبد الله هذا على سبته بعد
إخضاع الثورة التي قام بها القاضي عياض سنة 543 ، واضطلع بأمر الفرقة التي سارت إلى قبيلة غمارة وقضت
على نوار تيطاوين (تطوان) ، ويبدو أن عبد المؤمن وكل إليه قيادة أسطوله البحري في سنة 546 ، وكان عبد الله
ابن سليمان هو الذي تولى إخماد ثورة يصلاسن بن المعز ، كما كان له فضل القضاء على ابن قسي الثائر في
جبل شلير وأركش ووادي آش بالأندلس (انظر أخبار المهدي ص 35 ، 108 ، 111 ، 115 ، 125 ؛
والمعجب ص 262 ، 281 ؛ وابن عذاري : البيان المغرب (القسم الموحد) ص 54 - 55 ؛ ومجموع
الرسائل الموحدية ص 11 وهي رسالة كتب بها عبد المؤمن إلى طلبة سبته وبشير فيها إلى قيادة عبد الله
الأساطيل الموحدية ، وقد جاء في نفس هذه الرسالة (ص 13) أمر من الخليفة بثقفي التجار الذين يحملون
المرافق إلى مالقة ، مما يؤكد ما يذكره المؤلف هنا من كون عبد الله بن سليمان هو المكلف بذلك .

العلمية ، وقصد إلقاء أمر المؤمنين رضي الله تعالى عنه فلقبه في طريق البحيرة ، فسلم عليه ، فقال له : من الرجل ؟ فذكر مسألته وتعرف له ، وأحضر زمابه والاسم مكتوبا على الخمسة عشر درهما وأنها قد نمت حتى بلغت ألف دينار ، فجزاه على أمانته خيرا وكتب له ظهورا بالأمان في أهله وماله ونفسه ، وأمر بصرف كل ما ثقف له عليه .

أمره رضي الله تعالى عنه بالمعروف ونهيه عن المنكر وعدله ، ونهجه مناهج الحق وفضله :

بذلك قطع أيامه ، ورفع أعلامه ، وأحيا الحق وأعلى مراسمه ، وأقام أسواق العدل ومواسمه ، ⁽¹⁾ وخضد ⁽²⁾ الباطل وقطعه ، وقمع شرذمته وشيعه ، حتى علا منار الهدى وارتفع ، وبهر نوره وسطع ، وانقشعت حناديس الظلم وغياهبه ⁽³⁾ ، واتسعت مقاصد الفضل ومذاهبه ، فكل حركاته وسكناته أمر بمعروف ونهى عن منكر ، وفضل وعدل لا تزال آثاره تحمد وتشكر ، والتعرض للإحصاء ، لآحاد ⁽⁴⁾ ذلك العلاء ، ليس بممكن ، فلا ينزف البحر بالدلاء .

لكن له رسالة جامعة لأنواع من الأوامر ، الباقية فخرا لمن تفاخر . «
خلدت من مآثره ⁽⁵⁾ السنية ، وأوامره السنية ، ووصاياه الحكمية ، وآدابه العلمية ، ما يقر معه بفضله كل سامع لها وآثر ، ويعلم أن فضله وعدله ⁽⁶⁾ وهي من إنشاء الكاتب أبي جعفر ابن عطية ، فرأيت تدوينها هنا في جملة ما أثبتته أنموذج ⁽⁷⁾ معاليه ،

(1) في الأصل : ومن اسمه .

(2) في الأصل : وحضره .

(3) في الأصل : وعوايية .

(4) في الأصل : آحاد .

(5) في الأصل : مآثر .

(6) يبدو أنه سقطت هنا عبارة تتم بها السجعة .

(7) في الأصل : المودج .

التي هي إحدى فرائد ⁽¹⁾ هذا الكتاب ولآله .

وهي بعد البسملة والصلاة ⁽²⁾

من أمير المؤمنين أيده الله تعالى بنصره ، وأمده بمعونته ، إلى جميع الطلبة الذين بالأندلس ومن صحبهم من المشيخة والأعيان والكافة ، وفقهم الله تعالى واستعملهم بما يرضاه .

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد :

فالحمد لله ، وهو اللطيف الكريم ، الرؤوف الرحيم ، الذي بعدله قامت السموات والأرض وبه تقوم ، وعلى محمد نبيه المصطفى الصلاة المباركة والتسليم ، ولأمته المخلصة في عليين كتابها المرقوم ، والرضا عن الإمام المعصوم ، المهدي المعلوم ، الذي بعثه رحمة للمؤمنين ، ينيلهم ⁽³⁾ به الرُّوحَ والنعم ، ويرزقهم حقيقها المختوم .

وكتابتنا هذا - كتب الله تعالى لكم كل رافة ورحمة ، وسوغكم من اليمن والأمن أنعم نعمة ، وجعلنا وإياكم فيمن قدم لدار قراره ونعمه - ، من الحضرة العلية بتينملل - حرسها الله تعالى - في سادس عشر من شهر ربيع الأول سنة

(1) في الأصل : فوائد .

(2) هناك رسائل من هذا القبيل وصلت إلينا في بعض المراجع الأخرى مثل الرسالة التي وجهها عبد المؤمن إلى طلبة سبتة (مجموع رسائل موحدية ص 1 - 3) ، ورسالته إلى جماعة المشيخة بقرطبة (نفس المرجع ص 13 - 17) ، وإلى طلبة سبتة (ص 61 - 67) ، ورسالة الفصول إلى أهل بجاية (ص 126 - 138) ، وأخبار المهدي ص 13 - 17 و 134 - 145) ؛ وجميع هذه الرسائل - مثل هذه التي يوردها ابن القبطان بجملتها هنا - مما كتبه عن الخليفة كاتبه ووزيره أبو جعفر ابن عطية .

(3) في الأصل : ينيلهم .

ثلاث وأربعين وخمسمائة ⁽¹⁾ : وقد وصلناها - والحمد لله - وجناح الرحمة محفوظ ⁽²⁾ ، وطرف المكاره « مغضوض ⁽³⁾ ، وفيض العدل والبذل ⁽⁴⁾ منتشر مستفيض ، وشأن الظلم بإذن الله تعالى مكفوف مقبوض ، والحق أبلغ لا كناية ولا تعريض ⁽⁵⁾ .

وكان مقصودنا من هذه الوجهة المباركة زيارة قبر المكرم المهدي رضي الله

(1) لعبد المؤمن كتاب وجهه إلى طلبة صنهجة تأسفرت بتاريخ 27 من ربيع الأول سنة 543 ، أي بعد تاريخ الرسالة المذكورة هنا بعشرة أيام (انظر مجموع الرسائل الموحدية ص 5-6) ، وقد جاء في تلك الرسالة الموجهة من مراکش أنها كتبت بعد صدور الخليفة من الحضرة بتنمّل حيث كان عبد المؤمن يؤدي واجب الزيارة لقبر المهدي محمد بن تومرت ، وهذا يتفق مع ما جاء في تاريخ الرسالة التي يوردها ابن القطان هنا وتحديد مكان إرسالها ، إذ أن هذه الرسالة كما يتبين إنما كتبت في أثناء زيارة عبد المؤمن لتنمّل وبمناسبتها ، وتوه هنا بما ذكره عبد المؤمن في رسالته إلى طلبة صنهجة تأسفرت حيث يقول : « وتصلكم طي كتابنا هذا نسخة كتاب خاطبنا بمثلها كل جهة من جهات الموحدين - وفقهم الله - فيما قرب وبعد ، وحملناها من الوصايا ما نرجو أن يعين على أمر الله ويعضد ، ورأينا إنقاذها إليكم لتألوا من بركاتها ما تجدون أثره قريباً » (انظر ص 6) ، ونكاد نقطع بأن النسخة التي أرسلها عبد المؤمن طي كتابه المذكور إنما هي نفس تلك الرسالة التي أوردتها ابن القطان هنا بنصها . وقد كان لهذه الرسالة شهرة عظيمة وانتشار واسع وأصبحت مثلاً يقتدى بعد ذلك لدى سلاطين الموحدين ، نرى ذلك فيما كتبه عنها ابن صاحب الصلاة بمناسبة إيراد نص رسالة مماثلة كتبها أبو الحسن ابن عياش عن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في الثالث من شهر رمضان سنة 561 (انظر نص هذه الرسالة في كتاب « المن بالإمامة » ص 302-307 ، إذ يقول ابن صاحب الصلاة معلقاً عليها : « وصل الأمير الأجل الأعدل أبو يعقوب رضي الله عنه بأمره الكريم في هذه الرسالة العلية بالأمر والعدل الأمر الذي بدأه أولاً أبوه الخليفة الرضي أمير المؤمنين رضي الله عنهم في رسالته المشهورة بالعدل والهي عن المنكر المؤرخة بالسّادس عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة التي كتبها في الحضرة العلية تنمّل حين زيارته قبر المهدي رضي الله عنه إلى جميع الطلبة والأشباه والعمال من الموحدين ببلاد العنودة والأندلس ، فاقتفى رضي الله عنه في ذلك أثره » (انظر نفس المرجع ص 307) .

(2) في الأصل : مفوض .

(3) في الأصل : معضوض .

(4) في الأصل : والبذل .

(5) في الأصل : تعريض .

تعالى عنه لتجديد عهد به تقادم ، وشفاء شوق إليه لزم ولازم ، والنظر في بناء مسجده المكرم تمتعا ببركاته ، ورجاء في تضاعف الأجر بكل لبنة من لبناته ⁽¹⁾ ، وحرصا على أن يتوافر به حظ التوفيق وقسمه ، ويعلو في الملاء الأعلى ذكره ورسمه ، ورغبة في رفع بيت من أفضل البيوت التي أمر الله عز وجل أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، ولتنعم الجوارح بمشاهدة ⁽²⁾ هذه المشاهد المنعمة ، والمواسم المعظمة ، وتزود بالتطوف على معاهدة ما عهده العوارف المتممة ، كل ذلك غرضا في ذات الله تعالى نفرضه ، وأمر يستحب المرء إليه طلب ذلك الخير ويستهنه ⁽³⁾ .

وقد تم - بحمد الله تعالى - هذا الوطر ⁽⁴⁾ ، واقتضي الإياب إلى النظر في المصالح والرأى الجميل النظر ، وتفجرت - بحمد الله تعالى - منابع الخير وفاضت ، وعادت روابض الأمر إلى أشرف حالاته وآضت ، وانبعثت موارد البركات بعد ما غارت في غير هذا الزمن المذكور وغاضت ، ونسأل الله تعالى عوننا على شكر هذه النعم التي عمت ملابسها ، * ووعت ⁽⁵⁾ الأئمة نفائسها ، وخاب عن رحاماها خاسر الكلمة وبائسها .

وإن الله تعالى قد قضى بأن يكون شرف صاحبه به وامتساكه ، وبين العدل والجور حياة العالم وهلاكه ، فالسعيد من لقي ربه مُبرِّءاً من اتباع الهوى سليما ، والشقي من أتى مليما ، باكتساب الكبائر ملوما ، ﴿ ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه ، وكان الله عليما حكيما ﴾ ⁽⁶⁾ ، والله سبحانه يهب الرحمة

(1) في الأصل : لبناته .

(2) في الأصل : بمشاهدة .

(3) في الأصل : وتستهنه .

(4) في الأصل : الوطن .

(5) في الأصل : ونعت .

(6) سورة النساء ، آية رقم 111 .

المسترحمين ، ونعيب الرفق ويعل به كنفه الأمين ، وفي الحضي على ذلك يقول وهو
أصدق القائلين : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ⁽¹⁾ 〉 ، وبرحمته
سبحانه بسط لعباده النعماء ، وبرأفته كشف عنهم العناء ، قال النبي ﷺ : إنما
يرحم الله من عباده الرحماء ⁽²⁾ .

وقد اتصل بنا وفقكم الله تعالى - أن من لا يتقي الله تعالى ولا يخشاه ،
ولا يراقبه في كبيرة يغشاها وتفشاه ، ولا يؤمن يوم الحساب فيما أذاعه ⁽³⁾ من
المنكر وأفشاه ، يتسلطون بأهوائهم على الأموال والأبشار . ويتشرون بالقتل
بأعراض الناس أقبح الانتشار ، يستحلون ⁽⁴⁾ حرمات المسلمين من غير حلها ⁽⁵⁾ ،
ويسارعون إلى نقض عقد الشرع وحلها ، ويصفون الشدة والغلظة بطراً ورياء في
غير محلها ، ويتدعون من وجوه المظالم « ما تضعف شواهد الجبال عن حملها ، ^{٩٨} أ
ويستنبطون من فواحش الآثار ما تذهب نفوس المؤمنين لأجلها ويتسبون إلى قتل
المسلمين فضلاً عن استباحة أموالهم وأعراضهم بتلييسات ينشئونها ، ومزورات
يضيفونها إليهم وينسبونها ، وينظرون إلى اهتضام حق الله تعالى فيهم بأباطيل
يعدونها ظلماً ويحسبونها ، ويسعون في استئصال نفوسهم بكل قاطعة موجعة ،
ويعيثون ⁽⁶⁾ فيهم بكل غاصبة للقلوب منتزعة ، والنبي صلى الله تعالى وملائكته
الكرام عليه وسلم يقول : « من قتل عصفوراً بغير حق عبثاً جاء يوم القيامة وله

(1) سورة الشعراء ، آية رقم 215 .

(2) ورد هذا الحديث الشريف في صحيح البخاري (كتاب الجنائز) 79/2 ؛ وفي سنن أبي داود
(باب البكاء على الميت) 58/2 ؛ وفي سنن ابن ماجه (باب ما جاء في البكاء على الميت) 481/1 ؛ وفي
صحيح مسلم 39/3 ؛ وفي سنن النسائي 22/4 .

(3) في الأصل : اداعه .

(4) في الأصل : يستحيون .

(5) في الأصل : حلها .

(6) في الأصل : ويعيثون .

صراخ عند العرش يقول : يارب ، سل هذا فيم قتلني عبثاً من غير منفعة ؟ ⁽¹⁾ ، ولا يلتفتون إلى عاقبة ولا ينظرون ، ولا يُمرُّون بأذاتهم ما يفعل الله تعالى بأمثالهم ولا يحذرون ، ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ ⁽²⁾ ، هيهات ! هيهات ! إنهم ساء ما كانوا يعملون ، تالله ليأتينهم من العقاب الأليم في أقرب أمد ما يهدمهم هذا ⁽³⁾ ، ويجعل بينهم وبين النجاة من اشتداد الهلكة سدا ، ويستأصلهم ⁽⁴⁾ بصواعق الانتقام فقد جاءوا شيئاً إذا .

٩٨ ب | أما * علموا أن الله تعالى يطلع على نجواهم ، ويوقعهم في مهاوي بلواهم ، ويلبسهم أزدية سرائرهم فيما استهواهم الشيطان به واستغواهم ؟ أما علموا أن أمر المهدي رضي الله تعالى عنه تساوى في الحق به أضعف المسلمين وأقواهم ؟ ألم يقل رسول الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : « المسلمون تكافأ ⁽⁵⁾ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » ⁽⁶⁾ ؟ لقد آمنوا مكر الله جرأة عليه وإقداماً ، وأعمت الشهوات بصائرهم إذهاباً لنور الحق من نفوسهم

(1) أورد هذا الحديث الإمام ابن حنبل في مسنده مخرجا إياه عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضه) . انظر عبد الرؤوف المناوي : فيض القدير في شرح الجامع الصغير 192/6 - 193 .

(2) سورة البقرة ، آية رقم 9 ؛ وقد جاء في الاصل : « ... وما يخادعون إلا أنفسهم » .

(3) في الاصل : هدى .

(4) ويتأصلهم .

(5) في الاصل : تنكفى ، ولعلها كما أثبتنا .

(6) جاء في صحيح البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة) : « دمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » (97/9) ، والذي ذكره الإمام البخاري هو أن ذلك لم يكن حديثاً نبوياً شريفاً ، وإنما كان مكتوباً في صحيفة قرأها علي بن أبي طالب (رضه) في إحدى خطبه ورواه النسائي مختلفاً بعض الشيء في ألفاظه ، إذ قال إن قيس بن عباد والاشتر انطلقا إلى علي (رضه) فسألاه : هل عهد إليك نبي الله (صلعم) شيئاً لم يعده إلى الناس عامة ؟ قال : لا ، إلا ما كان في كتابي هذا . فأخرج كتاباً من قراب سيفه فإذا فيه « المؤمنون تكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم .. الخ » (سنن النسائي 19/8 - 20) ؛ ورواه ابن ماجه عن طريقين مختلفتين مع بعض الخلاف في ألفاظه (سنن ابن ماجه 150/2 - 151) ؛ ورواه كذلك أبو داود في (السنن 249/2) .

وإعداماً ، وثالثه لو تعين لنا فاعل ذلك وتشخص ، لما خرج من حباله مكره ولا تغلص ، ولسارع إليه من أسرع عقابنا ما يمحو رسمه نحو الفنا ، ويكتب يديه بما قدمنا من الخنى ⁽¹⁾ ! .

ولقد ذكر لنا فيما ذكر من تلك المظالم ، المستغرقة لأنواع المآثم ، الموبقة لأهلها حين يقرع سن الندم النادم ، أن أولياءك الخائضين في غمرات أبجرها ، المثيرين لأسباب منكرها ، الصارمين لعلق الشريعة القاطعين لأبهرها ، يمدون أيديهم إلى ضرب الناس بالسياط إبلاغاً في الانتهاء بكثرتها وإحاشا ⁽²⁾ ، ويتسببون بذلك إلى أخذ أموال الناس إغياراً للصدور وإحاشا ⁽³⁾ . وذلك « أمر معاذ الله أن يرضى به مؤمن بالله ، أو يتجه إليه حق بنوع من الاتجاه ، ما أبعد العدل أصلحك الله تعالى - عن هذه الأمثال والأشباه !

وقد علمتم أن عادتنا فيمن يستوجب الضرب أو يستحقه ، ممن يظلم الأمر الشرعي أو يعقه ، حدود معلومة ، دون إفحاش ولا انتهاك ، ومواقف مرسومة ، تقابل كلا بمقتضى جرمه من أثيم أو أفاك .

ولقد ذكر لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات ⁽⁴⁾ وتحجير المراسي ⁽⁵⁾ وغيرها ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرماً وإفكاً ، وأدناها إلى من تولاهما دماراً وهلكاً ،

(1) في الأصل : الغنى .

(2) في الأصل : وإحاشا ، والإحاش هو سجع الحلد (أي خدشه بشدة) أو إحراقه .

(3) في الأصل : وإحاشا .

(4) القبالة هي في الأصل الضريبة التي تدفع لبيت المال ، وقد أطلق استعمال هذا اللفظ على الضرائب الزائدة على ما يفي به الشرع ، وكانت هذه الكلمة تستخدم في المغرب والأندلس للدلالة على الضرائب التي كان يؤديها أهل الحرف أبو بائعو السلع الرئيسية (انظر دوزي : ملحق القواميس العربية 305/2 - 306) .

(5) في الأصل : المراسي ؛ وتحجير المراسي يعني به منع التصرف فيها والحجر على حرية الانتفاع منها ، وهو مأخوذ من الاصطلاح الشرعي « التحجير » بمعنى الحجر وهو منع التصرف (انظر دوزي : ملحق القواميس العربية 250/2) .

وأكثرها في نفس الديانة عبثاً وفتكاً ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ! هل قام هذا الأمر العالِي إلا لقطع أسباب الظلم وعُلقه ؟ وتمهيد ⁽¹⁾ سبيل الحق وطرقه ؟ وإجراء ⁽²⁾ العدل إلى غاية شأوه ⁽³⁾ وطلقه ؟ اللهم إنا نشهدك أن سبيلنا سبيلك ، وإنا نستعينك مما استعاذك منه محمد رسولك . روى عنه عليه السلام أنه قال : « أعوذ بالله من المغرم والمأثم ⁽⁴⁾ » تنبيهاً على ما في إغرام الناس من الظلم المظلم . ولئن نقل إلينا - والله الشاهد - أن نوعاً من هذه الأنواع المحرمة ، أو صنفاً من تلك الأصناف المظلمة ، يتولاه أحد هنالك من البشر ، أو يأمر بشيء من ذلك الفعل المستنكر : لنعاقبه بمحو أثره ، عقاباً يبقى * [عظة ⁽⁵⁾] لمن اتعظ ، وعبرة لمن تنبه لزاجر الحق واستيقظ .

وإن من ذلك الرأي الذميم ، والسعي المنقوم ، ما ذكر لنا في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعمارتها ، والطوائف المارة على البلاد لمعنى تجارتها ، يتسبب إليهم قوم من هؤلاء الظلمة الدخلاء الذين يضعون الغش طي ما يوهمون به من النصيحة ، ويستبطنون ⁽⁶⁾ المكر في تصرفاتهم القبيحة ، فيقولون للرجل منهم : عندك من حقوق الله كيت وكيت ، وإن للمخزن جميع ما به أتيت ! ويقرنون بهذا من الوعيد والإغلاظ الشديد ما يرضى له المذكور بالخروج عن جملة ماله ، ويعتقد ⁽⁷⁾ السلامة من ذلك الظالم الغاصب أعظم مناله ، وإنها لذهابية ⁽⁸⁾ عاقرة ، قاصمة للظهرة فاقرة ، ويا عجباً لكم - معشر الطلبة والشيوخ وكافة الموحدين - فإنكم بذلك مطلوبون ، وما حجتكم وما أنتم على حق كيف

(1) في الأصل : وسد ، ولعلها تحريف عما أثبتنا .

(2) في الأصل : أجزاء .

(3) في الأصل : شهوة .

(4) أورده النسائي في جملة ما يتعوذ به في الصلاة (السنن 57/3) .

(5) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل .

(6) في الأصل : ويستبطنون .

(7) في الأصل : ونعتقد .

(8) في الأصل : لذهابية .

لنكيف هذه الكبائر وأنتم الأمور هنالك رصداً ⁽¹⁾ ؟ أم كيف تعزبي هذه
الطوائف وقد قام المحقق أود ؟ أم كيف تكون الدماء على هذه الصورة تسفك ؟
والمرامد تنهك ؟ ولا يتعوض لذلك منكم أحد ؟ كلا ، ليعاقبين كل من ⁽²⁾
ممن ، وأبطلهن ما قصد القاصد وما عنى . وإن وراء قولنا « لتتبعنا يبحث ⁽³⁾ » عن
ذلك ويخلص ، ونظراً يفرق بين المشكل منه ويخلص !

ولاشك والله أعلم في أن أسباب تلك المنكرات ، ودواعي تغير تلك
الأحوال المتغيرات ، قوم يتوسطون بينكم وبين الناس ، ويقولون ما لا يفعلون ذهاباً
إلى التدليس عليكم والإلباس ، ويجعلون النفي بالظلم والعدوان بدلاً من العدل
والقول الجميل والإناس ، وذلك لغيب المباشرة ومباينتها ، وبعدكم عن مشاهدة
الأمر ومعاينتها ، والتعجب عن مطالعة الأمور داعية كبرى لفسادها واختلالها ،
وسبب ⁽⁴⁾ قوي في انتقاضها واختلالها ، وفرصة لوسائط السوء بانهمالها في البواطن
واسترسالها ، فلا تكلوا النظر فيها إلى أحد سواكم ، ولا تبعدوا بغلظ ⁽⁵⁾ الحجاب
عما قصدتم من الخير ونواكم ، وباشروا الأحكام هنالك مباشرة المتعهد المتفقد ،
وعليكم بالتواضع لأمر الله تعالى وترك الاستعلاء المنتقد ، وتحفظوا في جانب
المسلمين من كل خفيف المقال ، كثير الاضطراب في الباطل والانتقال ، فقد
نهى رسول الله ﷺ عن القيل والقال ، وثبتوا ⁽⁶⁾ - وفقكم الله - في الأحكام
التي لا بد لكم من النظر فيها تثبت البحث عن حقائق الأمور والاستقصاء ،
وتعهدوا الناس بالتحذير من اللدد في الخصام ، وبالغوا في الإيضاء .

(1) كرر الناسخ هذه الجملة في الأصل .

(2) في الأصل : ما .

(3) في الأصل : بحث .

(4) في الأصل : ونسب .

(5) في الأصل : بغلظ .

(6) في الأصل : وثبتوا .

ولا تظنوا أن الاجتهاد في الأمور يؤدي إلى الهجوم عليها والافتحام ، ونخرج
النظر عن الثبوت في القضايا والأحكام ، فاذهبوا فيها « مذهبا وسطا ، واقتصدوا
الاعتدال مقصدا مقسطا ، ولا تحتجوا في شيء لا تعلمون فيه حكما ، وشاورونا
فيما يخفى عنكم وجهه لرسم لكم فيه رسما ، فليس كل مجتهد مصيبا برأيه ،
ولا كل هاجم على رأي منجح في سعيه ، وبين طرفي الأحوال واسطة جميلة فيها
معقد السياسة ومناطها ، وخير الأمور - كما قال عليه الصلاة والسلام -
أوساطها .

وعليكم أن تبحثوا بغاية جدكم عن أولئك المسبيين لتلك القبائح الساعين
في سد ما يرضاه الله تعالى من المصالح ، وتعرفونا بهم بعد تثقيفهم لنشرد بهم من
خلفهم ، ونكف بعقابهم نوعهم الظالم وصنفهم ، وقد استخرنا الله في سد تلك
الذريعة ، وصد تلك الأفعال الشنيعة ، فرأينا أن ترفعوا إلينا أحكام المذنبين
للكبائر ، وتعلمونا بنبا كل من ترون أنه يستوجب القتل بفعله الخاسر ، دون أن
تقيموا الحد عليه ، أو تبادروا بالعقاب إليه ، ولا سبيل لكم إلى قتل أحد من كل
من هو في بلاد الموحدين وأنظارهم ، ومن هو معهم وداخل في مضمارهم ، وكل
من ترون أنه يستوجب القتل ، ممن يريد المكر في أمر الله والختل ، فعرفونا بجلية (1)
أمره وتصحيحه ، وخاطبونا بميز أمره ومشروحه ، لينفذ فيه من قبلنا ما يوجبه الحق
ويقتضيه ، ونغضي في عقابه ما ينفذه الشرع ويمضيه ، فإياكم من مخالفة أمرنا هذا
في قتل أحد ممن * ذكرناه كائنا من كان ، كبر ذنبه عندكم أو هان ، ولتبادروا إلى
إعلامنا بذنبه بعد سجنه وتثقيفه لتقابله بما نراه ، ونجزي الحق فيه مجراه .

وإنه أعلمنا بأن من يرضى من تلك الفواحش بما يرضاه ويستبيحه ، ولا
يبالي أحسن الفعل فعله أم قبيحه ، يبتاع المرأة ويبيعها دون استبراء (2) ، ويعبث في

(1) في الأصل : سحلية .

(2) في الأصل : استتار ، والاستبراء هو التلبث على المرأة حتى تمضي وبأى . عدم حملها .

والله تعالى وإمام على الله تعالى واجترأ ، ولا يتحفظ من مواجهة الزنا المحض ،
وهالكة الواجب مع القرض ، وإن في ذلك من أطراح ما أمر الله تعالى به من اتباع
الطهر ، وإفساد الأصل من السنة والفرع ، ما لا يحل ⁽¹⁾ سماعه ، ولا يستقر
بفس مؤمنة استطلاع . فلا سبيل لأحد ممن هنالك أن يبتاع شيئاً ممنهن أو يبيع ،
حتى يستأذن الحام لأمره منكم والشيخ لثلا يذهب الحق في ذلك ويضيع .
ولقدموا للنظر في أسواقهن من ترضون دينه وأمانته ، وتحققون ثقته وصيانتة .
فمن أبيع له البيع والابتيع أحضره الأمين المذكور ليرتفع بشهادته الشك والنزاع ،
ولمهرى السنة مجراها ويمثل الأمر المطاع . وكذلك فليتوقفوا عن بيع النساء في جميع
من تعلمونه منهن في تلك الأرجاء ، حتى تخاطبونا بأصل أمرهن وكيفيته ، وتعلمونا
من ذلك مجليته . لنرسم لكم فيه ما يكون عليه اعتمادكم ، ويجرى إليه اقتصادكم .

والله الله في البحث على الخمر ! وتقديم النظر في أمرها فهو من أهم
الأمر ، فإنها مفتاح الشرور ، ورأس الكبائر والفجور ، وهي رابطة أهل الجرم ،
ومامة « أشنات الظلم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «
« الحمر جماع الإثم ⁽²⁾ » ، فخذوا في طلبها في المواطن المتهممة بشانها ، واجتهدوا في
إزائها وكسر دنانها ، واعمدوا إلى السبب الذي يؤدي إلى التمكن منها فارعوها
والحظوه ، واطرحوا الإغفال لذلك والفظوه ، وقدموا أمناً متخيرين للتطوف على
« مواضع الترتيب ، يكون بالمحافظة على ذلك محل الكاليء الرقيب ، ولا يكن منهم
إلا من يفرق بين الحلال والحرام ويميز ، ويعرف ما يجوز شربه وما لا يجوز ، ومروهم
بالتعهد لمواضع بيع الرُّب واعتصامه وخذوهم بتوقف جدّهم على ذلك

(1) في الأصل : يعمل .

(2) لم نعد هذا الحديث بلفظه في كتب الصحاح المعروفة ، وأقرب ما ورد إليه هو ما أخرجه ابن
ماجه في السنن (327/2) عن أبي الدرداء (رضه) أنه قال : أوصاني خليل (صلعم) لا تشرب الحمر
فإنها مفاسد كل شر ، وعن حبيب بن الأرت عن النبي (صلعم) أنه قال : إياك والحمر ، فإن خطيئتها
لرفع الخطايا كما أن شجرتها تفرع الشجر .

واقْتَصَارُهُ ، فَمَا حُلَّ مِنْهُ أَبَاحُهُ ، وَمَا كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَطْعُوهُ أَصْلًا وَفِرْعًا وَأَرَاقُوهُ .
« الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ (1) » ، وَلَقَضَايَا الشَّرْعِ نِظَامٌ ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
تَعَالَى وَمَلَأْتُكَتَهُ الْكَرَامَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَالْجُرْعَةُ مِنْهُ حَرَامٌ (2) » .

وَإِنْ مِمَّنْ (3) يَسْعَى فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَسَادِ ، وَيَسْتَصْحِبُ الْإِضْرَارَ
بِالْمُسْلِمِينَ فِي الْإِصْدَارِ (4) وَالْإِيرَادِ ، هَؤُلَاءِ الرَّاقِصِينَ (5) الَّذِينَ يَرُدُّونَ بِالْكَتَبِ
وَيَصْدُرُونَ ، وَيَمْشُونَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ وَيَنْفِرُونَ ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ لَنَا أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ النَّاسَ
بِالنَّظَرِ فِي كَلْفِهِمْ ، وَيَلْزَمُونَهُمْ فِي زَادِهِمْ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ وَعَلْفِهِمْ ، وَهَذَا فِعْلٌ كُلِّ
فِرْقَةٍ مِنْهُمْ فِي سِيرَتِهِ ، وَسُوءِ رَأْيِهِمْ (6) بِذَلِكَ * فِي الْمَخَازِنِ وَغَيْرِهَا ؛ وَإِنْ مِنْ جُمْلَةٍ
مَا حَكَمِي عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَتَأَلَّفُونَ فِي الطَّرِيقِ جُمُوعًا ، وَيَحْلُونَ بِأَفْنِيَةِ النَّاسِ حُلُولًا شَنِيعًا ،
يَكْلِفُونَهُمْ مَوْنَاتِهِمْ تَكْلِيفَ الْمَجْرَمِ (7) ، وَيَتَحَكَّمُونَ عَلَيْهِمْ بِحُكْمِ الْمَغْرَمِ ، حَتَّى إِنَّهُمْ
لَا يَرْضَوْنَ فِي ضِيَافَتِهِمْ إِلَّا بِأَسْمَنِ الْجَزْرِ ، وَنَاهِيكُمْ بِهَذَا الْاجْتِرَاءِ الْعَظِيمِ الضَّرَرَ ؛
فَسَارِعُوا - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَى حَسْمِ (8) هَذِهِ الْعِلَّةِ مِنْ أَصْلِهَا ، وَبَادِرُوا إِلَى
قَطْعِ تِلْكَ الْعَادَةِ الذَّمِيمَةِ وَفَصْلِهَا (9) ، وَتَخَيَّرُوا لِرِسَائِلِكُمْ أَرْسَالًا ، وَانْتَقُوا مِنْ أَهْلِ

(1) أورد هذا الحديث البخاري (الصحيح 20/1) ؛ ومسلم (50/5) ؛ وابن ماجه (476/2 - 477) ؛ وأبو داود (82/2 - 83) ؛ والنسائي (242/7 - 243) .

(2) الذي جاء في كتب الصحاح « ما أسكر كثيره فقليله حرام » (انظر فيض القدير للمناوي 420/5 ؛ وسنن ابن ماجه 332/2 ؛ وسنن النسائي 300/8 - 301 ؛ وسنن أبي داود 130/2) ؛ وقد جاء في فيض القدير (نفس الموضع المشار إليه قبل) وفي سنن أبي داود كذلك حديث آخر أشبه بهذا ، وهو « ما أسكر منه الفرق فملاء الكف منه حرام » (والفرق بفتحين مكيا ل يسع ستة عشر رطلا) .

(3) في الأصل : من .

(4) في الأصل : الإصرار .

(5) الراقص مثل الرقاص التي سبق التعليق عليها ، والمقصود هو حامل البريد . ص 163

(6) في الأصل : وسوء وأتهم .

(7) في الأصل : المجترم .

(8) في الأصل : تحسيم ، ووضع الناسخ عليها علامة شك ، فلعلها لا أثبتنا .

(9) في الأصل : وفضلها .

المال ، على ذلك والثقة ⁽¹⁾ رجالا ، وادفعوا إليهم زاداً يقوم بهم في الجوع
والانصراف ، ويقطع شأنتهم عن التكليف والإلحاف ، وارسموا لهم أياما معروفة
العدد ، معلومة الأمد ، لينتهوا بها إلى مواقف رسائلهم ، ويوزعوها على مسافات
مراحلهم ، وحذروهم من تكليف أحد من الناس ولو مثقال ذرة ، وأوعدوا من
تسبب منهم إلى مسلم بمساءة أو مضرة ، والله تعالى المستعان على دفع أسباب
الجهور ، ونستعيز به سبحانه من الحور ⁽²⁾ .

وكذلك ذكر لنا وفقكم الله تعالى من التحكم في الأموال ، وقلة
المبالاة بالتفريق بين الحرام منها والحلال ، أن أولئك الذين ذكرت خدعهم ،
ووصفت غرضهم الذميمة ومنزعهم ، يفعلون في أموال الناس ما تقدم ذكره ،
وشرح مكره ، وتمتد أيديهم إلى المخازن هنالك فيعيثون ⁽³⁾ فيها ويتحكمون ،
ويجروون في التعدي عليها ملء شأوهم « وأنفسهم يظلمون ، فاتقوا الله تعالى فيها ، ¹²
فإنها أمواله المخزونة في أرضه ، وبادروا إلى كف كل معتد وقبضه ، ولا سبيل لكم
أن تنفذوا منها قليلا ولا كثيرا إلا بعد استئذاننا ⁽⁴⁾ وتعريفنا بالديق والجليل مما
هنالك ، وهذا أمر منا لكم ولكل من وقف على كتابنا هذا من الطلبة والشيوخ
والموحدين كافة ، أمراً دائما لازما ، سنته بالاستمرار مستظلة ، وصحته بفضل
الله لا تدخلها تعلقة .

وقد خاطبنا بمثل ما خاطبناكم به جميع الطلبة والموحدين وكافة البلاد التي هي
بالدعوة المهدية معمورة ، وبكلمة الإيمان مشرقة ⁽⁵⁾ منيرة ، فأمرنا بجميع فصول

(1) في الأصل : وثاقة .

(2) في الأصل : الجور ؛ والجور هو النقصان ، وفي هذه العبارة إشارة إلى الحديث النبوي الشريف ،
« نعوذ بالله من الجور بعد الكور » أي من النقصان بعد الزيادة أو من فساد أمورنا بعد صلاحها .

(3) في الأصل : فيعيثون .

(4) في الأصل : استئذاننا .

(5) في الأصل : مشرقة .

كتابنا هذا إليكم ولسواكم شامل ، وفي كافة أقطار الموحدين نافذ عامل ، فمن خالفه بوجه من وجوه الخلاف فقد تبين عناده ، وساء في العاجل والآجل مآله ⁽¹⁾ ومعهاده ، ومن لم يمثله بواجب الامتثال ، ويكف يده عما رسمناه في كافة الأحوال ، فقد تعرض لأشد العقاب وأوحاه ⁽²⁾ ، واستقبل من ارتكاب النهي ما يصده الانتقام به عن سوء منحاه ، فاستصحبوا حدنا هذا استصحبابا مؤبدا ، واتخذوه في كافة أحوالكم مستندا ومعتمدا ، وعلى كل من إلى نظركم من أهل تلك البلاد المنتظمة في سلك التوحيد ، الآخذة بالمذهب الرشيد ، عون الأمير - أيده الله تعالى - على بسط * العدل ، وإفاضته على الكل ، ورفع لعبء ثقل ⁽³⁾ وكَل : أن يسلكوا في جميع تصرفاتهم سبيل الاستقامة ، ويستمروا على استعمال الحقائق والمواصلة على ذلك والاستدامة . ويتجافوا عن مواقع الظلم فالظلم ظلمات يوم القيامة ، وينقادوا ⁽⁴⁾ للواجبات بداراً إليها وإسراعا ، ويكونوا ⁽⁵⁾ في التساعد على الصلاح كالنفس الواحدة تألفا واجتماعا .

ولما كان هذا الأمر عندنا - وفقكم الله تعالى - أهم أمر وأوجبه ، وأحق ما أدناه الحق وقربه ، وكان اهتمامنا به قد جعله على كل حالة مقدما ، وأنفذه بأمر الله تعالى إنفاذا ملتزما ، رأينا أن نجعل في كتابنا هذا علامة بخط يدنا ، وها هي قد رفعت الإشكال رفعا بيّنا ، وأرتكم فرط اهتبالنا حقا مُبيّنا ، فبادروا إلى تلقيها بالامتثال والمصارعة ، وصلوا ابتداء شأنها بالمواصلة له والمتابعة ، وأحضروا للاجتماع على هذا الكتاب جميع من في تلكم البلاد من الطلبة والعمال ، وكافة المقدمين

(1) في الأصل : قاله .

(2) أي أسرعه .

(3) في الأصل : ورفع العبد المثل وكل ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، والكل (بفتح الكاف) هو النقل من كل ما يتكلف ، ويطلق على العيال .

(4) في الأصل : وينقاد .

(5) في الأصل : ويكون .

الأعمال ، ولا تقاموا أمرا من الأمور على إنفاذ جميع ما تضمنه ، والاعتمال بكل ما شرحه ، ولا تشتغلوا يشغل قبل الاشتغال بمعانيه ، وبما أمركم به على قواعده ومبادئه ، ومخاطبتنا بما يكون منكم في تلقيه ، واتباع ما ينيه إليكم ويلقيه ، واقرأوه على الكافة أعالى المنابر ، واستحضروا له وفود القبائل من البوادي والحوضر ، وأسمعوا به إفصاحا وإعلانا ، وأشربوه قلوب الناس جماعات ووجدانا ، وأحسنوا لإيصال أغراضه ⁽¹⁾ إليهم ، فإن الله تعالى يجزي الاحسان إحسانا .

فإذا تفرغتم من قراءته على الجماهير « وبلغتم حجتة بواجب التبليغ والتقيرير ، فاكتبوا منه نسخا إلى كل قبيلة من قبائل ذلك النظر ، وكل كورة من تلك الكور ، وأكدوا عليهم فيما أكدنا عليكم فيه ، من تقديم العمل فيه على كل الوجوه ، وامثال مضمته على ما يحبه الله تعالى ويرتضيه ، وحذروهم من التعرض لمخالفته فلا عذر لمن لا يقصده على الفور ويأتيه ، ونحن بمرصد التطلع والسمع لما يكون منكم ومنهم ، لنقابل بالواجب ما يصدر عنكم وعنهم .

وقد علم الله تعالى أن غرضنا بجميع المسلمين إشفاق وحنان ، وجانبنا لهم دعة مستمرة وأمان ، ولدينا من التراؤف بهم والرفق بجانبهم شان لا يقاربه ⁽²⁾ من فضل الله تعالى شان ، وقد علمتم ذلك منا وخبرتموه ، وجريتموه على مر الزمان وصبرتموه ⁽³⁾ ، فلتتلقوا كل من استرعاكم الله أمره بكل طلاقة ويسر ، ولتنشروا ⁽⁴⁾ عليهم جناح الرحمة أكمل نشر ، ولتعلموا - رعاكم الله - أن من شملته كلمة التوحيد ، في العهد القريب أو البعيد ، في مضممار واحد من العدل محمولون ، وأنكم عن كل من هنالك مسئولون ، ولفظ الموحيدين بيننا وبينهم جميعا ، والحق يسلك بينهم من التناصف مسلكا مشروعا ، وقد ألفت الكلمة بينهم ، فبعضهم

(1) في الأصل : إعراضه .

(2) في الأصل : يفارقه .

(3) كذا في الأصل ، وربما كانت « وسيرتموه » .

(4) في الأصل : ولينشروا .

لبعض في الخير أسوة ، وقد قال الله تعالى « إنما المؤمنون إخوة »⁽¹⁾ ، فاعتقدوا فيهم هذا الاعتقاد الجميل قصداً « إلى مرضاة الله تعالى وإتيانا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، وأحسنوا بهم رعاًم الله - ظنا ، وعودوهم الخير لفظاً ومعنى ، وتخلقوا معهم بمحاسن الأخلاق ، وقولوا للناس حسنى ، واستألفوا الناس بالنبي هي أحسن ، وايدلوا لهم من المساعدة في ذات الله تعالى غاية ما يتمكن ، وانهجوا لهم من المبرات منها ما يبدو به مضمركم الجميل ويتبين ، وسيروا بصالح عملكم وبشروا ، ويسروا - كما قال عليه الصلاة والسلام - ولا تعسروا⁽²⁾ ، وسكنوا ولا تنفروا .

واعلموا أن السعي في هذا الغرض الواجب ، والاعتمال في رفع ذلك المانع الحاجب ، لا يتأتى لكم جملة واحدة ، حتى تكون نفوسكم متآلفة عليه متساعدة ، وتعاونوا على مرضاة الله تعالى تعاوناً يجمع في الصلاح آراءكم ، ويضمن النجح التام لكم ولمن وراءكم ، فعليكم بالمظاهرة ، والمناصرة والمؤازرة ، فهي سواعد السعد ، قواعد الود ، وشيم الكرام الحافظين للعهد ، وبها يعمر محل الرضى ونديه ، وبه أوصى الله تعالى ورسوله ومهديه .

وقد نصحنكم لكم فاقبلوها نصيحة قصدت في ذات الله تعالى قصدها ، وذكرناكم بهذه التذكرة فاستقبلوا رشدنا ، ونهناكم تنبيهاً * بالغا ، وللحال ما بعدها ، جعلنا الله تعالى وإياكم ممن امتثل أمره المطاع بخالص نيته ، وأفرغ الرحمة على قالب سجيته ، وحفظ ما استرعاه الله تعالى ، فكل راع مسئول عن رعيته .

وكان مما بعثنا - وفقكم الله تعالى - على تنبيهكم وإذكاركم ، وإيقاظكم للنظر في تلك المصالح وإشعاركم ، ما ألفيناه بحضرة مراکش - حرسها الله - من بعض تلك الأنواع ، مما أحدثه فيها بعض أهل الابتداع ، كنوع القبالة ، وما يجري معراها في وجوب الإزالة والإحالة ، فإننا كنا لا نبحث عن ذلك ، لتخلينا أنه

(1) سورة الحجرات ، آية رقم 10 .

(2) تمام الحديث « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » (انظر هدى القدير للمناوي 361/6) .

لا يعرف أحد أن يسلط في هذا الأمر الذي أظهره الله تعالى تلك المسالك ، فلما كان الحث مما يجب ، وزال ⁽¹⁾ عن وجه المشاهدة ما كان يعتجب ، اطلعنا على ذلك فأنكرنا ما كان نكيرا ، وأزلنا بعون الله تعالى ما كان محذورا بالشرع محظورا ، حتى تظهر ثوب الأمن من دنسه ، وتجلي الوجه الخالص عن ملتبسه ، واقتبس نور الحق من مقتبسه ، وجرت الأمور على ما عهدناها عليه من الاعتدال والقوام ، بحكم ما أحكمه الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه في القضايا والأحكام ، وإذا كان الافتيات في شيء من هذا ونحن على اقتراب ، فكيف الأمر فيمن هو في حكم « بُعِدَ عنا واغتراب ؟ » !

فانظروا هذا - وفقكم الله تعالى - نظر أولي الأبواب . ولتسعوا جهدكم في رفع ذلك العمل المستراب ، ولتذهبوا إلى إظهار أمر الله سبحانه على موجب الكتاب .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

* * *

(1) في الأصل : وأزال .

مدة خلافته رضي الله تعالى عنه :

بويح رضي الله تعالى عنه إثر موت الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة بيعة خاصة ، وأعلن بيعته حين أعلن بموت الإمام المهدي رضي الله تعالى عنهما عام تسعة وعشرين وخمسمائة ⁽¹⁾ ؛ وكانت مدة خلافته رضي الله تعالى عنه اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر غير ستة أيام .

* * *

(1) هكذا ذكر ابن القطان ، وأكد ذلك أيضا ابن عذارى في البيان المغرب (312/1) ، ويقول أويشي إن ابن الأثير يتفق معهما أيضا على هذا التاريخ ولو أننا لم نجد في « الكامل » نصا صريحا على ذلك ، أما البيهقي فإنه يجعل البيعة العامة لعبد المؤمن في سنة 527 (أخبار المهدي ص 133) وكذلك ابن صاحب الصلاة (فيما ينقل عنه ابن أبي زرع في الروض ص 184) وابن خلدون والسيلاوي اللذان يذكران أن أصحاب ابن تومرت المقرين إليه كنتمو وفاته ثلاث سنوات مما يفهم منه أن البيعة العامة لعبد المؤمن كانت في سنة 527 (انظر العبر 229/6 والاستقصا 100/2) ؛ غير أن ابن أبي زرع والسيلاوي يعودان فيجعلان البيعة في يوم الجمعة 20 من ربيع الأول سنة 526 أي بعد وفاة المهدي بستين على الرغم مما أشرنا إليه من نقلهما عن ابن صاحب الصلاة كون هذه البيعة في سنة 527 (الروض ص 186) ، وقد ذكر أويشي أن هذا التاريخ الأخير خاطيء إذ أن يوم 20 ربيع الأول المذكور لم يكن يوم جمعة وإنما يوم أربعاء ، فضلا عن أن ابن أبي زرع كثير الغلط غير جدير بالثقة في كل ما يقول ؛ ويرى أويشي أخيرا أن ما ورد هنا إنما هو على الأرجح تحريف من ناسخ المخطوط لسهولة الخلط بين رقمي « السبعة » و « التسعة » ، على أننا نستبعد هذا الرأي ، إذ أننا سنرى ابن القطان في أخبار سنة 529 يعود إلى تأكيد ما ذكره هنا من أن الإعلان ببيعة عبد المؤمن تم في هذه السنة (انظر مناقشة أويشي للآراء المختلفة حول هذه الناحية في « تاريخ الدولة الموحدية » ص 109) .

عمره رضى الله تعالى عنه :

قبل ثلاث وستون سنة ، وقيل أربع وستون سنة ⁽¹⁾

وقت وفاته ومدفنه رضى الله تعالى عنه :

توفي قبل الفجر يوم الثلاثاء ⁽²⁾ الثامن من شهر جمادى الآخرة عام ثمانية

وخمسين وخمسمائة ، ⁽¹⁾ ونقل رضى الله تعالى عنه إلى تينمل شرفها الله تعالى

يوم الجمعة غرة شعبان المكرم عام ثمانية وخمسين وخمسمائة ،

(1) نقل ابن زرع الرايين وأسند الأول إلى ابن الحشاش ، والثاني إلى ابن صاحب الصلاة (الروض ص 202) ، وأما عبد الواحد المراكشي فقال إن عبد المؤمن ولد سنة 265 (المعجب ص 197) ، وقال ابن خلكان إنه ولد سنة 500 وقيل إنها كانت سنة 490 (الوفيات 239/3) ، أما ابن عذارى فإنه نقل عن أبي زكريا يحيى بن وسنار (في الأصل : بن سنان) أن عمره كان ثلاثا وستين سنة ، وقيل : أربعاً وسبعين (البيان المغرب - الطبعة الثانية - ص 55) .

(2) في الأصل : الثلاثة .

(3) يتفق كل المترجمين لعبد المؤمن على أنه توفي في شهر جمادى الآخرة سنة 558 ، غير أنهم يختلفون في تحديد اليوم ، أما البيهقي فإنه يتفق مع ابن القطان في أن ذلك كان في يوم الثلاثاء الثامن من هذا الشهر (أخبار المهدي ص 83) ، وكذلك ابن أبي زرع في أحد قولي (الروض ص 202) والسلاوي (الاستقصا 139) ، ولو أن هذين المؤرخين يجعلان الثامن من جمادى الآخرة موافقاً ليوم جمعة لا ثلاثاء ، وأما ابن عذارى فإنه يحدد وفاة عبد المؤمن بليلة الخميس العاشر من جمادى الآخرة (البيان المغرب ص 55) ، ويوافق ابن أبي زرع في قول آخر له على العاشر من هذا الشهر إلا أنه يجعله يوم ثلاثاء (202) أما عبد الواحد المراكشي فإنه ينفرد بإيراد تاريخ السابع والعشرين من الشهر المذكور (المعجب ص 106) وأقوال المؤرخين المشاركة مضطربة فابن خلكان والنويري يجعلان ذلك في العشر الأخير أو الآخر (13) من ذلك الشهر (الوفيات 239/3 ؛ ونهاية الأرب ص 214) ؛ ويحدده ابن الأثير بالعشرين من جمادى الآخرة (الكامل 81/9) . وقد رجح أويشي في بحثه لهذا التاريخ ما استقر عليه ابن القطان والبيهقي أي الثامن من جمادى الآخرة الموافق ليوم الثلاثاء 14 مايو سنة 1163 م . (انظر تاريخ الدولة الموحدية 209/1) .

« أولاده الكرام رضى الله تعالى عنهم أجمعين : (1) »

١٥٥ ب ١

فمنهم سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو يعقوب رضى الله تعالى عنه ، وشقيقه السيد الأسني أبو حفص [عمر] ، (2) والسادات المكرمون أبو عبد الله ، (3) وأبو محمد عبد الله صاحب بجاية ، (4) وأبو سعيد عثمان ، (5)

(1) عن أبناء عبد المؤمن واختلاف المؤرخين حول عددهم وأسمائهم انظر الحلل الموشية (ص 142) ، وابن أبي زرع (الروض ص 202 - 203) ، وعبد الواحد (المعجب ص 266) ، والزر كشي : تاريخ الدولتين ص 9 ، وابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة 222 - 223 ؛ وابن عذارى (البيان ص 56) . وانظر كذلك الملحق الثاني من الملاحق التي ذيل بها أويني كتابه (613/2 - 624) .

(2) في الأصل بياض بقدر كلمة ، وقد أضفناها اعتمادا على مختلف المراجع الموحدة ، وأبو حفص عمر . هذا هو شقيق يوسف بن عبد المؤمن كما ذكر المؤلف ، وأمهما هي بنت أبي عمران موسى بن سليمان الساملي الكفيف أحد أهل الخمسين (انظر أخبار المهدي ص 34 ، 116 ؛ وروض القرطاس 205 ؛ والمعجب ص 308) ؛ وقد تولى أبو حفص الحجابة لآخيه يوسف كما قاد له الجيوش وتوفي سنة 575 (انظر أويني : تاريخ 613/2 - 614) .

(3) هو محمد أكبر أبناء عبد المؤمن وولي عهده له في حياته ، وقد تولى الخلافة بعد موت أبيه خمسة وأربعين يوما . ثم خلع عن العرش وبويع بعده أبو يعقوب يوسف أخوه (انظر في هذه الأحداث : أويني : تاريخ 219/1 - 223) .

(4) ولأه أبوه عبد المؤمن على بجاية سنة 551 في جملة من ولأه من أبنائه على البلاد ، ولم تكن سنة تجاوز حينئذ خمس عشرة أو ست عشرة سنة ، فلما بويع أخوه يوسف بن عبد المؤمن رفض الاعتراف بخلافته ، واشترك في العصيان مع أخيه أبي سعيد عثمان عامل غرناطة ، ولكنه لم يلبث أن أعطى عهده والطاعة بعد أن رأى أخاه المذكور يعلن الولاء ويكف عن الثورة ، فقبل منه أبو يعقوب ، وتوجه عبد الله إلى مراكش ليصاح أخاه ، ولكنه مات في الطريق مسموما (انظر أويني : 620/2 - 621) .

(5) أضاف ابن أبي زرع إلى اسمه « صاحب غرناطة » (203) بينما ذكر قبل ذلك أن أباه ولأه سبعة وأربعة (197) ، وقد ولي الجهتين بالفعل في سنة 549 في حياة أبيه مضافا إليها مالقة والجزيرة الخضراء (البيان ص 116 والمعجب ص 293) ، وقد أشرنا إلى رفضه الاعتراف بخلافته أخيه يوسف ثم إفاءته والطاعة سنة 560 ، وقد كان له نشاط عسكري كبير في الأندلس ، وكانت وفاته في سنة 571 (انظر أويني 618/2 - 619) .

وأبو علي الحسن ، ⁽¹⁾ وشقيقهما أبو الربيع سليمان ، ⁽²⁾ وأبو زكريا يحيى ، ⁽³⁾
وأبو ابراهيم اسماعيل ، ⁽⁴⁾ وأبو إسحاق ابراهيم ، ⁽⁵⁾ وأبو يوسف يعقوب ، ⁽⁶⁾

(1) ولي عمل سبعة لأخيه يوسف ، وفي سنة 564 عاد إلى مراكش ، ثم ولي في سنة 567 قيادة
مبنى سماره في غرزة وبدة بالأندلس ، وفي سنة 570 ولي عمل إشبيلية واشترك بعد ذلك في سنة 572 مع
أخيه أبي الحسن علي في مهاجمة طليطرة ، وتوفي سنة 574 وهو عامل على إشبيلية (نفس المرجع 620/2) .

(2) عين عاملا على تادالا في حياة أبيه عبد المؤمن ، وفي سنة 580 توجه إلى مراكش لمبايعة ابن أخيه
يعقوب المنصور ثم اشترك في قتال بني غانية ببجاية فلهقت به الهزيمة ولجأ إلى تلمسان ، ثم عاد بعد ذلك
إلى عمل تادالا حيث حاول الثورة على يعقوب المنصور ، ولكنه لم يلبث أن هزم وأسر ، ثم قتل في الرباط
سنة 584 (نفس المرجع 622/2) .

(3) عين عاملا على نجاية سنة 561 خلفا لأخيه عبد الله المذكور قبل ذلك ، وظل في هذا المنصب
حتى سنة 565 حين توجه قائداً على عرب إفريقية إلى الأندلس مع أخيه أمير المؤمنين يوسف ، واشترك بعد
ذلك في حملة وبدة قائداً لأهل كومية ، وكانت وفاته سنة 571 وهو مرافق لأخيه يوسف عند عودته إلى
مراكش (نفس المرجع 620/2) .

(4) أمه بنت ماكسن بن المعز صاحب مليلة ، ولي عمل إشبيلية سنة 561 خلفا للحافظ أبي عبد الله
ابن إسماعيل إبيح ، وفي سنة 563 تولى إرسال بيعة أهل إشبيلية إلى أخيه أمير المؤمنين يوسف ، وفي السنة
التالية تلقى طاعة ابن هشك للخليفة الموحد ، ثم رافقه إلى غرزة وبدة قائداً على عسكر جنفيسة ، وفي
سنة 568 توجه هو والشيخ أبو حفص عمر إيتي إلى قتال القومس النصراني المعروف باسم « اليبوج
El Giboso » (الأحذب) فقتلاه وهزما عسكره . ولا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد (نفس
المرجع 620/2) .

(5) ولي قرطبة لأخيه أمير المؤمنين يوسف سنة 563 ، وفي سنة 564 استدعى إلى مراكش ، وفي
سنة 567 كان على رأس قبيلة جدميرة في حملة وبدة ، ثم ولي عمل إشبيلية في سنة 576 ، وقام في سنة 578
باستعادة مدينة شنتفيلة من أيدي النصارى وعزل بعد ذلك عن عمل إشبيلية ، وفي سنة 580 اشترك في
حملة شنترين ، ويبدو أنه صرح بالسخط على ابن أخيه يعقوب المنصور حينما بوع له بالخلافة في نفس هاه
السنة مما أدى إلى نفيه إلى تلمسان . وقد قتل في سنة 583 فتك به أهل تلمسان على ما يبدو (نفس المرجع
621/2 - 622) .

(6) لا يعرف من أخباره إلا أنه كان عاملا على مرسية سنة 579 ، وأن أخاه يوسف امتنع عن لقائه
حينما ذهب لزيارته في مراكش (نفس المرجع 623/2) .

وأبو الحسن علي ، ⁽¹⁾ وأبو زيد عبد الرحمن ، ⁽²⁾ وأبو سليمان داود ، ⁽³⁾ وأبو موسى عيسى ، ⁽⁴⁾ وأبو العباس أحمد ، ⁽⁵⁾ رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

بناته رضي الله تعالى عنه وعنهن :

الحرتان المكرمتان صفية وعائشة ⁽⁶⁾ .

وزراؤه رضي الله تعالى عنه :

السيد الأعلى أبو حفص ⁽⁷⁾ ابنه ⁽⁸⁾ رضي الله تعالى عنهما ، وأبو جعفر

(1) في سنة 551 ولاه أبوه عبد المؤمن على فاس ، ثم استخلفه على مراكش عندما قام بغزوته إلى إفريقية ، وفي سنة 558 قام بجمل رفات والده إلى تينملل لدفنها هناك ، وفي سنة 571 تولى عمل قرطبة ثم شارك في حملة وبلدة ومهاجمة طليطيرة بالأندلس ، وعاد بعد ذلك في سنة 576 إلى المغرب ، فولاه أخوه يوسف ، على إفريقية ، ولكنه وقع أسيراً في أيدي العرب ، وفي سنة 580 وكل إليه عمل تلمسان (نفس المرجع 619/2 - 620) .

(2) عين عاملاً على السوس موطن أمه - بصفة رمزية على ما يظهر لصغر سنه عندئذ (أخبار الماهدين ص 116 - 117) ، وفي سنة 594 تولى عمل إشبيلية إلى أن عزله عنها محمد الناصر بن يعقوب المصور عند توليه الخلافة سنة 595 ، ووجه به الخليفة بعد ذلك إلى سجلماسة حتى سنة 607 حينما أعاده إلى الأندلس عاملاً على جيان (نفس المرجع 623/2) .

(3) ذكره كذلك ابن أبي زرع في الروض (203) وابن عذارى في البيان (ص 56) ، ولكننا لم نعلم على شيء من أخباره .

(4) ولي لأخيه أمير المؤمنين يوسف القيروان سنة 576 بعد فتح قفصة ، وفي سنة 581 وقع في بجاية أسيراً في يد ابن غانية ، بينما كان يزعم الرحلة إلى مراكش لتبثه ابن أخيه يعقوب بالخلافة ، ثم أطلق سراحه في السنة التالية حينما استرد الموحدون المدينة ، ثم عين بعد ذلك عاملاً على إشبيلية في سنة 601 . وقد كان حياً في سنة 621 (نفس المرجع 622/2) .

(5) لا نعرف من أخباره إلا أنه كان عاملاً على سجلماسة حتى وفاته سنة 574 (نفس المرجع 623/2) .

(6) ذكرهما أيضاً ابن أبي زرع (الروض 203) وابن عذارى (البيان ص 56) .

(7) هو أخوه عمر المذكور قبل ذلك .

(8) في الأصل : ... وابنه : وهو تحريف من الناسخ يوقع في الخطأ إذ يوهم أن ابناً لأبي حفص عمر بن عبد المؤمن قد ولي الوزارة لحده ، وهو أمر ليس هناك ما يؤيده .

أحمد بن عطية ، ⁽¹⁾ وأبو محمد عطية ، ⁽²⁾ ، وأبو محمد عبد السلام بن محمد ، ⁽³⁾ وأبو العلاء « إدريس بن إجماع ، وكان يقعد بين يدي » ⁽⁴⁾ السيد أبي حفص . | 66 أ

* * *

(1) في الأصل : وأبو جعفر وأحمد بن عطية ، وقد سبق أن عرفنا بالوزير ابن عطية ومطابق ترجمته (انظر ص 178 حاشية رقم 1) .

(2) أبو محمد أو أبو عقيل عطية بن عطية أخو أبي جعفر المذكور قبيلة ، وكان مثله كاتباً ووزيراً لعبد المؤمن حتى نكحها وقتلها في أواخر سنة 553 (انظر المقرئ : نفح الطيب 183/5 - 186 ؛ السلاوي : الاستقصا 129/2) وقد نشر ليفي بروفنسال عدة رسائل من إنشائه في مجموع الرسائل الموحدية (ص 22 - 26 و ص 71 - 93) . وانظر كذلك بحث الأستاذ محمد المنوني : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ص 166 .

(3) عبد السلام بن محمد الكومي نسبة إلى كومية قبيلة عبد المؤمن بن علي ، استوزره عبد المؤمن بعد إيقاعه بأبي جعفر ابن عطية ، وذلك في شوال سنة 553 عند خروج عبد المؤمن إلى غزوة المهديّة ، ويقول ابن أبي زرع إن والد عبد المؤمن كان قد تزوج أم عبد السلام هذا ثم طلقها . هذا ولم يستمر عبد السلام الكومي طويلاً في منصبه إذ أخذ عليه الاستبداد بعمله والاستئثار بالسلطة فضلاً عما اتهم به من الغلول في غنائم قابس وشكايات أهل الأندلس من العمال الذين وجههم إليهم ثم لما نسبته إلى أبناء عبد المؤمن من شرب الخمر وغير ذلك من القبائح كذباً وبهتاناً ، وأخيراً قبض عليه عبد المؤمن في أثناء حملته التي دخل فيها تلمسان سنة 555 واحتال في قتله بأن سمّه في قدرة لبن (انظر المقرئ : نفح الطيب 183/5 ؛ ابن أبي زرع ص 196 ، 200 ؛ ابن عذارى ؛ البيان ص 57 ، 61 ، 66 - 68 ؛ ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص 136 ، 173 - 181 ؛ ابن الأبار : الحلة السيرة 237/2 - 239 ؛ وأويشي : تاريخ 192 - 193) .

(4) أضفنا هذه الزيادة نقلاً عن ابن عذارى (البيان ص 80) وابن أبي زرع (الروض 205 - 206) ، وأبو العلاء إدريس بن ابراهيم بن جامع كان من كبار رجال الدولة الموحدية ، وأبوه ابراهيم بن جامع كان أصله من طليطلة بالأندلس ونشأ بأساحل شريش ثم انتقل إلى العدوّة واتصل بابن تومرت وأصبح من جملة أصحابه (أهل النار) ، وكان من أبنائه إدريس المذكور الذي ظل وزيراً لعبد المؤمن حتى وفاته ثم لابنه يوسف من بعده حتى سخط عليه هذا وقبض عليه واستصفى أمواله في سنة 577 (انظر ابن عذارى : البيان ص 114 ، 118 ، 132 ، 139 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 316 ، 390 ؛ السلاوي : الاستقصا 105/2) .

قضائه رضي الله تعالى عنه .

أبو عمران موسى صهره ⁽¹⁾ من تينملل ، ⁽²⁾ وحجاج بن يوسف . ⁽³⁾

كتابه رضي الله تعالى عنه :

أبو جعفر ابن عطية ، أو محمد عبد الله بن جبل ⁽⁴⁾ عطية بن عطية ⁽⁵⁾ ،
ميمون الهواري ⁽⁶⁾ ، أبو الحسن ابن عياش ⁽⁷⁾ ، أبو علي الأشيري ⁽⁸⁾ ، أبو القاسم

(1) في الأصل : صهره .

(2) هو أبو عمران موسى بن سليمان الكفيف ، وقد مر ذكره في نظم الجمان عند إيراد أسماء أهل
مسين من أصحاب ابن تومرت ، كما أشار إليه أيضا صاحب كتاب الأنساب (أخبار المهدي ص 34) ،
وكان موسى من شيوخ أهل تينملل وأعيانهم من ضيعة أنسا ، وكان عبد المؤمن يستخلفه على مراكز إذا
خرج منها ، وتزوج من ابنته زينب ، وهي أم ولديه يوسف خليفته على الملك وأبى حفص عمر ، وكانت
مباهرة عبد المؤمن إياه أيام كان تينملل برأى ابن تومرت (المعجب ص 308 ، 421) ويسميه ابن أبي
زرع « موسى بن سهل » (الروض 205) .

(3) هو أبو يوسف حجاج بن يوسف الهواري قاضي الجماعة بمراكش وخطيبها ، وكان من ناحية
نخاية ، وهو من أهل العلم والأدب ، نال دنيا عريضة وأورث عقبه نباحة . وتوفي مكفوف البصر في
الطاعون الذي أصاب المغرب سنة 572 (انظر ترجمته في التكملة لابن الأبار ، رقم 93) .

(4) ذكره ابن صاحب الصلاة (المن بالإمامة ص 150 ، 223 ، 231) وابن عذارى (البيان ص 80)
وابن أبي زرع (الروض 205) في الكلام عن كتاب عبد المؤمن ، وأما عبد الواحد المراكشي فإنه اعتبره
من قضائه ، وقال إنه كان من أهل مدينته وهران من أعمال تلمسان (المعجب ص 269) ، وذكر ابن
صاحب الصلاة أنه كان صاحب أبي الحسن بن الإشبيلي عند الخليفة بخطب بعده إذا خطب . وترجم له
ابن الأبار ، فقال إن أصله من الأندلس وإنه كان فقيها وخطيب مفوها وتوفي بمراكش مستهل ربيع الآخر
سنة 557 ، ودفن بروضة الشيوخ . (التكملة ، الترجمة 1484 ص 527) .

(5) هو أبو عقيل أو أبو محمد ، أخو أبي جعفر ابن عطية الذي سبقت الإشارة إليه من قبل .

(6) أشار إليه ابن صاحب الصلاة وابن عذارى وابن أبي زرع (في المواضع المشار إليها قبل ذلك) ،
ولعله هو الذي ترجم له ابن الأبار في التكملة (رقم 1136) وقال عنه إنه كان من سكان قرطبة وكان
أديبا فقيها ، وإن له شعرا فيما جرى بين ابن رشد وأبي محمد بن أبي جعفر في التفضيل بين الهليلة والحمدلة .

(7) هو أبو الحسن عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك الأندلسي الباهري ، سكن أبوه قرطبة
ونشأ هو بها ، واشتهر أولا بالزهد والورع حتى كان يسمى « الراها » ثم سمع بني حمدين اللاترين =

الطلبة في حضرته السنية رضي الله تعالى عنه :

الخطيب أبو الحسن بن الإشبيلي⁽¹⁾ ، الخطيب أبو محمد ابن جبل⁽²⁾ ،
أبو بكر ابن ميمون القرطبي⁽³⁾ .

* * *

فهذه المقدمة لدولته السعيدة ، وخلافته الحميدة ، التي شرق ضياؤها
وسطع ، وعلا سنائها وارتفع ، وأقرت عين الدين ، وقهرت كل الملحددين ؛ وقرب

(1) تحدث عنه ابن صاحب الصلاة طويلا في كتاب المن بالإمامة (ص 150 ، 228 ، 231 ، 285)
فقال إنه « الفقيه الخطيب شيخ طلبة الحضرة ، هو الخطيب المصقع بين يدي الخليفة (يوسف بن
عبد المؤمن) عند حضور الوفود الناطق بالفصاحة والبلاغة المنظومة نظم العقود .. الخ » ، ويقول ابن
صاحب الصلاة إنه كان عالي المكانة لدى يوسف بن عبد المؤمن ثم لدى ابنه الخليفة يعقوب المنصور وإنه
تزوج من ابنة القاضي ابن الملحوم مما رفع من مرتبته ، والتقى به ابن صاحب الصلاة نفسه بحضرة مراکش
سنة 560 فسمع عليه قراءة عقيدة التوحيد والعقيدة المسماة بالطهارة وكتاب أعز ما يطلب بقراءة الكاتب
أبي عبد الله بن عميرة ، وكان إذا قرأ القارئ المذكور فصلا من تلك الكتب تولى شرح غامضها وتقريب
معانيها على الطلبة ، وتوفي بحضرة مراکش دون أن يحدد ابن صاحب الصلاة تاريخ وفاته على أن ابن الأبار
يزيدنا تعريفاً به فيقول إنه على بن محمد بن خليل ، سكن المرية وأخذ عن أبي القاسم ابن ورد ولازمه
وأثقت علم الأصول وبرع فيها وكان خطيباً مفوهاً ، وأخذ عنه أبو القاسم بن الملحوم وابن صاحب
الصلاة ، وكانت وفاته سنة 567 (التكملة ، كوديرا ، ترجمة 1862) .

(2) هو أبو محمد عبد الله بن جبل الذي سبق أن أشار ابن القطان إليه من بين كتاب عبد المؤمن .
(3) ذكره ابن أبي زرع إلا أنه قال إنه كان من بين قضاة عبد المؤمن ، وأورد بعض أخباره ابن
صاحب الصلاة وقال إنه كان من أساتيد مراکش وصل إلى الحضرة العلية واستوطنها حتى نسي قرطبة
وانتقل إلى الطلبة من كل مكان وكان يتهاجى مع الشاعر اليكبي . (ابن أبي زرع : روض القرطاس 205 ؛
المن بالإمامة ص 226 - 228) وترجم له ابن الأبار فسماه محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس العبدري
كان متقدماً في علم اللسان متصرفاً في سائر الفنون . خرج من بلده قرطبة أيام الفتنة فنزل مراکش وأقرأ
بها العربية والآداب وكان يحضر مجلس عبد المؤمن في جملة العلماء ولكن عبد المؤمن هجره ومنعه من
حضور مجلسه وصرف بنيه عن القراءة عليه بعد أن سمع منه أبياتاً في الغزل فيها إساءة أدب . ومات
بمراكش في 567 عن عمر يناهز التسعين (التكملة ، كوديرا ، ترجمة 751 ، وانظر كذلك بغية الوعاة
للسيوطي 147/1 ، 148) .

الله تعالى بها من نصر الدين ما بعد ، وجلا به عن أبصار المهتدين الرمد ، وشفى
العدل من الظلم بعد ما أشفى ، وأحيا به من مراسم الدين ما كان عفا ، فلاح
الدين ... ما وصلتاً ⁽¹⁾ حده ، متواليا جُدّه متعاليا جُدّه ، فشيّد من الشريعة مباني
عالية ، وأندى بهجته الرفيعة من المكرمات معاني سامية ، فلا ترى « إلا ظلال
عدل ، وإنهال فضل ، وتأنيل مجد ، وإقامة رسم للهداية وحد ، وتمسكا بكتاب
الله تعالى وسنة نبيه ، وهدي صحابته وهدي مهديه ، والدين تشرق بهجته ، وتونق
لمحبه ، والحق يظهر سموه ، والعدل يُقهر عدوه ، والفضل يعلى مناره ، والبذل
نوارد ⁽²⁾ آثاره ، يدعو العفاة لسان للإحسان فصيح ، ويسعهم ميدان للامتنان
فسيح ، يغص بهم الفضاء ويسعهم فناؤه ، ويقضي لهم بنيل الأمانى بشره واعتناؤه ⁽³⁾ ،
فهردون من كوثر كثرة الإحسان عذبا صافيا ، ويتفياون من اليمن والأمان ظلا ⁽⁴⁾ ،
ضافيا ، فالوفود ترجى ⁽⁵⁾ ركائبها ، وتثنى - لو سكتوا - حقائبها ⁽⁶⁾ ، فلا قطعة
من الأرض إلا عمها ظل عدله ، ولا بقعة إلا وساح بأرجائها بحر فضله .

قرنت الدعة بيعته والأمان ، وقرت عين الإسلام وطابت نفس الإيمان ،
وأصبح الحق عالي المعالم ، والدين لا يخشى ظلامه ظالم ، منّا من الله تعالى على
مبيده وإحساننا ، وفضلا عمهم جماعات ووحدانا ، فلا لسان إلا بالحمد والشكر
بالحق ، ولا قلب عدو إلا طائش من المخافة خافق .

(1) في الأصل : مصلة .

(2) في الأصل : توارى ، ولعلها كما أثبتنا أي تتوارد ، وقد تكون أيضا « تواتر » .

(3) في الأصل : واعتناؤه .

(4) في الأصل : ضلا .

(5) في الأصل : ترجى .

(6) في الأصل : حقائبها ، وهو تحريف ، وإنما ضمن المؤلف هنا بيتا من شعر نصيب بن رباح في

مدح الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك :

فما جوا فأتبوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أنت عليك الحقايب

(انظر الأغاني لابي الفرج الاسماني 130/1) .

فأعظم بها خلافة « مهدية ، وبشارة حقق الله [بها] ما في ⁽¹⁾ الوعد النبوي الصادق ، وقسم ⁽²⁾ كل باغ حاسد منافق ، وجعل كلمة الخلافة والإمامة ، والسعادة المستدامة ، باقية لسيدنا ومولانا الخليفة الإمام المؤمن بالله تعالى المرتضى لأمره جل وعلا ، أمير المؤمنين أبي حفص ⁽³⁾ ابن سيدنا ومولانا الأمير الظاهر أبي إبراهيم بن سيدنا ومولانا الخليفتين الإمامين أمير المؤمنين المنتخب من صفوة أنجاله ، السالك مسلكه القيم في كافة أحواله ، أسنى الخلائف قدرا ، وأسماهم ذكرا ، وأقسطهم حكما ، وأوسعهم علما ، ونظم في سمط ملكه كافة المشارق والمغارب ، وأبقاه للإيمان عضباً مرهف ⁽⁴⁾ الغرائن ماضي المضارب ، تركر ⁽⁵⁾ رايته المنصورة في أقصى البسيطة [وترفع] ، ⁽⁶⁾ ويذاد بها من نأوا الحق ويدفع ، وهو سبحانه يديم اتصال هذه الكلمة له ولأعقابه الكرام ، ويمدهم بالنصر العزيز والفتح المستدام بمنه .

* * *

(1) في الأصل : باقي .

(2) في الأصل : وقسم .

(3) هو الخليفة الموحدي الثاني عشر أبو حفص عمر المرتضى بن أبي إبراهيم إسحاق بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، ولي الخلافة سنة 646 ، وتوفي قتيلا سنة 665 . انظر تقديم الكتاب .

(4) في الأصل : مرهف .

(5) في الأصل : تركر .

(6) إضافة يقتضيها ما يجري عليه المؤلف هنا من التزام السجع .

أخبار الأندلس في هذه السنة :

فها ولي الزراجنة تيكلمت ⁽¹⁾ قرطبة : وفيها قتل .

وفيها غزا الحشمي ينتان بن علي ⁽²⁾ القومس غشتون ⁽³⁾ زعيم النصارى فقتل الزعيم ، وحمل رأسه إلى مراکش فطيف به .

وغزا الحشمي تاشفين بن علي بن يوسف صاحب غرناطة حصن

(1) لسنا نعرف عن أوى زيد تيكلمت هذا إلا ما أمدنا به ابن القطان ، وقد سبق أن ذكر لي أما سنة 522 أن عامل المرابطين على إشبيلية أجدادي قد استخلف تيكلمت على قرطبة ، ولهذا فإن من العرب أن يقول هنا إنه ولي قرطبة في هذه السنة ، إلا إذا كان معنى قوله السابق أن استخلافه في سنة 522 لم يكن قد تم بصفة فعلية وإنما كان بصورة مؤقتة .

(2) في الأصل : ينتان بن علي ، والصواب ما ذكرنا ، وهو أبو يعقوب ينتان بن علي بن يوسف بن تاشفين ، أصغر أبناء علي بن يوسف على ما يذكر ، وابن عذارى (البيان - القسم الموحد ص 30) ، والأخبار التي نعرفها عنه قليلة ، ويرجع الفضل فيها إلى الجزء الخاص بالمرابطين من البيان المغرب (ص 81 ، 107) ، ومجمل ما فيه أن ينتان هذا ولي عمل بلنسية في سنة 524 (1130 م .) خلفا لعمد بن يوسف المعروف باسم بدر الذي توفي في هذه السنة ، وفي سنة 527 (1133) نقل إلى إشبيلية فحكمها سنة وستة أشهر من شوال 527 حتى صفر 529 (من أغسطس 1133 حتى نوفمبر - ديسمبر 1134) ، واشترك أثناء حكمه لإشبيلية في الحملة التي قادها أخوه تاشفين إلى عقبة البقر ؛ وقد ذكر اسمه أيضا صاحب كتاب « مفاخر البربر » (ص 72) في قائمة ولادة بلنسية في عهد المرابطين وقال إنه خلف ملها القائد يد بن ورقاء ، إلا أن صاحب المفاخر سماه القائد ينتان بن علي . كذلك أشار ابن عذارى إلى تلك الغزوة التي وجهها ينتان إلى إسبانيا المسيحية (لعلها منطقة قطلونية) والتي هزم فيها القومس غشتون المذكور هنا ، وقد حدد تاريخ ذلك بجمادى الثانية سنة 524 (مايو - يونيو 1130) . انظر مقال أوهني : علي بن يوسف وأعماله بالأندلس ص 106 ، 109 ، 113 .

(3) في الأصل : غشتون ، والصواب ما ذكرنا وهو الذي تذكره المراجع المسيحية باسم الكونت Conde Gaston de Bearne وكان ينتان بن علي قد هزم الجيوش المسيحية التي كان يقودها هذا القومس وأسقف مدينة وشقة Huesca ؛ وهو غير غشتون الذي كان من أصحاب البربر وتاشفين بن علي أثناء قتلها للموحدين بعد إيقاع عبد المؤمن بقبيلة جزولة (انظر عن غشتون هذا البيهقي : أخبار المهدي

١/٦ ب | السكة ^(١) ، فافتتحه « وقتل كل من فيه من النصارى وأسر بعضهم ^(٢) .

أخبار الغرب وما والاها :

فيها ولي الزاجنة عمر بن علي بن يوسف فاس ^(٣) ، فجار في ولايته فعزل ؛
وولى يحيى بن أبي بكر بن تيفلويت ^(٤) ، ابن أخت علي بن يوسف وهو الوالي بتلمسان

(١) غزوة تاشفين لحسن السكة معروفة في المراجع التاريخية الإسلامية والمسيحية على السواء ، وقد فصل الحديث عنها ابن الخطيب في « الإحاطة » (ط . محب الدين الخطيب 282/1 وط . عنان 451/1 - 453) ، إذ قال إن تاشفين بن علي بن يوسف خرج في رمضان سنة 524 بجيش غرناطة ومطوعاتها - وكان عاملا على هذه المنطقة - واتصل به جيش قرطبة ، فتوجه إلى حصن السكة من أعمال طليطلة ، وكان قائده القومس فرند قد ألحق كثيرا من الأذى بالمسلمين ، فافتتح تاشفين الحصن عنوة وقتل من كان به وحمل قائده فرند وجملة من فرسانه أسرى معه إلى غرناطة . وتتفق المراجع المسيحية مع المصادر العربية في ذلك ، إذ ورد في « الحوليات الطليطلية Anales Toledanos » أن تاشفين هاجم هذا الحصن الذي كان النصارى يسمونه Ceca أو Azeca (حصن السكة) وأسر قائده المعروف باسم Tello Fernández (فرند المذكور في الإحاطة) وكان محاربا أصله من شلطانية Saldaña (في شمال إسبانيا) ؛ كذلك جاء في « حوليات ألفونسو السابع Cronica de Alfonso VII » أن تاشفين حطم هذا الحصن حتى سواه بالأرض وأن قتل النصارى في هذه الواقعة قد بلغ عددهم ثلاثمائة ، وأن تاشفين حمل فرند المذكور مع جماعة من أصحابه إلى قرطبة ، ثم أجازهم البحر إلى مراكش للخدمة في حاضرة المرابطين (انظر بحث الأستاذ فرانسيسكو كوديرا عن « أسرة بني تاشفين » في مجموعة « دراسات نقدية حول التاريخ الأندلسي » ، ط . مدريد 1917 ، المجلد التاسع ص 125 - 126) .

(٢) في الأصل : وأسرى .

(٣) سبق لابن القطان أن ذكر ولاية عمر بن علي بن يوسف على فاس في أخبار سنة 523 قائلا إنه خلف عليها أخاه تميم بن علي بن يوسف (انظر ص 155 ، حاشية رقم 2) ، ولا ندري إن كان عمر المذكور هنا هو نفسه المتقدم ذكره أو أنه أخ له كان سميا له ، إذ أننا نعلم مما نص عليه ابن عذارى في البيان (القسم الموحد ص 30) أن علي بن يوسف كان له ولدان يسميان عمر : أحدهما الكبير ، والآخر الصغير .

(٤) هو أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن ابراهيم المسوفي ، وأبوه أبو بكر بن ابراهيم هو المعروف بابن تيفلويت ابن عم علي بن يوسف بن تاشفين وكان مسكنه الصحراء ثم وفد على علي بن يوسف فزوجه من أخته وولاه على مرسية ثم بلنسية خلفا لابن الحاج ثم على سرقسطة ، وهو مملوح ابن خفاجة ومخدوم الفيلسوف ابن باجة السرقسطي ، وكانت وفاته سنة 510 بسرقسطة ، وأباه أبو زكريا يحيى المذكور هنا =

وإياهما من طاعة الملمثين ، فاستتاب ⁽¹⁾ بفاس موسى بن أبي هارون .

وفي هذه السنة كان القحط والوباء بفاس .

أخبار إفريقية وما إليها :

صاحبها في هذه السنة حسن بن علي بن يحيى بن تميم على ما كان عليه ؛
وصاحب بجاية | يحيى | ⁽²⁾ بن العزيز بالله ووزيره ميمون بن حمدون ؛ وبالمهدي
| الحسن بن علي | ⁽³⁾ .

أخبار مصر في هذه السنة :

كان بمصر في هذه السنة الأمر على ما تقدم ذكره ، وفي هذه السنة مات
على قول ⁽⁴⁾ .

وصفة مقتله - وكان جبارا عنيدا - أنه لما استبد بالوزارة الغلام الذي اسمه

- فإنه هو الذي أطلق عليه أيضا اسم ابن فتو أو فانو كما سيأتى في نظم الجمان نفسه وذلك نسبة إلى أمه .
بنت يوسف بن تاشفين وأخت علي بن يوسف ، وولي يحيى بن فانو هذا عمل تلمسان كما ينص على ذلك
المؤلف هنا ، وهو الذي كان عاملا على تلمسان حينما دخلها محمد بن تومرت المهدي ، فاجتمع به في خبر
بعضه علينا البيهقي (أخبار المهدي ص 62) ، وكان ليحيى هذا أخ يدعى علي بن أبي بكر كان عاملا على
عرناطة للملمثين في سنة 539 (انظر الحلة السيرة لابن الأبار 212/2 ، 215 ، وله ابن يدعى محمدا اشترك
في الحروب الدائرة بين المرابطيين والموحدين في المغرب على ما سيذكر ابن القطان (انظر الإحاطة ط .
سنان 404 - 409 ؛ وبحث الأستاذ فرانسيسكو كوديرا عن بني تاشفين ص 114 - 116) .

(1) في الأصل : فاستتاب .

(2) الزيادة عن البيان المغرب 311/1 .

(3) زيادة يقتضيهما السياق وتطابق التاريخ ، إذ أن الحسن بن علي ظل يحكم هذه المنطقة حتى سنة 541 .

(4) هذا القول هو الصحيح ، إذ أن الأمر قتل كما هو معروف في الثاني من ذي القعدة سنة 524 (انظر

المقريزي : اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، ط . "قاهرة سنة

1967 الملحق الخامس عن الخلفاء الفاطميين) ، وكان قد ولي الخلافة في الرابع عشر من صفر سنة 495 .

« حرز الملوك ⁽¹⁾ » قتل مولاه الأمر ، وقد كان الأمر ولي عهده أبا الميمون عبد المجيد المنتصر بالله تعالى ⁽²⁾ ، وكان صغير السن فجاء الناس يهنون حرز الملوك بإبقائه على الحجابة ، وقد كان أراد أن يستبد بالأمر ، إلا أن أبا العباس ⁽³⁾ ابن الأفضل أتى ذلك ، فأخرج حرز الملوك الدنانير ، وأعطى العسكرية ، وأشار عليه ⁶⁸ أنه يمضى للموت ، فأراد الرجوع ، فقالت له طائفة من العسكر : إلى أين ترجع ؟ أنت حاجتنا ! فقال لهم : لا تفعلوا يا قوم ، ما عندي مال . قالوا له : ما نريد منك مالا ونادوا بأصحاب الأفضل ، فتكاثر الناس عليه ، وساروا به للقصر .

فلما رأى حرز الملوك ما فعل الناس أقفل باب القصر ، فأرادوا كسره وإحراقه ، فأخرج لهم عبد المجيد رأسه ، وقال لهم : يا قوم ، ما تريدون ؟ قالوا : رأس حرز الملوك ! فأمر بقطع رأسه ورمى به إليهم .

وقال عبد المجيد لأبي العباس ابن الأفضل : قدمتك للحجابة مكانه ⁽⁴⁾ فقال له : ما أريد تقديمك . الله قدمني والعسكرية ! أعطني عشرة ثوابت مالا ، فأعطاه إياه ، فأعطى الفارس خمسين مثقالا ، والراجل ثلاثين : فلما تمت قال : زدني . فزاده عشرة أخرى ، ففرقها . وما زال يفرق عشرة في عشرة حتى كملت ثمانين تابوتا .

(1) سبق أن ذكر ابن القطان خبر هذا الغلام (انظر ص 145 وتعليقنا على النص في الحاشية رقم 4) ، وقد علقنا من قبل على اختلاف المؤرخين في اسمه إذ يكتبه المقرئ « هزار الملوك برغوار » وابن تغري بردي « هزبر الملوك جوامرد » ، أما ابن عذارى فإنه اتبع ما أثبتته ابن القطان هنا (البيان المغرب 311/1) .

(2) لم يكن من صغر السن بحيث يتصور قاري النص ، فقد كانت سن عبد المجيد في ذلك الوقت ستا أو سبعا وعشرين سنة إذ أنه ولد في الحرم سنة 497 أو 498 (الخطط 172/2) .

(3) كذا ، وكتبته لدى سائر المؤرخين المشاركة « أبو علي » واسمه أحمد ، وهذا وقد أشار المقرئ في إيجار إلى الأحداث التي يتحدث عنها ابن القطان هنا (انظر الخطط 172/2) . وراجع كذلك ابن الأثير ، الكامل 332/8 ، وابن خلكان : وفيات الأعيان 451/2 ، 215/3 - 217 .

(4) ذكر المقرئ في الخطط (172/2) أن ابن الأفضل استبد بالوراء في 16 من ذي القعدة سنة

وقد كان الأمر ⁽⁴⁾ يقول : أما أنا فمقتول . وبلي الأمر بعدي أبو العباس ابن الأفضل ، فإن تم له العام وهو في الأمر ففيه يبقى حتى يموت وإن مات قبل العام فهو الذي رأينا في كتابنا !

فمكث تسعة أشهر وأياما ، وقبض على عبد المجيد وثقفه ، وسأل : هل في القصر صبي من أبناء الأمر والمستعل ؟ فقبل له : لا ، إلا امرأة حامل ، فجعل أبو العباس « يقول للناس : إن الإمام يولد الآن ! وقطع الخطبة والأمر عن عبد المجيد ، وجعل يدعو للأمير ⁽²⁾ المنتظر ، وادعى أنه وصله كتاب محمد بن الحنفية وأنه خرج ؛ وكان يقول : أنا النائب عنه ، وكان يخطب لنفسه « النائب ⁽¹⁾ عن الإمام ، أبو العباس أمير الجيوش سيف الإسلام » ، فبقى كذلك إلى أن تم له عام كامل ، فتحيل عبد المجيد ، وأغرى ⁽⁴⁾ العسكرية به فقتلوه ⁽⁵⁾ .

وظهر عبد المجيد ، وتلقب بالحافظ لدين الله ، وقدم للحجاجة ⁽⁶⁾ شخصيا نصرانيا يعرف بالأسقف ⁽⁷⁾ ، فجعل يعلن بالكفر في الأسواق ويدعو إلى عبادة عبد المجيد ، فوجهه للصعيد ، فأراد القيام عليه والانتصار بالحبيشة النصراني ،

(1) في الأصل : الأمير .

(2) في الأصل : للأمير .

(3) في الأصل : النائب .

(4) في الأصل : وأغوى .

(5) ذكر المقرئ أن مقتل « أبي علي » بن الأفضل كان في 16 من المحرم سنة 526 وأن الحافظ أخرج يومئذ من معتقله ، فأتخذ هذا اليوم عيداً سماه « يوم النصر » ، وصار يعمل كل سنة .

(6) في الأصل : للحجاجة .

(7) ذكر المقرئ أن الحافظ قدم للوزارة بعد مقتل أبي علي ابن الأفضل يانس مساحب الباب ، فظل عليها حتى مات في ذي الحجة ، سنة 524 بعد تسعة أشهر ، فلم يستوزر أحدا ، وتول الأمور بنفسه إلى سنة 528 ، فأقام ابنه سليمان ولي عهده مقام وزير ، فتوفي بعد شهرين ، فجعل مكانه ابنه حمزة 14 أدى إلى حسد ابنه الآخر حسن له وثورته على أبيه ، إلا أنه قتل بعد ذلك ، وولي حينئذ على الوزارة « إمام الأرمي النصراني في حمادى الأحره سنة 529 ، وهو الذي يذكره ابن القلطان هذا بالاسم « الأسمه » .

فاستعمل شمعا عدتها اثنتا عشرة⁽¹⁾ شمعة ، في كل شمعة الف دينار ، فمضى الخبر إلى عبد المجيد ، فخرج إلى نزهة . ورجع في طريقه على الأسقف ، فوجده في كنيسته والشمع عنده ، فسأله عنها ، وذكر له أن بعض القبط يبيعونها إلى الكنيسة العظمى ، فطلب منه بعضها ، فحملت بين يديه ، فأمر بكسرها ، فوجد فيها المال ، فاستقره ، فأقر⁽²⁾ وطلب منه العفو ، فلم يعفه ، وأمر بعذابه إلى أن مات . وخرج عبد المجيد لرؤية الخليج ، فأمر به * فصير على لوح ، وأرسل في التيار⁽³⁾ فحمله⁽⁴⁾ .

وكان لعبد المجيد ولد ، وقيل ابن عم ، اسمه حسن⁽⁵⁾ ، فجعل يستميل العسكرية ويعطيهم الأموال ، ويقول لهم : إن عبد المجيد لا يصلح للأمر . وأنا أفعل معكم وأصنع ، ويعددهم ويمنيهم ، فقاموا على عبد المجيد حاملين⁽⁶⁾ ، فلما استوسق الأمر لحسن أخذ في قتل رؤساء الأجناد ، فقاموا عليه في شهر رجب من سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وزحفوا إليه بالسلاح ، فهرب من داره ، ودخل في دار عبد المجيد ، فصاحوا : أخرجنا ، وإلا جعلناه عليك نارا ! وجاءوا بالخطب والنار ، فقال عبد المجيد لحسن : أخرج رأسك ، وانظر إلى ما أحدثت . فأخرج

(1) في الأصل : اثنا عشر .

(2) في الأصل : فأمن .

(3) في الأصل : التيان .

(4) ما ذكر هنا عن مقتل « الأسقف النصراني » بهرام الأرمني يختلف عما أورده المقرئ ، إذ أنه يذكر أن الذي قام بالايقاع به إنما هو رضوان بن ولحشي الذي كان متولي الغربية ، فقد جمع الناس لحرب بهرام وسار إلى القاهرة ، فدخلها وقتل بهرام واضطلع بالوزارة سنة 531 (الخطط 172/2 - 173) .

(5) هو ولده كما ذكر المقرئ ، وهو الذي ثار على أبيه الحافظ ، وقد فصل المقرئ خبر ثورته في المجلد (27/3 - 29) ، وفيه يذكر أن حسنا شق عليه تولى أخيه حيلدة لعهد أبيه الحافظ واضطلعه بورارته ، فسعى في نقض ذلك بالايقاع بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانية ، فحاول أبوه الحافظ مداراته وتدارك أمره وكتب له بولاية العهد ، فلم يزد ذلك إلا جراً على أبيه ، وحينئذ بعث الحافظ بلاد الصعيد يستنجد بعساكر الريحانية ، وأفسد حسن أمره في هذه الأثناء بالإساءة إلى أعيان الأمراء والأجناد ، فأجمعوا على قتله وشددوا الحصار عليه ، فلجأ إلى قصر أبيه ، وقيد هذا ، ثم أرغمه الجند على أن يقتله ، فتولى ذلك له الطبيب ابن قرقة النصراني أعد له سقية فأنله .

(6) في الأصل : حاملا .

أسبه فرأى أمة لا تحصى ، فلما أبقن ⁽¹⁾ بالهلاك قال له عبد المجيد : إن قبضوا عليك عشوا فيك وعذبوك ، وتكون وصمة عظيمة بهذه البيعة التي نحن منها ، ولكن اشرب السم تسترح ويُسْتَرَح منك ! وأعطاه سما ، فشربه فمات من حينه ، فغسله وكفنه ، فأخرجهم لهم ، فحملوه وصلوا عليه ودفنوه ؛ وبقي عبد المجيد إلى أن تولى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة .

فانظر إلى هذه المحاولات الشيعة ، والأمور الفظيعة : ⁽²⁾ قتل الأمر حرز الملوك ، وقتله ، واستيلاء ابن الأفضل وقتله ، وظهور عبد المجيد ، « وما كان من الأسقف من الكفر والأمر بعبادة عبد المجيد ثم قتله ، ثم استيلاء حسن بن عبد المجيد - أو ابن عمه - والقيام عليه إلى أن قتل نفسه بسم ، ورجوع عبد المجيد إلى الولاية ؛ كل تلك الأمور على نسقها إلى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بين لك من ذلك ما كان في الأرض من ظلمات المظالم ، وانتهاك المحارم ، والخروج عن مراسم السنة وحدودها وتنكب تلك الفئات عن الحق وصدودها ، وذلك من حين وفاة المهدي رضي الله تعالى عنه إلى حين ظهور أمر الموحدين أعزهم الله تعالى ، واتساق كلمة الأمر المطاع العالي ، المخصوص بالمكارم والمعالى ؛ فتحقق بذلك ⁽³⁾ صدق البشارة النبوية الكريمة بهذه الخلافة المهدية القويمة ، القائمة بأمر الله تعالى وإحياء كلمته ، وإعلاء الحق وهداية أمته ، وكتم برهان قاطع ، ودليل ساطع ، أبرزه الوجود ، فتحصل منه العلم اليقين المقصود ، والحمد لله رب العالمين ، والله سبحانه يعلي مناره ، ويديم بالخلافة المؤمنية المرتضية ضيائه ⁽⁴⁾ وأنواره ، إلى يوم الدين .

أخبار العراق في هذه السنة :

لا أدري من أمرها غير أن العباسي فيها « هو المسترشد على ما ذكر في سنة ولايته .

(1) في الأصل : يقن .

(2) في الأصل : الفضيعة .

(3) في الأصل : ذلك .

(4) في الأصل : ضياؤه .

باب

في ذكر أنباء سنة خمس وعشرين وخمسمائة

أما أخبار الموحدين أعزهم الله في هذه السنة فإنهم كانوا وادعين بتينملل ،⁽¹⁾ ولوفاة الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه كاتمين .

وأما أخبار غيرهم في هذه السنة ففيها ولي قرطبة الزراجنة ابن أخي علي بن يوسف : عبد الله بن أبي بكر المعروف بابن قنونة⁽²⁾ .

ووقعت النار بسوق الكتانين بقرطبة ، واتصلت بسوق البر ، فاحترقت أموال الناس .

ورجم الناس ابن المناصف⁽³⁾ بسبب المعونة⁽⁴⁾ .

والعباسي في هذه السنة المسترشد كما كان .

(1) يتفق هذا مع ما يذكره سائر مؤرخي الدولة الموحدية من سكون الموحدين خلال هذه السنة .
(2) في الأصل : قنونة ، أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين المعروف باسم ابن قنونة أو ابن جنونة كما سماه صاحب « مفاخر البربر » ، وقنونة اسم أمه ، ويسميه ابن عذاري في البيان المغرب (القسم المرابطي ص 79) أبا عبد الله بن تنجمار (أو إنجمار) ، ولي على قرطبة في السنة التي بدورها ابن القطان وعزل عنها في سنة 526 ثم سجن لشكايات ترددت منه (انظر بحث أويشي عن علي بن يوسف ص 111 ؛ ومفاخر البربر ص 82) .

(3) يعني قاضي الجماعة بقرطبة أبا عبد الله محمد بن أصبغ الأزدي المعروف بابن المناصف المتوفى سنة 536 ، وقد سبق التعريف به من قبل بمناسبة إيراد ابن القطان خبراً عن ولايته قضاء الجماعة بقرطبة سنة 522 (انظر ص 150 ، حاشية رقم 2) ، وقد جاء الاسم هناك خطأ « عبد الله بن محمد بن أصبغ » .
(4) في الأصل : نسبت المعونة ، ولعلها كما أصلحنا ، ونرجح أن المؤلف يعني بلفظ « المعونة » هنا ١٠ - روت العادة به في الأندلس من وجوب اضطلاع أهل كل حي في المدينة بإصلاح أسوار الجهة التي يسكنونها ، فقد ذكر ابن عذاري في البيان المغرب (القسم المرابطي ، ص 73) أن العمل في إصلاح أسوار قرطبة بدأ في سنة 520 ، ولعل القاضي ابن المناصف أخذ الناس ببعض الشدة في ذلك مما أدى إلى ثورة أهل قرطبة عليه ورجعهم إياه ، بل ربما كان ذلك هو السبب الذي أدى إلى عزله بعد ذلك بسنتين (في سنة 528) على ما سيذكر ابن القطان بعد .

باب

في ذكر أنباء سنة ست وعشرين وخمسمائة
أخبار الموحدين أعزهم الله :

في هذه السنة فتحت تاسغيموت ⁽¹⁾ .

وفي هذه السنة أيضا فتحت درعة وتادلا على قول ⁽²⁾ .

وفي هذه السنة وَحَّد الفلاكي ⁽³⁾ وشرح حديثه أنه رجل كان من دُعَار
إشيلية وفتاكها وقطاع الطريق ، ثم تاب عن ذلك وصفح عنه وإلى إشيلية وقدمه
على الرماة والرجالة ، ثم وصل لعلي بن يوسف ، فأحسن إليه وقدمه « على
حصنة ، ووجهه إلى السوس قائداً عنه لمكافحة الموحدين أعزهم الله تعالى ، وإلى
السوس حينئذ واندوين بن سير ⁽⁴⁾ ، فواصل الفلاكي ⁽³⁾ الضرب على الموحدين ،

(1) في الأصل : تاسغيموت ، والتصويب عن كتاب البيهقي (أخبار المهدي ص 131) ، إلا أن
أنا فعل فتح الحصن المذكور لا في هذه السنة وإنما في سنة 517 ونسب البيهقي هذه الغزوة إلى عبد
الرحمن بن زجو (ص 84) ، وقال إن حصن تاسغيموت كان من بين الحصون التي بناها المرابطون من
أهل مريب الحصار على الموحدين والتضييق عليهم وإن الذي بناه هو ميمون بن ياسين ، وكان فيه القائد
أبو بكر ابن اللطفي بمائتي فارس وخمسمائة راجل من قبيلة هزرجة وإن عبد الرحمن بن زجو وجنود
الموحدين اقتحموه وقلعوا أبوابه وحملوها إلى تينمل فجعلوها على باب الفخارين (ص 128) ، كذلك
فلما في الحصل ابن وزروال الذي كان من قواد المرابطين به (ص 131) ؛ وقد أشار ابن خلدون إلى هذه
الغزوة إشارة موجزة ، إلا أن الاسم ورد هناك محرفاً إلى « تاسعون » (وانظر كذلك عن هذه الغزوة
كتاب أويشي تاريخ 106/1 - 107) . وعن تاسغيموت وما بقي من أطلالها انظر بحث الأستاذين هري
براس وهري ياسيه عن « المشاهد والقلاع الموحدية » مجلة إسبريس سنة 1927 .

(2) من بين من قال بذلك من المؤرخين ابن خلدون (العبر 229/6) إذ أنه يجعل فتح درعة وتادلا
في سنة 526 ، وسيتحدث ابن القطان عن غزوة تادلا مرة أخرى في سنة 530 .

(3) في الأصل : الملكان ، وهو تحريف لما أثبتنا ، وقد سبق لابن القطان أن يتحدث عن الفلاكي
الأندلسي هذا وعلقنا على ذلك في موضعه (ص 132 ، حاشية 4) ، والخبر الذي ذكره ابن القطان هنا
عن توحيد الفلاكي ساقه أيضا البيهقي (أخبار المهدي ص 88) . (وانظر أويشي : تاريخ 107/1 - 108)

(4) في الأصل : أبو دين ... ، وهو تحريف ، وقد سبق أن علقنا على اسم هذا القائد (انظر
ص 160 ، حاشية 1) .

مجتهداً في خدمة الزراجنة ، ثم انفسد ما بينه وبين علي بن يوسف ، وهاداه الله تعالى فوحد ، وصار يفعل في حصون لمتونة وبلادهم مثلما كان يفعل لهم ، وظهرت نصيحته للموحدين أعزهم الله تعالى ، وأحفوه⁽¹⁾ ملاءة كرامتهم وجاههم ، واستفتح لهم حصونا في السوس ، ولم يزل في خدمتهم إلى أن ارتد بعد هذا .

وصفة فتح تاسقيموت⁽²⁾

وهو حصن مانع⁽³⁾ مرتب على الجبل ، وكان له باب من حديد ، وكان في الحصن هجيكة⁽⁴⁾ من هزرجة يحرسونه ، فدبر معهم الموحدون أعزهم الله تعالى كيفية فتحه ، وأن يمكنوهم منه ليلاً ، فكان ذلك ، فأحرق الباب وقتل والي الحصن أبو بكر بن ورصوال⁽⁵⁾ ، وقتل من فيها من المشمين ، وحملت صفائح الحديد من بابها ، فركبت على تينملل شرفها الله تعالى ، وكانت هذه المحاولة المنجحة في أول هذا العام .

وصفة فتح درعة

أن سيدنا ومولانا الخليفة أمير * المؤمنين رضى الله تعالى عنه توجه إليها | 71 | ودخل حصن تازاجورت⁽⁶⁾ ، وكان واليها يحيى بن مريم الزرجاني ، فضربت عنقه ،

(1) في الأصل : وأحفوه .

(2) في الأصل : تاسقيموت .

(3) كذا ، وهو يعنى بلا شك « منيع » .

(4) كذا ، وربما كانت كلمة بربرية بمعنى « حامية » .

(5) هو الذي ذكره البيهقي باسم « ابن وزروال » (أخبار المهدي ص 131) ، وجاء اسمه لدى ابن

خلدون « أبو بكر بن مازر » (العبر 229/6) .

(6) كان ابن تومرت المهدي قد وجه قبل ذلك حملة إلى تازاجورت ، وهي غزوة الثامنة ، وكانت

حينئذ بلا سور ، ففتحها وأسر من بها (البيهقي ص 77) ، على أنه يبدو أن المرابطين استعادوها وسورها حتى

وجه إليها عبد المؤمن هذه الحملة وهي التي تحدث عنها البيهقي كذلك (ص 89) ، إلا أنه ذكر أن والي الحصن

هو بدر بن لجوط لا يحيى بن مريم كما يذكر ابن الفطمان ، (واصل ، ١١٠ ، أو بني تاريخ 110/1 - 111) .

وقتل فيها من شيع التجسيم نيف على عشرين ألفا ، وأخذت زوجة الوالي المذكور ميمونة بنت بنتان بن عمران ، وبقيت في الجبل حتى افتك بها من كان في الحامسان من رجال الموحدين أعزهم الله تعالى ⁽¹⁾ .

وفي هذه السنة كان فتح جلاوة ، وذلك أنه توجه الشيخ أبو حفص عمر ابن يحيى ⁽²⁾ في آخرين من عظماء الموحدين أعزهم الله تعالى وحصة منهم إلى أوسلم ⁽³⁾ من بلاد جلاوة ، وهم المردة الذين كانوا جرحوا الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، ⁽⁴⁾ فدخلوه عنوة ، وقتل كل من فيه .

وفي هذه السنة كان فتح حصن هزرجة ، وذلك أنه تحرك سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه إلى الخميس ان يعب ⁽⁵⁾ إن

(1) هي ابنة بنتان بن عمران أو عمر كما يذكر البيهقي ، وكان من كبار رجالات المرابطين ، وإليه مع الفضل في إطلاق سراح محمد بن تومرت من سجن علي بن يوسف بن تاشفين ، وذلك أن الفقيه ، الملك بن وهيب الإشبيلي كان قد حرض علي بن يوسف على تثقيب ابن تومرت بعد مجادلته لفقهاء دولته ، فشجع له بنتان بن عمران هذا وأبو بكر سير بن ورييل ، فقال بنتان ، يا أمير المسلمين ، كيف تسجن رجلا يعرف الله ، وهو أعرف أهل الأرض بالله ؟ (انظر تفاصيل القصة في أخبار المهدي ص 67 ، 69 ، 70 ، 71 ، 72 ، 73 ، 74 ، 75 ، 76 ، 77 ، 78 ، 79 ، 80 ، 81 ، 82 ، 83 ، 84 ، 85 ، 86 ، 87 ، 88 ، 89 ، 90 ، 91 ، 92 ، 93 ، 94 ، 95 ، 96 ، 97 ، 98 ، 99 ، 100 ، 101 ، 102 ، 103 ، 104 ، 105 ، 106 ، 107 ، 108 ، 109 ، 110 ، 111 ، 112 ، 113 ، 114 ، 115 ، 116 ، 117 ، 118 ، 119 ، 120 ، 121 ، 122 ، 123 ، 124 ، 125 ، 126 ، 127 ، 128 ، 129 ، 130 ، 131 ، 132 ، 133 ، 134 ، 135 ، 136 ، 137 ، 138 ، 139 ، 140 ، 141 ، 142 ، 143 ، 144 ، 145 ، 146 ، 147 ، 148 ، 149 ، 150 ، 151 ، 152 ، 153 ، 154 ، 155 ، 156 ، 157 ، 158 ، 159 ، 160 ، 161 ، 162 ، 163 ، 164 ، 165 ، 166 ، 167 ، 168 ، 169 ، 170 ، 171 ، 172 ، 173 ، 174 ، 175 ، 176 ، 177 ، 178 ، 179 ، 180 ، 181 ، 182 ، 183 ، 184 ، 185 ، 186 ، 187 ، 188 ، 189 ، 190 ، 191 ، 192 ، 193 ، 194 ، 195 ، 196 ، 197 ، 198 ، 199 ، 200 ، 201 ، 202 ، 203 ، 204 ، 205 ، 206 ، 207 ، 208 ، 209 ، 210 ، 211 ، 212 ، 213 ، 214 ، 215 ، 216 ، 217 ، 218 ، 219 ، 220 ، 221 ، 222 ، 223 ، 224 ، 225 ، 226 ، 227 ، 228 ، 229 ، 230 ، 231 ، 232 ، 233 ، 234 ، 235 ، 236 ، 237 ، 238 ، 239 ، 240 ، 241 ، 242 ، 243 ، 244 ، 245 ، 246 ، 247 ، 248 ، 249 ، 250 ، 251 ، 252 ، 253 ، 254 ، 255 ، 256 ، 257 ، 258 ، 259 ، 260 ، 261 ، 262 ، 263 ، 264 ، 265 ، 266 ، 267 ، 268 ، 269 ، 270 ، 271 ، 272 ، 273 ، 274 ، 275 ، 276 ، 277 ، 278 ، 279 ، 280 ، 281 ، 282 ، 283 ، 284 ، 285 ، 286 ، 287 ، 288 ، 289 ، 290 ، 291 ، 292 ، 293 ، 294 ، 295 ، 296 ، 297 ، 298 ، 299 ، 300 ، 301 ، 302 ، 303 ، 304 ، 305 ، 306 ، 307 ، 308 ، 309 ، 310 ، 311 ، 312 ، 313 ، 314 ، 315 ، 316 ، 317 ، 318 ، 319 ، 320 ، 321 ، 322 ، 323 ، 324 ، 325 ، 326 ، 327 ، 328 ، 329 ، 330 ، 331 ، 332 ، 333 ، 334 ، 335 ، 336 ، 337 ، 338 ، 339 ، 340 ، 341 ، 342 ، 343 ، 344 ، 345 ، 346 ، 347 ، 348 ، 349 ، 350 ، 351 ، 352 ، 353 ، 354 ، 355 ، 356 ، 357 ، 358 ، 359 ، 360 ، 361 ، 362 ، 363 ، 364 ، 365 ، 366 ، 367 ، 368 ، 369 ، 370 ، 371 ، 372 ، 373 ، 374 ، 375 ، 376 ، 377 ، 378 ، 379 ، 380 ، 381 ، 382 ، 383 ، 384 ، 385 ، 386 ، 387 ، 388 ، 389 ، 390 ، 391 ، 392 ، 393 ، 394 ، 395 ، 396 ، 397 ، 398 ، 399 ، 400 ، 401 ، 402 ، 403 ، 404 ، 405 ، 406 ، 407 ، 408 ، 409 ، 410 ، 411 ، 412 ، 413 ، 414 ، 415 ، 416 ، 417 ، 418 ، 419 ، 420 ، 421 ، 422 ، 423 ، 424 ، 425 ، 426 ، 427 ، 428 ، 429 ، 430 ، 431 ، 432 ، 433 ، 434 ، 435 ، 436 ، 437 ، 438 ، 439 ، 440 ، 441 ، 442 ، 443 ، 444 ، 445 ، 446 ، 447 ، 448 ، 449 ، 450 ، 451 ، 452 ، 453 ، 454 ، 455 ، 456 ، 457 ، 458 ، 459 ، 460 ، 461 ، 462 ، 463 ، 464 ، 465 ، 466 ، 467 ، 468 ، 469 ، 470 ، 471 ، 472 ، 473 ، 474 ، 475 ، 476 ، 477 ، 478 ، 479 ، 480 ، 481 ، 482 ، 483 ، 484 ، 485 ، 486 ، 487 ، 488 ، 489 ، 490 ، 491 ، 492 ، 493 ، 494 ، 495 ، 496 ، 497 ، 498 ، 499 ، 500 ، 501 ، 502 ، 503 ، 504 ، 505 ، 506 ، 507 ، 508 ، 509 ، 510 ، 511 ، 512 ، 513 ، 514 ، 515 ، 516 ، 517 ، 518 ، 519 ، 520 ، 521 ، 522 ، 523 ، 524 ، 525 ، 526 ، 527 ، 528 ، 529 ، 530 ، 531 ، 532 ، 533 ، 534 ، 535 ، 536 ، 537 ، 538 ، 539 ، 540 ، 541 ، 542 ، 543 ، 544 ، 545 ، 546 ، 547 ، 548 ، 549 ، 550 ، 551 ، 552 ، 553 ، 554 ، 555 ، 556 ، 557 ، 558 ، 559 ، 560 ، 561 ، 562 ، 563 ، 564 ، 565 ، 566 ، 567 ، 568 ، 569 ، 570 ، 571 ، 572 ، 573 ، 574 ، 575 ، 576 ، 577 ، 578 ، 579 ، 580 ، 581 ، 582 ، 583 ، 584 ، 585 ، 586 ، 587 ، 588 ، 589 ، 590 ، 591 ، 592 ، 593 ، 594 ، 595 ، 596 ، 597 ، 598 ، 599 ، 600 ، 601 ، 602 ، 603 ، 604 ، 605 ، 606 ، 607 ، 608 ، 609 ، 610 ، 611 ، 612 ، 613 ، 614 ، 615 ، 616 ، 617 ، 618 ، 619 ، 620 ، 621 ، 622 ، 623 ، 624 ، 625 ، 626 ، 627 ، 628 ، 629 ، 630 ، 631 ، 632 ، 633 ، 634 ، 635 ، 636 ، 637 ، 638 ، 639 ، 640 ، 641 ، 642 ، 643 ، 644 ، 645 ، 646 ، 647 ، 648 ، 649 ، 650 ، 651 ، 652 ، 653 ، 654 ، 655 ، 656 ، 657 ، 658 ، 659 ، 660 ، 661 ، 662 ، 663 ، 664 ، 665 ، 666 ، 667 ، 668 ، 669 ، 670 ، 671 ، 672 ، 673 ، 674 ، 675 ، 676 ، 677 ، 678 ، 679 ، 680 ، 681 ، 682 ، 683 ، 684 ، 685 ، 686 ، 687 ، 688 ، 689 ، 690 ، 691 ، 692 ، 693 ، 694 ، 695 ، 696 ، 697 ، 698 ، 699 ، 700 ، 701 ، 702 ، 703 ، 704 ، 705 ، 706 ، 707 ، 708 ، 709 ، 710 ، 711 ، 712 ، 713 ، 714 ، 715 ، 716 ، 717 ، 718 ، 719 ، 720 ، 721 ، 722 ، 723 ، 724 ، 725 ، 726 ، 727 ، 728 ، 729 ، 730 ، 731 ، 732 ، 733 ، 734 ، 735 ، 736 ، 737 ، 738 ، 739 ، 740 ، 741 ، 742 ، 743 ، 744 ، 745 ، 746 ، 747 ، 748 ، 749 ، 750 ، 751 ، 752 ، 753 ، 754 ، 755 ، 756 ، 757 ، 758 ، 759 ، 760 ، 761 ، 762 ، 763 ، 764 ، 765 ، 766 ، 767 ، 768 ، 769 ، 770 ، 771 ، 772 ، 773 ، 774 ، 775 ، 776 ، 777 ، 778 ، 779 ، 780 ، 781 ، 782 ، 783 ، 784 ، 785 ، 786 ، 787 ، 788 ، 789 ، 790 ، 791 ، 792 ، 793 ، 794 ، 795 ، 796 ، 797 ، 798 ، 799 ، 800 ، 801 ، 802 ، 803 ، 804 ، 805 ، 806 ، 807 ، 808 ، 809 ، 810 ، 811 ، 812 ، 813 ، 814 ، 815 ، 816 ، 817 ، 818 ، 819 ، 820 ، 821 ، 822 ، 823 ، 824 ، 825 ، 826 ، 827 ، 828 ، 829 ، 830 ، 831 ، 832 ، 833 ، 834 ، 835 ، 836 ، 837 ، 838 ، 839 ، 840 ، 841 ، 842 ، 843 ، 844 ، 845 ، 846 ، 847 ، 848 ، 849 ، 850 ، 851 ، 852 ، 853 ، 854 ، 855 ، 856 ، 857 ، 858 ، 859 ، 860 ، 861 ، 862 ، 863 ، 864 ، 865 ، 866 ، 867 ، 868 ، 869 ، 870 ، 871 ، 872 ، 873 ، 874 ، 875 ، 876 ، 877 ، 878 ، 879 ، 880 ، 881 ، 882 ، 883 ، 884 ، 885 ، 886 ، 887 ، 888 ، 889 ، 890 ، 891 ، 892 ، 893 ، 894 ، 895 ، 896 ، 897 ، 898 ، 899 ، 900 ، 901 ، 902 ، 903 ، 904 ، 905 ، 906 ، 907 ، 908 ، 909 ، 910 ، 911 ، 912 ، 913 ، 914 ، 915 ، 916 ، 917 ، 918 ، 919 ، 920 ، 921 ، 922 ، 923 ، 924 ، 925 ، 926 ، 927 ، 928 ، 929 ، 930 ، 931 ، 932 ، 933 ، 934 ، 935 ، 936 ، 937 ، 938 ، 939 ، 940 ، 941 ، 942 ، 943 ، 944 ، 945 ، 946 ، 947 ، 948 ، 949 ، 950 ، 951 ، 952 ، 953 ، 954 ، 955 ، 956 ، 957 ، 958 ، 959 ، 960 ، 961 ، 962 ، 963 ، 964 ، 965 ، 966 ، 967 ، 968 ، 969 ، 970 ، 971 ، 972 ، 973 ، 974 ، 975 ، 976 ، 977 ، 978 ، 979 ، 980 ، 981 ، 982 ، 983 ، 984 ، 985 ، 986 ، 987 ، 988 ، 989 ، 990 ، 991 ، 992 ، 993 ، 994 ، 995 ، 996 ، 997 ، 998 ، 999 ، 1000) .

(2) هو عمر المختار المعروف باسم « إيتني » .

(3) في الأصل : أو صيلم ، وقد سقطت الإشارة إلى هذا الحصر (ص 138 ، حاشية 7) .

(4) هذه الغزوة التي يشير إليها في النص هي التي قام بها المهدي سنة 522 وجرح فيها .

(5) كذا وردت هذه الكلمات الثلاث في الأصل ، ولم يهد إلى وجه في تأويلها .

وصروال من هزرجة ، فدخله وأحرقه ، وقتل الباعين أهله ، ودخل مدينة جشمجال وأحرقها وقتل من فيها ، ثم تحرك رضي الله تعالى عنه إلى داي مرة ثانية ، ورد سريره إلى بلد هزرجة وهم غافلون ، فقتلهم قتلا ذريعا .

ثم تحرك رضي الله تعالى [عنه] إلى أجلا حال من غجدامة ⁽¹⁾ الجبل ، وهم الذين قتلوا أبا محمد عطية مع عجوزته يوم العيد ، وكان من أصحاب الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فجمعهم الخليفة رضي الله تعالى عنه ، وقتل منهم نيفا على ثلاثمائة رجل ، ثم أقبل إلى تينملل .

وفي هذه السنة وحد قبائل من هزرجة وهسكورة ، ثم ارتدوا .

أخبار الأندلس وغيرها في هذه السنة :

فيها اشتدت الجاعة والوباء بالناس بقرطبة ، وكثر الموتى ، وبلغ مد القمح خمسة عشر دينارا ، وكثر الشر واين قنونة ⁽²⁾ الزرجاني لا يفتر ولا يني ⁽³⁾ عن قتل أهله .

وضربت خيل النصارى على قرى إشبيلية من جهة حصن القليعة ، فأوسعها غارة وسبيا وقتلا ونها ، ثم أغارت خيل النصارى على قرى إشبيلية ثانيا ، واقتحمت الشرف ، والناس على غرة وغفلة ، فقتلت منهم عالما لا يحصى ، وأسرت من النساء والولدان ما يُعجزُ وصفه ⁽⁴⁾ ، وقربت النصارى من إشبيلية ، فطارت

(1) في الأصل : غجراية ، وقد سبق أن علقنا على هذا الاسم ، وعلى مقتل أبي محمد عطية فيما سبق . انظر ص 138 والحاشيتين 9 ، 10 .

(2) هو أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين الذي سبق أن أشرنا إليه عند ذكر ولايته على قرطبة .

(3) في الأصل : يأتي .

(4) كان ذلك في المعركة التي تطلق المراجع المسمى باسم Azareda في شرف إشبيلية (Ajarafe) في رجب سنة 526 (مايو - يونيو 1132) . انظر أوتاني : على بن يوسف ... ص 107 .

التي هزمها. فخرج الناس، وخرج إلى إشبيلية عمر بن مقور⁽¹⁾ على وجه
الاستعداد. مع من معه من المؤمنين وسرعان الناس، فلقيته خيل النصارى
وهاجموه، ودهشوا، فأدرك قاتل وقتل معه جماعة من المسلمين، وغلقت
أبواب إشبيلية، ودهش الناس، ثم رجع النصارى دمرهم الله تعالى - إلى
دمرهم بها. فبقيت دولة في المؤمنين⁽²⁾.

في هذه السنة أيضا ضربت النصارى على جهة يابرة، فعمد إليهم
أبو بكر، وهو إذ ذاك صاحب غرناطة، وابن قنونة، وكان صاحب قرطبة،

11 في الأصل: مقور، وأهل الصواب ما أثبتنا وقد سبق أن علقنا على هذا الاسم بمناسبة الخلاص
من أمه أفراد هذه الأسرة. أم رديا يحيى بن علي بن الحاج المعروف بابن مقور أو حمور (انظر
ص 199، حاشية 1)، أما ابن مقور المذكور هنا فهو أخو يحيى بن علي المشار إليه في الموضع السابق،
واسمه عمر بن علي بن الحاج، ول إشبيلية سنة 524 واستشهد في معركة Azareda في شرف إشبيلية سنة
936 و 938 م. من ملوك الغنائم ابن عبد الملك المراكشي في كتاب «الذيل والتكملة» (مخطوط الاسكوريال
رقم 1682، ورقة 26 ب - بقية السفر الرابع ص 61 في ترجمة سليمان بن جعفر الحضرمي) واسمه أ.
كاهن، المائل «عمر بن مقور» أما ابن الخطيب فإنه ذكره باسم أبي حفص عمر بن علي بن الحاج وقال إنه
اسمه أ. ذلك الغزوة التي شنها النصارى على إشبيلية (الإحاطة - ط. عنان 452/1) وقد ظن الباحث
فرانسيسكو فوديرا عندما رأى اختلاف الاسم أنهما شخصان مختلفان، بينما الحقيقة أنهما اسمان لشخص
واحد (انظر بحثه عن «أسرة بني تاشفين» ص 132).

(2) أورد ابن الخطيب نبأ مهاجمة النصارى لإشبيلية وإيقاعهم بالمسلمين فيها فقال إهم هاجموا
إشبيلية في آخر سنة 526، فصبحوها في النصف من رجب وبرز لهم عمر بن علي بن الحاج في نفر من
المسلمين فاستشهد جميعهم، ونزل العدو على فرسخين من المدينة فجعلها نهباً وغارة (الإحاطة - ط.
عنان 451/1 - 452)، وتشير المراجع المسيحية أيضا إلى هذه الغزوة، فقد جاء في حوليات ألفونسو
الرايم (Cronica de Alfonso VII) أن قائد جيوش طليطلة والمكلف بقتال المسلمين في منطقة حرب
الأنبار (Extremadura) وكان يدعى رودريجو جونزالث Rodrigo González هاجم إشبيلية، فخرج
أه أمورها المسلم، والتحمت بينهما معركة عنيفة قتل فيها هذا الأمير وكثير من رجاله، وعاد رودريجو
موفياث محملا بالغنائم. وتنص الحوليات الطليطلية Anales Toledanos على اقتحام رودريجو جونزالث
إشبيلية وقتاله للمسلمين بها وانتصاره على أميرها الذي تسميه «عمر» (أي ابن الحاج المذكور).
وقد أياه في معركة Azareda التي سقت الإشارة إليها وذلك في سنة 1130 م. (انظر بحث فرانسيسكو
فوديرا: أسرة بني تاشفين ص 130 - 132).

فالتقوا معهم فهزموا هم النصرارى وقتلوهم وأنقذوا الغنيمة ⁽¹⁾ .

ولما رجع تاشفين من هذه الغزوة وافاه كتاب علي بن يوسف بولاية قرطبة وغرناطة وإشبيلية ⁽²⁾ ، وعزل عبد الله بن قنونه عن قرطبة وسير إلى إشبيلية فسجن فيها ، ودخل تاشفين قرطبة واليا في شعبان ⁽³⁾ .

وأكلت الجراد زرع قرطبة .

والعباسي في هذه السنة هو المسترشد على ما كان عليه .

* * *

(1) تحدث ابن الخطيب وصاحب الحلل الموشية عن غزوة تاشفين هذه عقب كلامه عن مهاجمة النصرارى لإشبيلية (الإحاطة - ط . محب الدين الخطيب 283/1 ؛ وط . عنان 452/1 - 453 ؛ والحلل ص 122) ، فذكر ابن الخطيب أن خير غزو النصرارى لإشبيلية لم يبلغ تاشفين حتى خف بأعقاب النصرارى متعبا لهم ، فأدركهم عند فلاة بقرب الزلاقة ، وكان النصرارى قد قصدوا بطليوس Badajoz وباجة Beja وبابرة Evora ، فدارت المعركة هناك ، وهى الله لتاشفين انتصارا عظيما استؤصل فيه الجيش النصراني ، وعاد تاشفين ظافرا إلى بلده في جمادى من هذا العام أي 526 . كذلك أشارت بعض المراجع النصرانية إلى تلك الغزوة ، فقد جاء في حوليات ألفونسو السابع عقب الحديث عن مهاجمة النصرارى لإشبيلية أن نفرا من قادة شلمنقة Salamanca حينما علموا بنبا مهاجمة رودريجو جونثالث لإشبيلية وانتصاره على المسلمين فيها ألقى ذلك في نفوسهم الأمل وقوى عزيمتهم على مهاجمة بطليوس ، وكان تاشفين حينما علم بنبا مقتل ابن الحاج أمير إشبيلية قد جمع جيشا كبيرا وتوجه إلى لقاء نصرارى شلمنقة ، فالتحمت بين الفريقين معركة مرق فيها الجيش المسيحي ولم ينج منه إلا نفر قليل ، وعاد تاشفين إلى قرطبة ظافرا ، وتضيف الحوليات إلى ذلك أن مثل هذه الكارثة قد حل بالنصرارى بعد ذلك ثلاث مرات متوالية (انظر كوديرا : أسرة بني تاشفين ص 132 - 135) .

(2) يختلف هذا عما جاء في الإحاطة - ط . عنان 446/1 (نقلا عن عبد الملك الوراق) إذ ذكر هناك أن علي بن يوسف ولي ابنه تاشفين على غرناطة والمرية ثم قرطبة مضافة إلى ما بيده سنة 522 ؛ ولو أن قوله « ثم قرطبة » قد يدل على أن ولايته إياها كانت متأخرة بعض الشيء مما يحتمل معه أن يكون ذلك قد تم في السنة التي يذكرها ابن القطان .

(3) يتفق ابن عذارى مع ابن القطان في هذا التاريخ إذ يحدد تعيينه على قرطبة إلى جانب ما كان تحت يده من بلاد الأندلس في 30 رجب سنة 526 - 6 يونيو 1112 (انظر أوشي : علي بن يوسف ص 111) .

باب

في ذكر أثناء سنة سبع وعشرين وخمسمائة

أما الموحدون أعزهم الله تعالى فلا أعرف لهم في هذه السنة حركة .

وأما أحبار غرهم ففي هذه السنة خرج السلطان النصراني الطاغية ⁽¹⁾

وابن هود ⁽²⁾ إلى بلد المسلمين ، فهبطوا إلى إشبيلية ، وانبسطت خيلهم والدمجمت ⁽³⁾ ما وجدت ، ثم هبطوا إلى شريش فدخلوها وقتلوا من وجدوا فيها وأسموا حوا وبالقوا في نكاية المسلمين ، ثم رجعوا إلى بلادهم .

(1) الواضح أنه يعني به ألفونسو السابع ملك قشتالة ما بين سنتي 1126 و 1137 م .
(2) ولما يسميه ابن القطان « السليطين » لأنه أخذ لقب « امبراطور » Imperador في سنة 1133 م (529) ، على الرغم من صغر سنه حينما ولى الملك ومن كونه تحت وصاية أمه . وذلك أن ألفونسو السابع هذا كان ابن أراكة Urraca (ابنة ألفونس السادس ملك قشتالة وفاتح طليطلة الذي هزمه المرابطون في « الرافة ») وكان مولده سنة 1106 (499 هـ) وولى الملك صغيراً تحت وصاية أمه ، ولهذا فهو « الملك الصغير » Rex Parvus وهذا اللقب هو الذي ترجمه الأندلسيون إلى « السليطين » . أما عن المراجع ألفونسو السابع بنفسه في تلك الغزوة فإنه لا المراجع المسيحية ولا المراجع العربية الأخرى تؤيد ذلك ، في سراحة ، وهو خير ينفرد به ابن القطان .

(3) في الأصل : الطاغية بن هود ، هذا ونلاحظ كذلك أن ابن القطان هو المؤرخ الوحيد الذي يشير إلى اشتراك ابن هود مع القشتاليين في تلك الغزوة الموجهة إلى إشبيلية وشريش Jerez ، ولاشك أنه يعني سيف الدولة أحمد المستنصر بن عماد الدولة عبد الملك بن المستعين أحمد بن المؤمن يوسف بن المنصور أحمد بن سليمان بن أحمد بن هود ، وهو من سلالة بني هود ملوك سرقسطة في عهد العلوانة ، وكان ابن هود هذا هو صاحب قلعة روضة Rueda من عمل مدينة تطيلة Tudela بالغر الأعلى ، ولأنه لم يستطيع الاستمرار بها ، فسلمها للنصارى واشترك في الفتن التي أثرت على المرابطون في الأندلس ، فاستولى على قرطبة زمناً في سنة 539 عندما ثار ابن قسى على الملثمين ، ثم ملك جيان وتنقل بينها وبين غرناطة ودمرهميه وقتل في سنة 540 في غارة للنصارى على مرسية (انظر ابن سعيد : المغرب ، 418/2 ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام من 175 - 176 ، وابن خلدون : العبر 163/4 ، ابن الأبار : الحلة النوراء 249/2 - 252) .

(1) في الأصل : واكتحمت .

١ 72 | وتوجه تاشفين إلى حصن أنطاظة ⁽¹⁾ « بمقربة من قنطرة السيف ⁽²⁾ فنزل فيها بالعساكر ، وقاتلها ، فافتتحها المسلمون عليهم وقتلوا كل من فيها وسبوا النساء والصبيان ، وهدم الحصن إلى أسفله ⁽³⁾ .
وأكلت الجراد زرع هذه السنة .

وفي هذه السنة قتل المسترشد العباسي ، وصلى عليه ابنه الراشد بالله تعالى أبو جعفر منصور المذكور ⁽⁴⁾ .

(1) ربما كانت هذه الغزوة هي التي يشير إليها ابن الخطيب في الإحاطة (ط . عنان 451/1 ، وقد قرأها الأستاذ محمد عبد الله عنان : « شنت إسطين » وقال إنها جاءت في المخطوطين اللذين اعتمد عليهما : « بنط اشطن ») ، وقرأها كوديرا في مخطوط الجمع التاريخي الملكي بمدريد « أنتطش أو « أشطش » (أسرة بني تاشفين ص 128) ؛ أما أويثي في مقاله عن « روض القرطاس والمرابطين » (مجلة إسبريس - سنة 1960 - ص 529 - 540) فإنه قال إن خير تفسير لهذا العلم الجغرافي هو أنه الذي يقع الآن في البرتغال ويسمى Idanha - a - Vella قريبا من الحدود البرتغالية الإسبانية في منطقة Castell - Branco على بعد 150 كيلومترا من ماردة ، وعلى أية حال فإن الخطيب يجعل هذه الغزوة في سنة 528 لا في سنة 527 كما يذكر ابن القطان .

(2) كذا في الأصل ، ولسنا ندري ما إذا كان النص صحيحا على هذه الصورة أم سقطت منه بعض الألفاظ ، فإن أبي زرع الذي يشير إلى هذه الغزوة يقول (روض القرطاس ص 164) : « فيها غزا الأمير تاشفين بن علي قنطرة محمود فدخلها بالسيف » ، ومن هذا نرى أن هذا الموضع كان اسمه « قنطرة محمود » لا « قنطرة السيف » كما جاء في نص ابن القطان . وقد أورد الإدريسي في جغرافيته موضعا يسمى « قنطرة محمود » على ضفاف نهر تاجه بين القنطرة وشتتين (نزهة المشتاق ص 189 وترجمة سافيدرا الإسبانية ص 53) . وانظر تعليق أويثي على هذه الغزوة في مقاله المشار إليه ص 540 .

(3) يشير كوديرا في بحثه عن « بني تاشفين » (ص 134 - 135) إلى أن ابن الخطيب في كتاب آخر له غير كتاب الإحاطة ، وإن كان لم يحدد أي كتاب هو - (مخطوطة الجزائر رقم 1617) تحدث عن غزوة لتاشفين قد تكون هي المقصودة هنا ، إذ يقول - نقلا عن ابن الصيرفي المؤرخ المرابطي - إنه في سنة 527 بلغ تاشفين أن نفرا من قادة النصاري وعظمائهم أغاروا على بطليوس وباجة ويابرة ، فنصدي لهم تاشفين بجيش عظيم وأوقع بهم مقتلة كبيرة ، وفك سراح أسرى المسلمين وعاد ظافراً إلى غرناطة في جمادى الآخرة سنة 528 .

(4) ليس صحيحاً أن مقتل المسترشد العباسي كان في ١٤٨٠هـ ، إذ المعروف أنه قتل في سنة 529 ، والمسترشد هو أبو منصور الفضل بن أحمد ١١١١هـ . عبد الله المنصدي ، بوبع بالخلافة في =

ولعل⁽¹⁾ إن موت الأمر صاحب مصر كان في هذه السنة ، بعث الله
إماماً فوما من عباده لم يعرف من هم⁽²⁾ تعالفاً وتعاقداً على قتل الجبار العنيد
مصر الملقب بالأمر . قيل إنهم قصدوا إليه من بلاد الشام ، فأقاموا بمصر ، وعلموا
بموت ركبوه ، وكان إذا ركب سدت الديار والحوانيت في ممره ، ولا يمر بطريقه
أحد سواه ، ويجعل نصف عسكره أمامه ونصفهم وراءه . وفي وسط كلتا
المسافتين اللتين أمامه وخلفه فارسان بينهما وبينه مثل ما بينهما وبين العسكر ،
وحوله أربعة من خواص عبيده وصاحب مظهره⁽³⁾ هؤلاء هم الذين يخفون به
ويسمون « الركابية » ، وهو راكب على فرس قد عود أنه لا يبول ولا يتغوط ،
وقد اعم بعمامة عظيمة يخرج مقدمها على جبهته مقدار شبر ، قد أمسك بعضها
بعض بإبر مغرورة فيها ، ويسدل من ورائه منها ذؤابة ، وكان كبريى « اللون »⁽⁴⁾
أعين⁽⁴⁾ غليظ الشفتين ضخم الجسم ، بين عينيه لؤلؤة كبيرة لم يخرج قط من
البحر أعظم منها قدر بيض الحمام ، كانت خرجت من البحر أيام المستنصر جد
هذا الجبار العنيد فقصد بها ، فكان هذا المارد إذا خرج يعلقها بين عينيه ،

= ربيع الآخر سنة 512 ، ومولده في سنة 485 ، واغتاله الباطنية في السابع عشر من ذي القعدة سنة 519 ،
« مع عباده ابنه أبو جعفر منصور الملقب بالراشد (انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي 256/5 257) ،
ها . ويبدو أن ذلك الخطأ قد تناقله بعض المؤرخين المغاربة الآخرين ، نذكر منهم ابن عذاري الذي يعتمد
في إبراده على كتاب « المقياس » للوراق (انظر البيان المغرب 311/1) .

(1) في الأصل « وقال » هذا وقد كان موت الأمر وولاية الحافظ في سنة 524 كما سبق أن ذكر ابن
الطباطبائي في أخبار تلك السنة ، ولو أن المؤلف لم يكن متأكداً كل التأكد من ذلك .

(2) ذكر المقرئ أن هؤلاء كانوا عدة من النزارية (المخطوط 378/2) والنزارية هم العلانية التي
كانت ترى أن الخلافة من حق أبي منصور نزار بن المستنصر عم الخليفة الأمر ، وهو الذي قتل أبوه بهاء ،
وأن المستنصر والأمر مقتصبان للخلافة دون وجه حق ، وقد كانت هذه الجماعة شديدة التعصب (أراها ،
وهي التي دبرت مصرع الأمر كما ذكر المقرئ) كما نص عليه أيضاً ابن تغري بردي (المحرم
184/1 185) والمقرئ (نفع الغليب 224/2) .

(3) في الأصل : مظهره .

(4) أي نحاسي اللون كبير العينين .

ليس على رأسه ولا منكبيه رداء ولا طليسان ، وبداه في كعبه ، لا يمسك عناناً ولا يشتغل بشيء سوى ركوبه على السرج ، وكان يفرش له طريقه بتراب لم تطأه قدم قط .

فقصده هؤلاء القوم إلى طريقه الذي عهد سلوكه عليه ، وفيه فرن على ممر الشارع ، وكانوا عشرة رجال ، فقصدوا إلى الفرن ومعهم دقيق ، وقالوا له : نريد منك أن تخبز لنا خبزاً من هذا الدقيق فإننا قوم غرباء مسافرون ، فقال لهم الفرن : مولانا اليوم يمر على هذا الشارع ، فإن أنتم أبطأتم فلا يصح لكم ما تريدون ، وإن أنتم عجلتم صح لكم ذلك . قالوا له : الساعة نفرغ من ذلك وأرغبوه في الأجرة ودفعوها إليه ، فأذن لهم وشرط عليهم العجلة . فجعلوا يتأنون ويحدثون أشغالا والفرن يتعجلهم إلى أن مر عليهم مقدم العسكر الأول الذي يمشي أمامه ، فأعنف عليهم الفرن في الخروج ولم يمهلهم ؛ فلما رأوا ذلك منه اجتمعوا عليه ودسوه في داخل الفرن ، وسدوا فمه بغطائه فشووه .

[73 ب] وأقاموا * بالفرن وبابه مغلق عليهم إلى أن سمعوا وقع حوافر فرسه ، فأول من خرج من الفرن كهمل منهم ، وجعل يسجد إلى الأرض وينادي : أنا بالله وبعدل مولانا ! ، ويسجد سجدة أخرى ويقول مثل قوله ، ويقترب منه وهو يمشي إليه إلى أن ألقى يده في شكائهم الفرس ، وسل من حزامه سكيناً وضرب بها بطن الفرس ، فسقط جميع ما في بطنه ، وسقط على الأرض .

وخرج أصحابه من الفرن بعد ذلك ، وألقى يده في مجامع ثياب ذلك الجبار ، وضربه ضربة فرى بها أوداجه ، وتبادر أصحابه فضربوه بسكاكينهم ضربات كثيرة ، وألقى الله عز وجل السبات على ركابية الجبار إلى أن فرغ من قتله . وحينئذ صرف الله تعالى أرواحهم إليهم ، فوقعوا على الفاعلين فقتلوهم أجمعين ، ووجهوا إلى مقدمة الجيش بسد الدرب القريب منه ، وفعلوا كذلك بالذين من خلفهم ، وذكروا لهم أن مولانا كبا به فرسه ، وكان هذا الموضع قريباً من النيل ، فأتوا بزورق وحملوه وفرسه ، وأدخلوه الزورق ، وأزالوا الدم من ذلك المكان وغيره ، وغيروا من أمره ما استطاعوا وقذفوا به ، وحملوه إلى قصره بالقاهرة ،

والقصص غيره وثبت مدبره ، وأراح الله تعالى منه عباده وبهلاذه (١) .
 « | واختلف الناس على | (٢) من يلي الأمر من بعده ، إذ لم يترك ولدا ،
 فأرادت عمته أن تولي بعده فتاه « حرز الملوك » (٣) ، فأدخلته القصر وعزمت على
 ذلك ، وسمع هذا الأمراء والقواد ، فأنفقوا (٤) أن يلي عليهم من صفته تلك ، وزحف
 جميع العسكرية لما بلغهم ذلك إلى القصر ، فصاحوا ، فأغلق في وجههم ، فقالوا :
 لا ، لم نخرج إلينا الفاعل الصانع الذي تريدون أن تؤمروه لتضمرنه نارا على | من
 فيه (٥) | ! فأمرت العمدة بخرز الملوك (٦) ، فقتل ورمى رأسه إليهم ، فسكنت
 سبورهم ، فولوا أمرهم ابن الأفضل بن أمير الجيوش ، فتولى عليهم بمدة من عشرين
 شهرا ، ثم عدوا عليه فقتلوه . وتولى الأمر بعده شيخ من آل عبيد من ولد
 المستنصر (٧) كان يغسل موتى القصر (٨) . فأحسن السيرة ، وجمع الناس . ودام
 أمره إلى سنة أربعين وخمسمائة (٩) ، وتلقب بالحافظ لأمر الله .

(١) يتفق ما جاء في هذا الخبر في جملة مع ما ذكره المقرئ في وصف اغتيال الأمر (المجلد
 ١٧٩/٢) وابن تغري بردي (الهجوم ١٨٤/٥ - ١٨٥) وابن خلدون (العبر ٧١/٤) وابن الأثير (الكامل
 ١١٢/٨) وابن حماد (أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ص ٦٠) والمقرئ (نفع الطيب ٢٩٤/٢) ، ملأ له
 « ابن القطان » يشتمل على كثير من التفاصيل الشائقة التي ينفرد بها ، وقد ذكر ابن عذارى في البداية
 (٣١١/١) أن الذي قتل الأمر هو الغلام الذي اسمه « حرز الملوك » والذي يسميه المقرئ هزار الملوك
 (٢) في هذا الموضع قطع بقدر ثلاث كلمات ، وقد أكملنا السياق بما لا نظنه يخرج عن معنى
 الأصل .

(٣) في الأصل : « هزار ملك » ، وقد تكرر ذكره قبل ذلك كما أثبتنا هنا .

(٤) في الأصل : فأنفقوا .

(٥) كلمتان غير واضحتين في الأصل .

(٦) في الأصل : هزار ملك .

(٧) في الأصل : المنتصر .

(٨) المعروف أن عبد المجيد الحافظ بن أبي القاسم محمد بن معد المستنصر ولي الخلافة بعد مقتل الام
 على أنه كفيل للولد الذي كان الأمر قبل وفاته أشار إلى أنه سيولد له من جارية عينا ، ثم إن هذه الحاربه لم
 فمضت خلافة الحافظ بعد ذلك ، وكان حرز الملوك (أو هزار الملوك كما يسميه المقرئ) قد وزر له هو « ناصر
 متولي الباب ثم أبو علي أحمد بن الأفضل (انظر ابن تغري بردي : النجوم ٢٤٠/٥ - ٢٤١) .

(٩) كذا ، والمعروف أن خلافة الحافظ استمرت حتى جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ إذ توفي في هذا الشهر .

باب

في ذكر أنباء سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

أما أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى فقليل إن الموحدين أعزهم الله تعالى قتلوا ابراهيم بن تاعياشت في غزوة أثارها ، وكانت الدبرة عليه . وكبائه فرسه فقتل . وهو ابراهيم بن يوسف الزرجاني ⁽¹⁾ [وللمؤرخين] ⁽²⁾ المعتنين بهذا الشأن اختلاف في [ميقات] ⁽²⁾ ذلك وكيفيته ، * وهذا أشبه ما [رأيته في ذلك] ⁽²⁾ . [74 ب]

أخبار غيرهم :

فيها عزل علي بن يوسف الزرجاني أبا عبد الله ابن أصبغ ⁽³⁾ عن القضاء بقرطبة ، وولى أبا عبد الله محمد بن [الحاج] ⁽⁴⁾ قضاءها ؛ وولى على قضاء إشبيلية أبا بكر ابن العربي ⁽⁵⁾ ؛ وشرع في بناء سور إشبيلية من جهة الوادي بأمر علي بن يوسف ⁽⁶⁾ .

(1) سبق أن عرفنا بابن تاعياشت (أو تعيشت) هذا تعريفا وافيا (راجع ص 130 ، حاشية 2) .

(2) كلمات غير واضحة في الأصل .

(3) انظر ما سلف أن كتبناه عن القاضي ابن أصبغ المعروف باسم ابن المناصف عند إفراد ابن

القطان خبر ولايته على قضاء قرطبة (ص 150 ، حاشية 2) .

(4) مكان هذه الكلمة بياض في الأصل ، وقد استكملناها بفضل ما تدل عليه المراجع الأخرى ،

وابن الحاج هذا هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن ابراهيم بن لب بن ييطير التيجي ، ولد سنة

458 ، وكان من جلة العلماء والمحدثين رأسا في الشورى ، وكان له مجلس بالمسجد الجامع بقرطبة ، وتقلد

قضاء الجماعة في هذه القاعدة مرتين ، ولم يزل متوليا للقضاء للمرة الثانية حتى قتل وهو ساجد لاربع

يقين من صفر سنة 529 ، وسيذكر ابن القطان نبأ اغتياله بعد قليل (انظر في ترجمته ابن بشكوال :

الصلة ، رقم 1278 ، والنهاية : المرقبة العليا ص 102) .

(5) سبق أن عرفنا بأبي بكر ابن العربي الإشبيلي (راجع ص 71 حاشية 3) .

(6) وافانا ابن عذارى بتفصيل عظيم القيمة عن الإصلاحات والترميمات الكثيرة التي اضطلع بها

المرابطون في أسوار قواعد الأندلس ولا سيما غرناطة وقرطبة وإشبيلية والمرية ابتداء من سنة 520 ، ويبدو أن

الفضل في هذه الأعمال كان يرجع إلى النصيحة التي أسداها الفقيه ابن رشد القرطبي لعلي بن يوسف =

وفي هذه السنة نازل ابن رذمير إفراغة⁽¹⁾ ، وحاصرها ، وهزم ابن رذمير لعنه
الله تعالى وقتل رجاله ، ثم مات هو على أثر ذلك .
وفي هذه السنة⁽²⁾ فنادق قرطبة حتى كان⁽³⁾ .
وأكلت الجراد ما كان على الأرض من [زرع وكلاء⁽⁴⁾] .

* * *

-
- (انظر تفصيل الأخبار الخاصة بذلك في القسم المرابطي من البيان ص 73 - 74 ، والترجمة الإسبانية
للك النصوص في مقال الأستاذ أويثي : علي بن يوسف ص 101) .
(1) سيمود ابن القطان للحديث بالتفصيل عن موقعة إفراغة في أخبار سنة 529 ، والصحيح أن
تاريخ هذه المعركة في سنة 528 كما ذكر المؤلف هنا لا كما ينقل بعد عن الوراق .
(2) قطع في الأصل بقدر كلمة .
(3) قطع بقدر كلمتين أو ثلاث .
(4) كلمتان غير واضحتين في الأصل لطمس وقطوع ، ولعلها كما أثبتنا .

باب

في ذكر أنباء سنة تسع وعشرين وخمسمائة

في هذه السنة كان الإعلان بموت الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ⁽¹⁾ .
والإعلان ببيرة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين ، فرفع الغطاء ، وسطح
الضياء ، وبهرت الشمس ما دونها من السحاب ، وتبلج الحق واضحا بغير
حجاب ، وكملت السُنَّة ، وهملت المنة ، وخلص العدل من محاقه ، ودام الفضل
في اتساقه ، ⁽²⁾

١٧٥ | « نبأيعك على ما بايعنا الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه !

فمد يده فبايعوه ، واتصلت البيعة ثلاثة أيام ⁽³⁾ ، فأشرقت الأرض بنور
إمامته ، ونال أهلها عظيم حظوته وكرامته ، ولاحت غرر الفتوح زاهرة ، وأقبلت
المسرات متتابعة متواترة ، والحمد لله رب العالمين .

(1) أشرنا من قبل إلى اختلاف المؤرخين حول تاريخ الإعلان بموت المهدي وبيعة عبد المؤمن
(راجع ص 204 ، حاشية 1) .

(2) ينقطع النص هنا لحرم وقع فيه ، ولننقل في هذا الموضع عن كتاب أخبار المهدي للبيدق (ص
85) نصه عنبيعة عبد المؤمن ففيه إكمال لما ذهب هنا من خبر ذلك ، وقد جعل البيدق ذلك بعد غزوة
عبد المؤمن بجزولة ورجوعه إلى تينملل :

« وصاح بالقبائل ، وضم الموحدنين ، وحفل (في الأصل : وجعل) المجلس ، فاستعمل ركائز ،
وحال بين الرجال والنساء ، ثم وعظ الناس ، وقال لهم في آخر كلامه : بقي عندكم عهد ببيعة المهدي
(رضه) ، قالوا : نعم . فقعده ، ثم وعظ أبو إبراهيم ، ثم وعظ عمر أصناج ، ثم سائر المشيخة رضي الله
عنهم أجمعين . ثم قال لهم : المهدي قد توفي رضي الله عنه ، فبكى الناس ، ثم قال لهم : اسكتوا .
فسكتوا . فقال أبو إبراهيم وعمر أصناج وعبد الرحمن بن زجو وعبد بن محمد لعبد المؤمن : امدد يمينك
نبأيعك ... الخ » .

(3) كذا ذكر البيدق أيضا (انظر الموضع المشار إليه في الحاشية السابقة) وكتاب أويشي : تاريخ

ومبارت حصون الفلاكي كلها لهم ، وصار الفلاكي يغير على جهات السوس وجهات أغمات والموحدون في كل يوم تنمى أحوالهم ، وتزيد عساكرهم ورجالهم ، وزاد فهم منسجاة الجبل وهسكورة الجبل ، ودخلوا تارودانت وإنجلي ، وهما مدينتان من السوس الأقصى .

وذكر ابن الراعي رسالة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنهم التي يذكر فيها دخول تارودانت ، فأريت إثباتها هنا ، ليتبين منها كيفية فتح السوس :

« وذلك أن فيها فتح السوس وأن الموحدون أعزهم الله تعالى لما استولوا على بلاد السوس من أوله إلى آخره ، من فوقه إلى أسفله ، فقتل أهله ، وانجل من لم يقتل منهمزمين إلى كل أفق مما حواله من هنكيسة وجزولة ، وبعضهم قد انحصر مع المثلثين بتيونوين ، فكان آخر هزائمهم التي هزمهم الموحدون أعزهم الله تعالى فيها هي الهزيمة التي قتل فيها توجين ⁽¹⁾ ؛ ثم قنطوا من سوس ويشسوا منه ، فانقبضوا بتيونوين في ذل وخزي ورعب ، لا يستطيعون حيلة ، ولا يقدرّون على حركتهم ، والحمد لله الذي أظهر ضعفهم ، وأخذهم بسوء فعلهم .

ولما بلغوا هذا المبلغ زادهم الله تعالى استدراجا ومكرا ، فقام المخدول العليج « الأعرج » ⁽²⁾ من أجر فرجان ، فاقتحم بنفسه في طريق إيغيران تطوف في حال غفلة من الموحدون أعزهم الله تعالى الذين عليها ⁽³⁾ حتى جاز عليهم . ولم يشعروا به حتى فاتهم بمن معه هارين ، فاتبعهم الموحدون حتى وصلوا إلى بلاد السوس ، ولاشك في أن الله تعالى قد علم في ذلك خيرا ، إذ هو المدبر لهذه الأمور ، ولم يكلها إلينا ، والحمد لله رب العالمين .

(1) لم يرد ذكر لهذا القائد المرابطي في أي مرجع آخر .

(2) يبدو أنه يعني به القائد المعروف « البربرير El Reverter » الذي تكرر ذكره فيما سبل ،

كما يقول أويشي في تاريخه (112/1) .

(3) في الأصل : عليهم .

ولم يصل العليج إلا بنحو أربعمائة برذون ، فلما وصل إلى تيونوين تسامع به من فر إلى الأطراف من بقية أهل سوس ، فكان هو معبودهم ومُتَّبِعُهُمْ ، فاتكَلُوا عليه ونسوا ربهم ، وجهلوا أمر الله تعالى ، واغترأوا بقدمه ، فرجعوا إلى أوطانهم . وحسبوا أنه يمنعهم من بأس الله مع أنهم لم يجدوا في الدنيا مهرباً ولا ملجأ ، فبادروا إلى النزول في بلادهم ، فميزنا عسكرياً مباركاً من خيل ورجل ، فخرجوا إلى ناحية تارودانت ، وبعثنا تلك الليلة سرية إلى أسفل السوس ، فوجدوا بلاد المجسم معمورة قد سكنوا بأهاليهم ومواشيهم ، فقتلوهم وغنموا أموالهم بقرا وغنا ودواب⁽¹⁾ وعبيدا ، وسبوا ذراريهم وأهاليهم ، ورجعوا سالمين غانمين . ثم بعثنا سرية أخرى في الليلة التي تليها إلى بقية تلك الناحية ، أعنى أسفل السوس ، فقتلوا مقتلة أكثر من الأولى ، وغنموا أكثر مما غنم⁽²⁾ أصحابهم .

وأما العسكر فقصدوا إلى تارودانت حتى دخلوها ، فوجدوا البقية * التي رجعت إليها هاريين قد بعث إليهم المثلثون المحصورون بتيونوين حين عاينوا عسكر الموحدين أعزهم الله تعالى قد أقبل إليهم فقالوا لهم : انجوا بأنفسكم ! قد غشيكم عسكر الموحدين أعزهم الله تعالى ، فهربوا إلا بعض من كان في أطراف البلد مثل تاجندويت ورقالة ، فقتل الموحدون من وجدوا .

ثم نزل الموحدون في وسط تارودانت ، واستقروا بها ساكنين وهزموها وحرقوها وأطلقوا النار في القصب ، إذ لا يقدر عليه من كثرتة إلا بالنار ، ونحن ننظر⁽³⁾ إلى الدخان قد علا وارتفع في الهواء⁽⁴⁾ ، وتألف فصار كالسحاب المتراكم ، والكفرة بتيونوين لا يقدر أن يكثر من النظر إلى الدخان والنيان تضرم في منازلهم وأوطانهم ، وهم مع العليج لم يزدادوا بقدمه عليهم إلا شدة هول وحصار

(1) في الأصل : ودواب .

(2) في الأصل : غنموا .

(3) في الأصل : ننظروا .

(4) في الأصل : الهواء .

و خوف و جوع ، ولما أبقن البربر وغيرهم بعجز العليج انكسرت قلوبهم ، واستعمرت الهزيمة عليهم ، والحمد لله الذي أخذهم بذنوبهم ، وانتقم منهم شرهم » (1) .
 ومما كان في هذا العام حركة الخليفة رضي الله تعالى عنه إلى بني يبيغر (2) ، وسببها أنهم قتلوا أبا محمد عبد العزيز الغيغائي (3) من أصحاب الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، كان توجه داعية لهم ، فغدروه وقتلوه ، وتحرك سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه إلى أشفشد من بلد بني يبيغر (4) سنة تسع وعشرين وخمسائة .
 فلما نزلت المحلة هنالك أخذت بنوييغر (5) حزم الخطب ، فربطوها على ظهور الجمال ، وأضرموا فيها النار ليلا . وأطلقوا الجمال في المحلة ، فنفر الناس ، ومسارت بنوييغر (5) إثر جمالمهم حتى وصلوا إلى خباء سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه ، وجللوا بالرماح ، وكان سيدنا ومولانا الخليفة « رضي الله تعالى عنه قد أخذ بالحزم ليلتين ، فحاد عن خبائه المعروف له ، وأخفى موضع مبيته احتياطا ، فسلمه الله تعالى ، وله الحمد كثيرا (6) .

(1) ينفرد ابن القطان بتفصيل هذه الأخبار دون غيره من مؤرخي الدولة الموحدية . وانظر أوتهني تاريخ 110/1 - 113 .

(2) في الأصل : يبيغر ، وبنو يبيغر بطن من هنتاة على ما يذكر صاحب كتاب المقتبس (أخبار المهدي ص 41) .

(3) في الأصل : الغيغادي ، وهو أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله الغيغائي الذي سبق لابن القطان أن ذكره من بين طبقة أهل الدار من طبقات الموحدين (انظر ص 87) وقد ذكره أيضا صاحب كتاب المقتبس فاعتبره مرة من أهل الدار ومرة أخرى من أهل الجماعة (أخبار المهدي ص 29 ، 33) .

(4) في الأصل : يعز .

(5) في الأصل : يعز .

(6) لعل هذا الخبر الذي يرويهِ ابن القطان هنا في واقعية وإنجاز ودقة هو الذي نسج حوله بعض المؤرخين المتأخرين أسطورة من أساطير البطولة تراها مروية بشكل متباين لدى عبد الواحد المراكشي وابن أبي زرع . أما الأول فإنه يذكر أن قوما من قرابة محمد بن تومرت تأمروا على أن يدخلوا على عبد المؤمن خبائه ليلا فيقتلوه ، فإذا فعلوا أصبح الأمر لهم ، فعلم بذلك أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى الهزرجي ، فسأل عبد المؤمن أن يذمه بهيت تلك الليلة في شبائه ، فأجابته عبد المؤمن إلى ذلك ، ودخل أولئك العوم -

ومن تلك الليلة رتب ساقه تيطاف للمبيت في الليل إيهيتيجمي⁽¹⁾ وكانت
ملحمة عظيمة ، وأخذ رجلان من بني ييغز في خباء سيدنا ومولانا الخليفة الإمام
رضي الله تعالى عنه . فقبل لهما⁽²⁾ عند الصباح : ما كان غرضكما⁽³⁾ ؟ فقالا :
قتل الخليفة . فأمر بقتلهما ، وتراجع الناس . ومكث سيدنا ومولانا الخليفة رضي
الله تعالى عنه هنالك أربعين يوما ، ثم رجع إلى تينملل .

بمرباوي
الده

* * *

= وتولوا النائم بالحديد حتى مات وكانوا يظنونونه عبد المؤمن ، فلما أصبحوا وعلموا بالأمر فروا إلى
مراكش ، أما عبد المؤمن فإنه لما علم بالخبر أعظمه ووجد على أنى إبراهيم وجدا شديدا (انظر المعجب
ص 303 - 304) ؟ أما ابن أنى زرع فإنه يقول إنه لما طال بالموحدين الإقامة بالشرق (أثناء غزوة
إفريقية) والتغرب عن أولادهم عزمت طائفة منهم في سنة 555 على قتل عبد المؤمن والفتك به في خبائه إذا
نام ، فعلم بذلك احد المخلصين للخليفة فأخبره بالخبر وطلب منه أن يبيت بخبائه تلك الليلة ويفديه من
الموت ، ففعل واستشهد الرجل ، فلما أصبح عبد المؤمن بنى قريبا من موضع مصرعه قبة وجامعا ثم أمر
ببناء مدينة حول المسجد ، وهي المدينة التي أصبحت تحمل بعد ذلك اسم « البطحاء » (روض القرطاس
199 - 200) . وانظر عن هذه الأسطورة كذلك بحث الأستاذ أويثي عن « الأسطورة والتاريخ في نشأة
الدولة الموحدية » في كتاب تاريخ الدولة الموحدية 606/2 - 608) .

(1) كذا في الأصل ، ولم نهتد إلى وجه في تأويلها .

(2) في الأصل : لهم .

(3) في الأصل : غرضكم .

أخبار الأندلس⁽¹⁾ في هذه السنة :

فدحا وثب على قاضي قرطبة أبي عبد الله بن الحاج في المسجد الجامع في صلاة الجمعة في السجدة الأولى من الركعة الأولى وهو ساجد قتل واحتمل في عشرين بدمائه ، فمات في داره عشية ذلك اليوم الذي هو يوم الجمعة لخمس بقين من صفر⁽²⁾ ، وقتل قاتله في الحين في صحن الجامع⁽³⁾ .

وخرج تاشفين الزرجاني وهو صاحب قرطبة لحيل ظهرت وأغار ، واستنفر الناس ، فخرجوا وأوعبوا ، وخرجت عساكر إشبيلية ويابرة⁽⁴⁾ واجتمع عليهم بشر كثير . فنزل المسلمون في موضع يعرف بالبكار⁽⁵⁾ ليكون اللقاء | في |⁽⁶⁾ يوم آخر ، فعاجلتهم خيل النصارى وهجمت عليهم بالليل ، فتخلخلت المحلة . وخاف⁽⁷⁾ الناس وتخاذلوا ، فقتل من المسلمين ناس كثير ، ونهبت أسبائهم وأمتعتهم ، وفر المسلمون تحت ظلام الليل على وجوههم ، وقصد النصارى نحو خباء تاشفين ، فكانت للمسلمين هنالك جولة ، ثم ثبت النفر اليسير ، وأصيب من النصارى هنالك زعيم منهم ، وصد الله تعالى بلطفه النصارى ، ونكصوا على أعقابهم ، « وأصبح⁽⁸⁾ تاشفين في موضع علمته ، |

(1) في الأصل : الموحدين ، وقد أصلحناها بما يتفق مع السياق .

(2) في الأصل : سفر .

(3) انظر تعليقنا السابق (ص 234 حاشية 4) .

(4) في الأصل : وتابرة ، والصواب ما أثبتنا ، ويابرة (وتكتب أيضا « يابورة ») هي التي تسمى

الآن Évora في البرتغال .

(5) في الأصل : بالبكار ، ويكتب أيضا « فحص البكار » ، وهو الموضع الذي يسمى الآن

Albacan على بعد 20 كيلومترا إلى الشمال من قرطبة .

(6) إضافة يقتضيهما السياق .

(7) في الأصل : وخاض .

(8) في الأصل : وأصلح .

فتاب الناس إليه ، وأقبلوا عليه ، وأخذ بهم في الانصراف إلى حصن قصرش ⁽¹⁾ من حصون المسلمين ، ثم رجع بالناس إلى قرطبة ، وتفرقت العساكر ، ورجعت النصرارى بغنائمهم إلى بلادهم ⁽²⁾ .

ومحت الجراد ما على الأرض من زرع وكلاء ، وأمر الناس بالخروج إليها ، فساقوا منها خمسة آلاف عدل وثلاثمائة وثلاثين عدلا . وما غاب عن العيون أكثر تركت في الموضع الذي قتلت فيه ولم تحمل ⁽³⁾ .

(1) بالإسبانية الآن Cáceres

(2) أشار أيضا إلى تلك الغزوة ابن الخطيب في ترجمته لتاشفين في كتاب الإحاطة نقلا عن أبى بكر الصيرفي (مخطوطة مكتبة الجزائر التي أشرنا إليها من قبل ، ورقة 107 على ما يذكر كوديرا في بحثه عن أسرة بني تاشفين ص 137 - 138 ؛ ولم يرد هذا النص في طبعة محب الدين الخطيب ولا طبعة الأستاذ محمد عبد الله عنان لكتاب الإحاطة) . ويقول ابن الخطيب في ذلك النص إن جيوش تاشفين فوجئت بمهاجمة الجيوش المسيحية ، ففرق عنه أصحابه ولم يبق هو إلا في عدد قليل لا يتجاوز أربعين رجلا ، إلا أنه ثبت في هذه المعركة ثباتا منحه الله فيه النصر ، وابن الخطيب يحدد مكان هذه الموقعة بفحص البكار ولكنه لا يحدد تاريخها . ويضيف كوديرا في تعليقه عليها أن « حوليات ألفونسو السابع » تشير إليها أيضا ، فتقول إن تاشفين خرج من قرطبة ومعه الزبير بن عمر أمير قرطبة (ويطلق عليه المرجع المسيحي اسم Azubel) وقائد آخر تسميه Abenzeta أمير إشبيلية مع غيرهم من زعماء المسلمين في جيش ضخم متوجهين لمغاورة طليطلة ، فلما بلغ جيش المسلمين إلى اليسانة Lucena خرج إليهم ألف من فرسان أبلة Avila وشقوية Segovia وعدد كبير من الرجالة ، وهم متوجهون للإغارة على بسائط قرطبة ففاجأوا معسكر تاشفين ، وأخذ المسلمين على غرة ، فوقع الاضطراب في صفوفهم ، ثم عاد فريق من المسلمين فالتفوا بتاشفين وذبوا عنه ذبا شديدا ، واشتد وطيس المعركة ، فخرج تاشفين ، واضطر إلى الهرب على فرس بغير ركاب وقد أصيبت ساقه ، فبقى بعدها أعرج بقية حياته . هذا هو مجمل ما يقوله المرجع المسيحي حول تلك المعركة ، ومن الواضح أن الخبر على هذه الصورة فيه من المبالغة وسعة الخيال الشيء الكثير ، إذ أننا نرى من وصف ابن القطان للموقعة - وهو مؤرخ متحامل على المرابطين متصيد لأخبار هزائمهم - أن تاشفين لم يفر من ميدان المعركة ولم يصب تلك الإصابة التي يتمدح بها المصدر المسيحي ، على أن الخبر إذا عرى من تلك المبالغات يتفق في جملته مع ما يذكره ابن الخطيب وابن القطان هنا (انظر بحث كوديرا المذكور ص 136 - 137) .

(3) إلى ابن القطان يرجع الفضل في امدادنا بهذه الأخبار حول قتل الجراد بمقول الأندلس فيما بين سنتي 527 و 531 ، ويبدو أن تلك الأضرار قد أصبحت من مشاغل الحكومة المرابطية التي وجهت =

وقتل يهودي مسلماً ، فاستطال المسلمون على اليهود ، فهبت أمواهم ،
 ١٨٠ مت ديارهم ، وذلك بقرطبة .

وبقيت قرطبة أشهراً دون قاض ، ثم ولها أبو جعفر حمدين بن حمدين^(١)

قال الوراق :

ومن أغرب ما كان في سنة تسع وعشرين^(٢) هزيمة الطاغية

إلهاماً حاملاً ، لما نرى في الرسالة التي كتبها عن علي بن يوسف الكاتب الأندلسي أبو بكر ابن
 الخطيب « حص على قتل الجراد » ، وقد نشرنا هذه الرسالة في جملة ما نشرناه من الرسائل المرابطية
 انظر : « وثائق تاريخية جديدة .. » ص 164 ، 186 - 188 .

(١) هو أبو جعفر حمدين بن محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي القرطبي ،
 أصابه من بابه من عمل غرناطة ، ولى قضاء الجماعة في قرطبة في شعبان سنة 529 ، وذلك بعد الفترة التي
 أعقب أعمال أبي عبد الله بن الحاج الذي قتل في المسجد الجامع في صفر من هذه السنة على ما سبق أن
 أورد ابن الخطيب وغيره من المؤرخين ، أي بعد أن بقيت قرطبة من غير قاض أكثر من خمسة شهور ، وظل
 ابن حمدين على قضاء قرطبة حتى سنة 532 إذ صرف عن هذا المنصب بأبي القاسم أحمد بن محمد بن
 ... ، ثم استعفى ابن رشد فأعفى وعاد ابن حمدين إلى تولي القضاء سنة 536 . وفي سنة 539 قام بإعلان
 الثورة على حكم المرابطين بعد أن بلغته أنباء ثورة ابن قسي في غرب الأندلس ، وتسمى بأمر المسلمين
 المصور بالله ، ودعى له على منبر قرطبة وأكثر المنابر الأندلسية ، ولكن ولايته لم تطل ، وتناورته الهن ،
 وخرج إلى العداوة المغربية وأقام هنالك وقتاً ، ثم عاد فاستقر بمالقة وتوفي سنة 548 (انظر في ترجمته
 العربي : بغية الملتمس ، رقم 685 ؛ ابن الأبار : التكملة ، رقم 119 والحلة السيرة 204/2 ، 206 ،
 211 ، 219 ؛ وابن الخطيب أعمال الاعلام ص 252 - 254 حيث يسميه أحمد بن محمد ؛ ومن الأبحاث
 الهامة : فرانسيسكو كوديرا : اضمحلال دولة المرابطين في الأندلس ص 53 - 67 ، ص 298 - 295 ،
 وبيسك فيلا : المرابطون ص 288 - 291 .

(٢) هكذا ذكر ابن الخطيب في تاريخ هذه الموقعة نقلاً عن الوراق ، وقد قدمنا أن الصحيح هو ما
 سبق أن أوردناه من قبل من أنها كانت في الثالث والعشرين من رمضان سنة 528 (17 يولييه 1134) ،
 ويؤكد ذلك ما يذكره الضبي في ترجمته لعالمين توفيها في سنة 528 المذكورة (بغية الملتمس ص 95 ، 406)
 وما يذكره سائر المراجع المسيحية التي أورد رواياتها كوديرا في بحثه عن « اضمحلال دولة المرابطين »
 (ص 269 ، 272) ، وقد جاء في الروض المغطر لابن عبد المنعم الحيمري أن الموقعة كانت في سنة 529
 (انظر ص 24 - 25 من النص العربي) ولو أن ذلك يبدو مجرد خطأ مطبعي إذ أن ليفي بروفنسال ينص ..

ابن رزمير^(١) - لعنه الله تعالى - مدينة إفراغة من الثغر المصائب لبلاد الفرنجة وذلك أن اللعين لما تغلب على الثغر الأعلى : مدينة سرقسطة وذواتها ، ومدينة تطيلة وذواتها ، وقلعة أيوب وذواتها ، وسواها ، وهزم عساكر لمتونة وقهرهم في مواطن كثيرة رأى ذلك البرشلوني^(٢) مضاهيهم في الثغر الأعلى ، فاشرب إلى التغلب على ما يجاوره من البلاد : لا ردة وإفراغة وغيرهما ، ونظر لمتونة إلى ذلك ، فخافوا أن يفتق عليهم فتق آخر من البرشلوني . فصالحوا البرشلوني باثني عشر ألف دينار يؤدونها له في كل سنة صلحا عن هذا الثغر الذي يصاقبه ، ويستريحون^(٣) من شره ولا يكابدون حريين ، وذلك عن أمر علي بن يوسف ؛

= في ترجمته الفرنسية لهذا الكتاب (ص 31) على أنها كانت سنة 528 ، أما ابن الأثير فقد تحدث عنها في أخبار سنة 529 (الكامل 351/8) . وانظر كذلك ما كتبه عنها ابن الخطيب في الإحاطة في ترجمتي يحيى بن علي بن غانية (344/4) ومحمد بن سعد بن مردنيش (121/2) وكذلك (108/1) ، ثم في أعمال الاعلام ص 259 - 260 ؛ وأخيراً بحث بوسك فيلا عن المرابطين ص 240 - 241 .
(1) يعني به ألفونسو الأول ملك أرغون الملقب بالمحارب ، وقد مر ذكره من قبل (انظر ص 152 ، حاشية رقم 1) .

(2) في الأصل : البرشلوني ؛ والذي يشير إليه ابن القطان هنا من مهادنة المسلمين لقومس برشلونة ودفعهم الجزية له جديد لا نعرفه في أي مرجع آخر من المراجع التي تحدثت عن ملايسات وقعة إفراغة (بالإسبانية Fraga) ؛ أما هذا « البرشلوني » فلا بد أنه يعني به « ريمند بن برنجار » (المعروف في المراجع الإسبانية باسم Ramon Berenguer III والملقب بالعظيم El Grande) ، ولي إمارة برشلونة بين سنتي 1096 و 1131 م . (497 - 525 هـ) ؛ ويبدو من الغريب أن يصل الأمر بالمسلمين إلى دفع الجزية له ، إذ أن هذا الأمر لم يعرف له كبير نشاط من الناحية العسكرية ضد المسلمين ، وكل ما عرف من ذلك عنه هو توجيهه حملة غير موفقة إلى مسلمي مدينة مريبطر Murviedro سنة 499 هـ . (1098) ثم اشتراكه مع القراصنة الجنوبيين والبيزيين في غزو جزيرتي ميورقة ويايسة سنة 508 (1114) ، وحتى هذه الحملة لم يتح لها نصيب كبير من النجاح ، إذ أن القوات المتحالفة اضطرت إلى الجلاء عن ميورقة ويايسة في سنة 509 بعد أن وجه على بن يوسف أسطولاً كبيراً لاستنقاذهما (انظر مقالنا « وثائق تاريخية ... » ص 158 - 160) ؛ أما أبناء ريمند بن برنجار الذين وزع عليهم مملكته بعد وفاته فلم يعرف لهم أيضاً نشاط حرلي يذكر (انظر عن حكم هذا الأمير كتاب أجوادو بلبية : تاريخ إسبانيا في العصور الوسطى ص 632 - 634) . وعلى أية حال فلهذا النص قيمته في بيان ما كان بين مملكتي برشلونة وأرغون من تنافس .

(3) في الأصل : ويستريحون .

ولم يخف عن اللعين ابن رذمير هذا التدبير ، فآسفه وغاضبه ⁽¹⁾ وقال : هؤلاء العمال الصنائع يؤدون الإتاوة للصنائع الفاعل ، ولو أعطوني أنا درهماً واحداً لأخذته ، يعلم أني قهرتهم وغلبتهم ! وحلف بأيمان مغلظة عنده : لأنزلن على تلك البلاد ⁽²⁾ التي يؤدون عليها الجزية ⁽³⁾ ، فأصيرها في ملكي ، وأقطع منفعتها عن الفاعل الصنائع البرشلوني ، حتى يعلم أهل الأرض أني قهرتهم في كل وجه !

فجيش جيشه ، ونزل على مدينة إفراغة ، لما كانت أمنع تلك المدن وأحصنها ، وأهلها أسند ذلك الصقع ، فنازلها وأقسم بجميع أيمانها لا يقلع عنها حتى يستحوذ عليها .

وكان القائد بيلنسية يدر بن ورقاء ⁽⁴⁾ ، والقائد بمرسية يحيى بن علي بن غانية ⁽⁵⁾ . فلما مات يدر جمع علي بن يوسف عمله إلى ابن غانية فسكن مدينة بيلنسية ، واجتمع عليه عسكرها ، ولما طاول ابن رذمير حصار مدينة إفراغة

(1) كذا في الأصل ، وربما كان الأقرب : وأغضبه ، وقد تكون : وغازبه ، فالناسخ كثيرا ما يخلط بين الضاد والطاء .

(2) في الأصل : الجزية .

(3) سبق أن علقنا على شخصية أبي عبد الله يدر بن ورقاء هذا (ص 152 ، حاشية 3) .

(4) هو أبو زكريا يحيى بن علي بن غانية الصحراوي ، وغانية اسم أمه ، وتزوج عامل قرطبة أبو عبد الله محمد بن الحاج من أمه غانية هذه بعد موت أبيه وكفله ، فنشأ يحيى في كتفه ، وولاه مدينته Ecija فهي أول ولاية له ، ثم رغب يدر بن ورقاء صاحب بيلنسية إلى السلطان علي بن يوسف في توجيه يحيى إليه ليستعين به على العدو لما اشتهر من بسالته وغنائه فأجيب إلى ذلك ، ووصل يحيى إلى بيلنسية وأقام بها ، ويبدو أن يدر بن ورقاء أسند إليه عمل مرسية من قبله في سنة 511 على ما يذكر ابن عذارى في القسم المراتبي من البيان ، فلما توفي يدر بن ورقاء في سنة 524 ضم علي بن يوسف عمل بيلنسية مع عمل مرسية إلى يحيى بن غانية كما يذكر ابن القطان هنا ، وأصبح نظره بذلك يشمل شرق الأندلس كله ، وقد ظهر غناؤه وطار صيته ولا سيما بعد هزيمته لابن رذمير (ألفونسو المহারب) في إفراغه سنة 528 ، كذلك كان له بلاء عظيم في مدافعة النصارى عن مدينة الإشبونة (لشبونة) في حرب الأندلس ، ثم ولاه تاشفين بن علي على قرطبة في سنة 538 ، فاستقامت أحوال الأندلس بمس سيرة إلى صفر من عام 539 حينما نشبت ثورة ابن قسي بعرب الأندلس على المرابطين ، ثم ثورة ابن حمدين بقرطبة ، -

وضاقت بهم الأمور كتبوا إلى يحيى بن غانية يشكون إليه ⁽¹⁾ ويرغبون إليه في إدخال القوات عندهم ، فما بقي لهم من القوات إلا اليسير « وإن أنت لم تفعل خضعنا لابن رذمير وأعطيناه المقادة » .

فلما قرأ كتابهم نظر لهم في الميرة ، واستجاش وأرضخ ⁽²⁾ العطاء لأهل عسكره ، وأخبرهم أنه باق على لقاء عدوه ابن رذمير ، وأعتق بعض إمائهم ⁽³⁾ وعبيده ، وكتب وصيته . فقال له بعض خاصته : تغزو بهذا العسكر وليس للمسلمين عسكر بالأندلس سواه ؟ فكيف تلقى علي بن يوسف بعد ⁽⁴⁾ اليوم وقد انهزمت ؟ . [قال ⁽⁵⁾ :] فليصنع بي ما شاء ، إلا إن فتح الله تعالى للمسلمين في هذا الغزو ! .

= وكان يحيى قد توجه إلى لبلبة Niebla لإخماد ثورة ابن قسي حينما بلغته ثورة ابن حمدين ، فركب راجعا إلى إشبيلية فثار به أهلها وناصبوه الحرب فلجأ إلى حصن برجانة ، ثم تحرك إلى حرب ابن حمدين فهزمه واستولى على قرطبة في شعبان سنة 540 ، ولكن ابن حمدين استغاث بملك قشتالة وأطمعه في دخول قرطبة وأبلى ابن غانية في دفاع النصارى أحسن البلاء ، ودخل الملك القشتالي قرطبة بالفعل حينما بلغته أنباء استفحال سلطان الموحدين ، فرأى من حسن الرأي أن يهادن ابن غانية ، حتى يكون سدا بينه وبين الموحدين ، واستقر يحيى بقرطبة ، وتنقل بعدها بين شتى قواعد الأندلس حتى لجأ أخيراً إلى غرناطة آخر معاقل المرابطين بالأندلس فأقام بها شهرين ثم توفى في الرابع عشر من شعبان سنة 543 (ديسمبر 1148) ، وكان ليحيى أخ هو محمد الذي ولى في سنة 520 على جزيرة ميورقة ، واستقر بها نسله مكونين بها إمارة مستقلة خلال نحو قرن (انظر الترجمة الضافية التي أفردتها ابن الخطيب ليحيى بن غانية في الإحاطة 344/4 - 347 ؛ والبحث الذي أفردته المستشرق الأستاذ ألفريد بيل Alfred Bel عن بني غانية « Les Benou Ghanya » - ط . باريس سنة 1903 - ص 1 - 14 والمراجع المذكورة في ثنايا البحث .

(1) في الأصل : يشكون إليها .

(2) مشتق من الرضخ وهو العطية ، ويقال راضخ الرجل أي أعطاه من ماله وهو كاره .

(3) في الأصل : وإيمائه .

(4) في الأصل : على بعد .

(5) إضافة يقتضيها السياق .

وقصد قصده وكان اللعين ابن رزمير مل الشواء والإقامة على مدينة إفراغة .
ولسب لي بمهنة التي خرجت منه ، وكان قد جاءه بعض الرهبان من داخل
الامر له ، وقال له : أنا أدعو عليهم ، فيهدم حصنهم ، وتدخل عليهم عنوة !
ومرح فوله ذلك عند ابن رزمير ، وجاء هذا الراهب إلى قرب سور إفراغة ، فسمع
رهبة من الربي ، ونظر السور ، وكان خبر الراهب قد سمع به أهل إفراغة ، فلما رأوه
فائما على الربوة لم يشكوا « في خبره أنه هو ، وكان عندهم منجنيق قوى ، فصبوه
إلى الربوة وغرض الراهب ووضعوا في كفته حجراً كبيراً ، ورموا به إلى غرض
الراهب وهو في دعائه على المسلمين يجد جده ، فأصابه حجر المنجنيق على هذه
الحالة ، فذهب بنصفه وبقي نصفه في موضعه !

وقد كان اللعين ابن رزمير تهيأ للدخول ، وعسكره واقف بإزائه ،
الراهب ، فلما رأى ذلك هاله وانصرف إلى موضع محلته مهين النفس خائب
الأمل ، ثم ما زال أمره مختلاً . وأهل إفراغة يدبرون الحيل عليه ، وهو يدبرها أيضا
عليهم ، إلى أن وافت عساكر المسلمين ، فلما نظر أهل إفراغة إلى مجيئها ،
وخرج ابن رزمير من معسكره إليهم ، فتحو باب مدينتهم وخرجوا إلى محلته ،
فهبوا جميع ما كان ⁽¹⁾ فيها من الطعام والأدم ، وأدخلوه مدينتهم ، ولقي اللعين ابن
رزمير المسلمين موقنا بالظفر والغلبة على عادته ، فانعكس عليه الأمر ، وكانت
الدائرة عليه ، فأهلكه الله تعالى وجنوده ، وقتلهم المسلمون أبرح قتل .

ومن أغرب ما جرى من أخبار هذه السنة أن طائفة من النصارى لجأوا إلى
كهف ظنوا أنه ينجهم ، فسقط عليهم ، فلم ينج منهم أحد آية من الله عز
وجل ؛ وفر اللعين ابن رزمير في شزيمة قليلة جدا ، ولحق بمدينة سرقسطة واله
العقل مخبول الذهن ، واستخذى للمسلمين الذين فيها ، ولأن لهم القول ،

(1) في الأصل : كانوا .

ثم خرج منها إلى وشقة فأقام بها مختبلاً شهراً قليلة ، وحن أجله إلى نار الله الحامية ⁽¹⁾ .

وولى قضاء فاس في هذا العام عبد الحق بن عبد الله بن معيشة ⁽²⁾ فأراق الخمر ، وكسر الدنان ، وتشدد على أهلها ، وكتب إلى علي بن يوسف إن الجامع ضاق عن المصلين ، فأذن له في الزيادة فيه ، فكان البناء فيه في بقية هذه السنة ⁽³⁾ .

(1) ذكر ابن الأثير (الكامل 351/8) أن ابن رزمير لم يعيش بعد هزيمته في إفراغة إلا عشرين يوماً . والواقع أن المراجع المسيحية لا تتفق على تاريخ وفاة الملك المسيحي ، فحوليات ألفونسو السابع تجعل وفاته في 25 يناير سنة 1134 ، وهو أمر مستحيل إذ معناه أنه توفي قبل معركة إفراغة بسبعة أشهر ، ويرى الأستاذ كوديرا أن أرجح الأقوال هو ما ذكره خيمينث دي إمبون Jiménez de Embun الذي يقول إن وفاة ألفونسو المحارب كانت في 7 سبتمبر من هذه السنة أي بعد معركة إفراغة بنحو شهرين ، وهو ما يمكن أن يتفق مع ما يذكره ابن القطان هنا (انظر اضمحلال دولة المرابطين ص 271 - 272) .

(2) أبو محمد عبد الحق بن عبد الله بن معيشة ولي قضاء فاس بعد وفاة أبي عبد الله محمد بن داود . وقد احتفظ لنا بمجملته من أخباره ابن أبي زرع في روض القرطاس (61 - 62 ، 71) ، وانظر كذلك ابن عذارى : البيان المغرب (312/1) .

(3) يذكر ابن أبي زرع في حديثه الطويل عن جامع القرويين بفاس أن الذي يرجع إليه فضل الزيادة في المسجد هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن داود الذي كان قاضي المدينة في أيام علي بن يوسف قبل ابن معيشة ، وكانت فاس قد كثرت فيها العمارة حتى ضاق الجامع بكثرة الناس في أيام الجمعة حتى كانوا يصلون في الأسواق والشوارع والطرق ، فاستأذن ابن داود علي بن يوسف في الزيادة فيه فأذن له ، وبدأت أعمال الزيادة التي ييسط ابن أبي زرع وضمفها ، وأتم تركيب الباب والقبلة في شهر ذي الحجة سنة 528 ، ثم توفي القاضي ابن داود فولى القضاء بعده ابن معيشة المذكور ، فواصل أعمال الزيادة كما جعل الأبواب مغطاة بالصفور وعمل أمام الباب قبة وزاد في سعته ، وبذل الصومعة ، وشرع في بناء الحراب والقبة التي عليه منقوشين بالذهب واللازورد وأصناف الأصبغة ، فتم له كل ذلك ، وجاء على غاية الكمال ، ثم ولى قضاء فاس أبو مروان عبد الملك بن يعضا القيسي ، فواصل أعمال الزيادة والنقوش حتى شعبان سنة 538 ، على أن كثيراً من هذه النقوش والحراب قد غطى وزال إذ أنه لما أوشك الموحدون على دخول المدينة خشى فقهاؤها أن يبقوا عليهم ذلك فعملوا على تغطيتها (انظر ابن أبي زرع : الروض 59/1 - 65) .

باب

ذكر أخبار سنة ثلاثين وخمسمائة
أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى :

في هذه السنة كانت وقعة مصكروطن⁽¹⁾ ، وخروج سير بن علي بن يوسف الزرجاني .
قال اليسع :

إن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه هبط قبل
عام أحد وثلاثين إلى أجرفرجان ومصكروطن ، وخرج المجسم سير بن علي بن
يوسف | وهو ولي |⁽³⁾ عهد أبيه بالجيش ، وسيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه
(متعلق)⁽⁴⁾ بالجلال ، يطاول في حروبه ، فإذا رأى ضالته وثب عليها وثوب
اللمث على الفريسة ، فالتقوا على مصكروطن ، فهزمهم سيدنا ومولانا الخليفة .
الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ، وكانت وقعة أخذ فيها من أموال المجسمين
شئ عظيم .
وغزوة تادلا .

قال ابن صاحب الصلاة :

إنها أول غزوات سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه بعد الإعلان في

سنة ثمان مائة

(1) يسمى البيدق هذا الموضع « مسكروطن » (أخبار المهدي ص 129) .

(2) في الأصل : سير بن يوسف ، والصواب ما أثبتنا حسب سياقي في هذا النص بعد قليل .

(3) كلمتان مطموستان في الأصل ، ولعلهما ما قرأنا .

(4) بياض في الأصل بقدر كلمة ، ولها ما كتبنا أو شئ في معناها ، وإنما أثبتناها لأن هذا الصبر
سيكرر بعد ذلك في النص على نحو ما ذكرنا .

عام ثلاثين ⁽¹⁾ ، فميز الجيش بتينملل ، وقسم البركة ، وتشاور مع الموحدين . أعزهم الله تعالى في أي وجهة يقصد ، فأشاروا بتادلا ، فأضمر ذلك في نفسه . سرا ، ثم نهض موريا بوجهته حتى صَبَّح تادلا وجهاتها ، فقتل وسبى ، وامتلأت أيدي الموحدين أعزهم الله تعالى ⁽²⁾ ، ففر عنه ⁽³⁾ أصحابه وتركوه ، فكر منصورا ، فكبا به فرسه وسقط عنه ، فأدركه الموحدون أعزهم الله تعالى وقتلوه .

أخبار غيرهم :

منها موالاة تأثير الجراد في زرع الأندلس التأثير الفاحش ، وموالاة البناء في الزيادة في جامع فاس على يد القاضي ابن معيشة ، وتوزع المال الذي ينفق في ذلك على أهلها وسد ثلمات ⁽⁴⁾ سورها ، وزاد فيه أبراجا ، وبني سورا يحيط بالمقابر ، * وتوزع عشرين ألف دينار على أهل فاس معونة للجيش ، بكتاب علي ابن يوسف الزرجاني .

والعباسي في هذه السنة هو الراشد .

(1) يجعل ابن أبي زرع خروج عبد المؤمن لهذه الغزوة في الرابع والعشرين لربيع الأول سنة 526 (روض القرطاس ص 187) ، ويذكر السلوي نقلا عن ابن مطروح القيسي أن عبد المؤمن سار في شوال سنة 526 أولا إلى مراکش ، فحاصرها ثم ارتحل عنها إلى تادلا ، إلى سلا . فتلحق أهلها مطيعين ، فدخلها في الرابع والعشرين من ذي الحجة في السنة المذكورة (الاستقصا 106/2) . كذلك جعلها ابن خلدون في سنة 526 ، وذكر أنها كانت قبل غزوة تاسغيموت (العبر 22/6) ، ويوافق صاحب الحلل الموشية هؤلاء المؤرخين على أن غزوة تادلا كانت أولى غزوات عبد المؤمن بعد اعلان البيعة له (ص 143) . وانظر أويثي : تاريخ 114/1 .

(2) يستشف من السياق أن هناك كلمات سقطت من النص في هذا الموضع .

(3) لسنا نعرف على من يعود الضمير هنا ، ويبدو أن اسم القائد المرابطي الذي يعود عليه الضمير قد سقط في الخزم الذي أشرنا إليه في الحاشية السابقة ، على أننا نقطع بأن القائد المعنى ليس هو سير بن علي ابن يوسف المذكور قبل ذلك . فهو لم يمت في هذه الواقعة .

(4) كلمة غير واضحة في الأصل .

باب

ذكر أخبار سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة

لا أدري ما كان فيها من غزوات الموحدين أعزهم الله تعالى غير أن سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه متعلق بالجبال ، وأمره في غاية الاستفحال ⁽¹⁾ .

وذكر ابن صاحب الصلاة له رضي الله تعالى عنه غزوة إلى بني ييغر ⁽²⁾ لم يورخها ، وقال إنها ثالثة غزواته رضي الله تعالى عنه ، فهي في هذه السنة أو ما يقاربها . قال : إن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله تعالى عنه لما أراد النهوض من حضرة تينملل لغزو بني ييغر ⁽³⁾ تقدم إليهم من إخوانهم المجاورين لهم من أندهرم ونصحهم ، فانقادوا وأذعنوا ووجدوا ، فقدم أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه عليهم ، وانصرف إلى تينملل قافلا ظافرا ظاهرا .

وكان في هذه السنة بالأندلس غزوة تاشفين بن علي بن يوسف الحليل من النصارى ، فهزمهم على مقربة من قصر عطية ، واحتوى على أسلابهم وأنهاهم ؛ وغزوته أيضا التي نازل فيها أشكلونة ، فدخلها المسلمون بالسيف عنوة ، وقتلوا كل من فيها ، وأسروا نساءهم واحتوا على أسلابهم وأنهاهم ظافرين ⁽⁴⁾ .

(1) في الأصل : الاستفحال .

(2) في الأصل : ييغر .

(3) في الأصل : ييغر .

(4) أشار ابن أبي زرع أيضا إلى هاتين الغزوتين من غزوات تاشفين ، وفيما يلي نص ما بعوا . (روض القرطاس 164) : « وفي سنة 530 هزم الأمير تاشفين جموع الروم بفحص عطية وأفضى منهم ما كثيرا ... وفي سنة 532 جاز الأمير تاشفين من الأندلس إلى العدو بعد أن غزا مدينة أشكلونية (١١٩) ، وفي الطبقات القاسية للروض : أشقولية (وحمل من سبيلها إلى العدو سنة آلاف سبية وفتحها عنوة ، فوصل إلى مراکش ، فلقاه والده علي أمير المسلمين في ذي عظيم وفرح به » . كذلك تحدث عن هروء تاشفين لجبل القصر ابن عذاري في القسم المرابطي من البيان المغرب ص 94 ، وقد نقل السلاوي ما فيه ابن أبي زرع (الاستقصا 67/2) . على أن خير ابن القطان أكثر دقة في تعدد المواضع -

وساقوا جملة من نسائهم وغنائمهم ، وسيقت نواقيص ⁽¹⁾ كثيرة فيها ناقوص ⁽²⁾ عظيم ، وكان يوم دخول ذلك كله يروز عظيم بقرطبة وسرور كثير .
وفيه كان بناء تاشفين الناعورة ⁽²⁾ على النهر الأعظم بقرطبة .
وخروج الجراد وإضرارها بالزرع كثيراً .
وكان في هذه السنة تمام الزيادة في جامع فاس ، وعزل ابن معيشة عن قضائها ⁽³⁾ .
والعباسي في هذه السنة هو الراشد .

* * *

- والتواريخ ، وهاتان الغزوتان كانتا في غرب الأندلس (البرتغال الحالية) . وانظر ما كتبه عنهما كوديرا في بحثه عن أسرة بني تاشفين ص 141 - 142 ؛ وتحقيق أويشي لهما في بحثه « روض القرطاس والمرايطون » مجلة إسبريس - الرباط سنة 1960 - ص 540 .

(1) كذا في الأصل .

(2) في الأصل : الناعوت .

(3) ذكر ابن أبي زرع أن ابن معيشة عزل والمنذر والبناء وباب الجنائز والصحن من جامع القرويين بفاس لم يكمل بناؤها بعد ، وأن متولى القضاء بعده ، وهو أبو مروان عبد الملك بن يعقوب القيسى هو الذي أتم كل ذلك ، وكان الفراغ منه في شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين ومجسماته (روض القرطاس ص 62) .

باب

ذكر أنباء سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى :

في هذه السنة « كانت هزيمة زناتة بجبل غياثة ^(١) ، وذلك أنه تحرك سيدنا « ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه من حضرته تينملل زادها الله تشريفاً إلى جبل غياثة ، ونزل به ، فخرج المجسم سير بن علي بن يوسف ولي عهد أبيه في عساكره يريد غياثة ، فنزل بجراندة ^(٢) بمقربة من المقرمة عند وادي أبي حلوا ، ونزلت مخلاته بها ، فوافاه بها عسكر الغرب عليهم عبد الله بن يحيى ابن أبي بكر بن تيفلويت المجسم ^(٣) ، فنزل قريباً منه على أميال . وحشدوا زناتة ، فاجتمعت لهم جموع من قبائلهم يقدمهم يحيى بن فانو ^(٤) ، وهو أخو عبد الله ابن يحيى لأبيه ، فكان عسكر يحيى هذا نيفاً على خمسة آلاف فارس .

(١) ينفرد ابن القطان بالحديث عن هذه الغزوة دون سائر مؤرخي الدولة الموحدية .

(٢) يسميها ابن عذارى : كراندة ، ويعرفها بأنها الجبال المجاورة لنفاس (البيان المغرب القسم الموحدى - ص ١٦) .

(٣) أبو بكر بن ابرهيم المسوفي الصعراوي المعروف بابن تيفلويت جد عبد الله هذا كان من أمراء المرابطين المعروفين ، وهو صهر علي بن يوسف كان زوجاً لأخته وأباً لولده منها يحيى ، وهو الذي كان والياً على غرناطة سنة ٥٠٠ ثم على سرقسطة حتى وفاته في سنة ٥١٠ (انظر في ترجمته ابن الأبار : معجم شيوخ أبي علي الصديقي ص ٦٧ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة - ط . عنان ٤٠٤/١ - ٤٠٩ ؛ ديوان ابن حفاة بتحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي - الإسكندرية سنة ١٩٦٠ - ص ٤٤٣) ، أما أخت علي بن يوسف المذكورة فهي فانو أو فنو التي كانت أمّاً ليحيى - أبي عبد الله المذكور هنا - ولعلي بن أبي بكر الذي عرف أيضاً باسم « ابن فنو » ، وكان والياً على غرناطة في سنة ٥٣٩ أثناء ثورة ابن أضحى على المرابطين (انظر ابن الأبار : الحلة السيرة ٢١٢/٢ وما بعدها) . ويؤكد ابن القطان يكون المؤرخ الوحيد الذي احتفظ لنا بأخبار عن عبد الله بن يحيى (بن فانو أو فنو) المذكور هنا (انظر كذلك بحث كوديرا عن أسرة بني تاشفين ص ١١٤ - ١١٦ ، ونلاحظ أن هذا الباحث خلط بين يحيى بن أبي بكر بن تيفلويت ويحيى ابن غانية) .

(٤) إذا صح هذا النص وكان هذا القائد المرابطي المشهور أخاً لعبد الله بن يحيى بن أبي بكر -

وعند احتفال جمعهم هذه وحّد زيري بن ماخلوخ⁽¹⁾ من أشياخ زناتة ، ولحق بسيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله تعالى عنه ، وطلب عسكرا تظهر به خدمته في عساكر الغرب فأعطى حصّة قدّم عليها أحد أشياخ الموحدين أعزهم الله تعالى ، فضرب على محلاتهم وهم غارون ، فانهزموا وقتل من أدرك ، وسبى محلاتهم ، وجلا الفتح والسلب إلى أعلى جبل غيائة للمحلة المباركة المؤيدة المنصورة .

- المذكور قبل ذلك فمعنى هذا أن صحة اسمه « يحيى بن يحيى بن أبي بكر » ، ففانو اذن التي ... إليها ليست أمه في الواقع وإنما هي أم أبيه يحيى وقد تكون نسبته إليها بسبب شهرتها لكونها أخت مل بن يوسف ابن تاشفين سلطان المرابطين . ولا تعرف من أخبار يحيى هذا إلا ما ذكره البيهقي من أنه كان عاملا على أجر سيف حينما دخلها محمد بن تومرت بعد عودته من رحلته إلى المشرق ، إذ يقول إن الماهدين حينما حل بأجر سيف وأقبل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استصرخ به عامتها وكانت لها ، عامها هو زيري يحيى فغرم الناس بها ألف مثقال فطلب عامة البلد من ابن تومرت الشفاعة لهم لدى الماهدين فسار ابن تومرت إلى يحيى (بن يحيى) بن فانو وأعلمه بالأمر فأنكر يحيى ذلك وأمر أن يغرم الوزير ١٠٠٠ من الناس من المظالم وهم بقتله فقال له المهدي : ما عليه قتل إنما عليه الأدب ورد المظلمة (أخبار المهدي ص 62) ، ونرى مما يذكره ابن القطان هنا أنه كان يتولى قيادة عسكر تلمسان في سنة 532 وأنه تولى أثناء قتاله للموحدين لمرض أصابه كما سيأتي .

(1) لعل زيري بن ماخلوخ هذا هو الذي يذكره ابن خلدون باسم « أبي بكر ابن ماخلوخ » وكان من فواد المرابطين على زناتة ومن أمراء قومه بني ومانو ، وقد خرج بعد ذلك على المرابطين وأصبح من كبار قومه عبد المؤمن بن علي ، ويقول ابن خلدون إنه وصل إلى عبد المؤمن وهو بمكانه من الريف هو ويوسف بن يار أحد أمراء بني ومانو أيضا فبعث عبد المؤمن معهما ابن يغمور ويوسف بن وانودين في عسكر من الموحدين فأثخنوا في بلاد بني عبد الواد وبني باجدي سببا وأسرا ، وأمدهم عساكر لمتونة و٢٠٠٠ منهم البربر تيز قائد الروم فاجتمعت عليهم زناتة وبني عبد الواد فأوقفوا في بني ومانو واستنقلوا غنائمهم وفل أبو بكر (زيري) بن ماخلوخ في ستائة من قومه ، وذلك في سنة 537 ؛ وكان لابي بكر هذا أخ اسمه تاشفين بن ماخلوخ خرج بعد هزيمة أخيه ومقتله صريحا إلى عبد المؤمن على لمتونة وزناتة ، فارتحل معه إلى تلمسان ، فأمره على قومه وسيره لقتال عسكر تجاية الذين استنجد بهم المرابطون فهزم تاشفين ذلك العسكر هزيمة شديدة (انظر البيهقي : أخبار المهدي ص 108 ؛ ابن خلدون : العبر 230/6 - 231 ؛ السلاوي : الاستقصا 102/2 - 103) .

ومات يحيى بن قانو قائداً عسكرياً تلمسان من زناتة وغيرهم لمرض أصابه ،
 فوجه الزرجاني بسير بن علي ولده محمد بن يحيى بن قانو ⁽¹⁾ عوضاً منه ليتدارك
 مجموع رايته قبل افتراقهم ، فكان كذلك ، اجتمعت عليه عساكر أبيه ، فوصل
 بهم ونزل على مقربة من وجدة ، وكانت طلائعهم على مجشر قلل .

وانفصل بسير بن علي أن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله عنه يريد بلاد
 مملكة ، فنصب له ألفي فارس على طريقه : يقيم الألفان جمعة ، ثم يُبدلون بالآتين
 الآخرين ، هكذا يتناوبون طول مدة المقام بجبل غيثة ، وكان المقام به شهرين اثنين .

وإن زهري بن مابخوخ راسل إخوانه من زناتة ، واتفق معهم على أن يعملوا
 الهزيمة يوم « اللقاء » فوجه سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه حصّة مختارة ⁽²⁾
 مع زهري بن مابخوخ من جبل غيثة حتى وصلوا إلى محلة محمد بن يحيى مع
 رايته ، فحضر بها فيهم فركبوا وهبأوا صفوفهم ، وعبأوا عسكرهم ، فاقتتلوا معهم ،
 وكان يوماً شديداً ، وكان النصر فيه للموحدين أعزهم الله تعالى ، فانهزمت قبائل
 رايته وعسكر محمد بن يحيى .

(1) أشار البيهقي وابن عذاري وابن خلدون والساوي وابن الأثير إلى المعارك التي دارت بين محمد
 بن يحيى بن قانو هذا وعبد المؤمن بن علي ، ويبدو أن هذه المعارك اتصلت ما بين سنة 532 التي يعرض
 ابن العطار أخبارها هنا وسنة 537 التي تنص المراجع الأخرى على أن مقتل ابن قانو حدث في خلالها ،
 وبمصل ابن عذاري هذا الخبر فيقول إن الموحدين كانوا قد انقسموا في سنة 537 بعد وفاة علي بن يوسف
 ابن تاشفين على ثلاث فرق : فرقة منهم بجبل غيثة ، وفرقة بجبل الريف بملوية ومليلة وغمارة ، وفرقة مع
 يوسف بن وانودين وابن زجو وابن يومور . وتوجهوا إلى جبل مديونة وجهة تلمسان ، فخرج إليهم
 الولي علي تلمسان حينئذ محمد بن يحيى بن قانو بعسكر من زناتة وغيرهم فالتقى معهم وقتل محمد بن
 يحيى المذكور في واد كان هنالك ، وانهزم عسكره ، وينص ابن خلدون والبيهقي على أن الذي أوقع بمحمد
 بن يحيى وقته هو القائد الموحد يوسف بن وانودين ، ويذكر هذا المؤرخ الأخير أن هذه الغزوة كانت
 في خندق الجعر الذي يسمى بوادي الزيتون وأن ابن وانودين قتل فيها قائداً مرابطاً آخر مع ابن قانو
 بسميه أبا بكر الجوهر (انظر أخبار المهدي ص 94 : العبر 230/6 ؛ البيان المغرب ص 18 ؛ الاستقصا
 102/2 - 103 ؛ الكامل 299/8 ؛ وانظر كذلك بحث كوديرا عن أسرة بني تاشفين ص 115 ؛ أويهي
 تاريخ 115/1 - 116 ، 127) .

أخبار غيرهم :

في هذه السنة كان انصراف أبي جعفر ابن حمدين عن قضاء قرطبة ،
وولاية أبي القاسم ابن رشد ⁽¹⁾ لقضايتها .

ووصول المجسم تاشفين بن علي بن يوسف من غرناطة إلى قرطبة ،
وخروجه منها إلى العدو مستدعى من أبيه ⁽²⁾ .

وخروج العدو ⁽³⁾ دمره الله تعالى إلى بلد المسلمين في جيش عرمرم ، فأجازت
جملة منهم الوادي الكبير في أعلاه بمقربة من بياسة وأبدة ، ووصلت بالغارة إلى
البراجلة ، وأوقعت بالمسلمين نكاية صغرت في جانب ما وقى الله تعالى بتوالي نزول
المطر وإكبابه مدة من عشرين يوما ، فمد النهر ، ولم تقدر الخيل المغيرة على عبوره إلى
محلهم ، وصنعوا معادي للجواز ، فانقطع بعضها وغرق من كان فيها ، وتبعهم قائد
جيان ، فأصاب منهم فوارس ، وانصرف العدو - دمره الله تعالى - بعد أن قاتل
حصن شبيوطة من عمل أبدة فأعجزه ، وارتاد تاشفين لما خرج من قرطبة نحو العدو
مدافعهم ، فتلوم لأجل المطر وغيره أربعين يوما ، فكفى الله تعالى أمر النصارى ،
وأجاز البحر في صدر جمادى الأولى ، ودخل مراکش في أول رجب من هذه السنة .

(1) هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد ، ولد سنة 487 ، ووالده هو قاضي الجماعة
الفقيه المعروف الذي توفي سنة 520 ، أما أبو القاسم المذكور فقد لازم أباه كثيرا وأخذ عنه ، ولي قضاء
الجماعة سنة 532 بعد صرف أبي جعفر ابن حمدين الذي ولي في سنة 529 كما ذكر ابن القطان من قبل ،
ولكن ابن رشد استعفى من هذا المنصب بعد فترة قصيرة ، ويقول ابن بشكوال إنه كان محببا إلى الناس
طالبا للسلامة منهم بارا بهم ، وكانت وفاته في 13 رمضان سنة 563 (انظر في ترجمته ابن بشكوال :
الصلة ، ترجمة 172 ؛ وابن الأبار : المعجم ، ترجمة 33) .

(2) ذكر ابن الخطيب في ترجمته لتاشفين بن علي أن خروجه من الأندلس إلى المغرب كان في سنة
531 أو في 532 دون أن يقطع برأي في ذلك ، على أن ابن القطان كان أكثر دقة إذ سنرى في بقية هذا
النص أن خروجه كان في جمادى الأولى سنة 532 ، ووصل إلى مراکش في أول رجب من هذه السنة
(انظر الإحاطة لابن الخطيب - ط ، عنان - 361/1) .

(3) ينفرد ابن القطان بذكر تفاصيل هذه الوقائع ، وانظر كذلك بحث الأستاذ أويشي : روض
القرطاس والمرايطون ص 540 - 541) ، وبياسة Baeza وأبدة Ubeda بلدتان من أعمال جيان Jaén
وتدلك قرية شبيوطة Sabiote .

وفي هاه السنة كانت ولاية ابن المناصف ⁽¹⁾ لقضاء غرناطة .

وفيهما كان غرق المراكب المصرية التي وصلت من الإسكندرية ، منها المراكب الفيطاني والمركب العجزي ⁽²⁾ ، وكانت عظيمة الجرم جدا ، وكانت فيها أموال عظيمة وخلق كثير ⁽³⁾ .

وفيهما كان موت الراشد العباسي ⁽⁴⁾ ، وولاية عمه المقتفي لامر الله تعالى أبي عبد الله محمد .

وفيهما كان موت عبد المجيد صاحب مصر ⁽⁵⁾ ، وكان قد عهد في حياته

(1) هو القاضي أبو عبد الله محمد بن أصبغ الأزدي القرطبي المعروف بابن المناصف ، وقد تكررت الإشارة إليه فيما سبق .

(2) كذا ، ومن الواضح أنهما نوعان من المراكب الضخمة .

(3) يبدو هذا الخبر كما يرويه ابن القطان هنا غامضا مضطربا ، ولعله يشير إلى ما ذكره ابن عذارى في البيان المغرب (312/1 - 313) - ولو أنه يجعل ذلك في سنة 536 - من أن الحسن بن علي بن يحيى بن تميم صاحب المهدي استولى في تلك السنة على مركب كان لصاحب بجاية يحيى بن العزيز بن المنصور بن علاء الدار ، وكان قد أفلح من الإسكندرية ببضائع عظيمة وهدية إلى صاحب بجاية ، فتعرض له الحسن بن علي المدفور واستولى عليه - وكانت العلاقات سيئة بين المهدي وبجاية - ويضيف ابن عذارى أنه كان مركبا كبيرا ، فأمر الحسن بن علي بتفريغه ، وبقي في ميناء بجاية فارغا حتى جاءت صدمة أكتوبر هكذا يقول ابن عذارى ، ولعله يعني عاصفة شديدة هبت في هذا الشهر فتكسر . إلا أنه استغل أخشابه فصنع مركبا جديدا ظل في مرسى المهدي حتى هجم عليه جرجي الصقلي بخمسة وعشرين غرابا (مركبا هربيا) فاستولى عليه في جملة ما غنمه من مراكب المهدي . وربما كان ابن القطان يشير إلى هذه الواقعة .

(4) ولي الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد سنة 529 كما أسلف ابن القطان ، وتوفي سنة 512 ، وكان مولده سنة 502 ، وخرج بعد خلافته بقليل إلى الموصل لقتال السلطان مسعود بن محمد شاه السلجوقي ، فخذله أصحابه ، وقبض عليه السلطان مسعود وخلعه من الخلافة ثم حبسه إلى أن قتله في شهر رمضان سنة 532 بظاهر إصبهان (انظر النجوم الزاهرة 263/5) ، وولي بعده أبو عبد الله محمد الملقب بالمقتفي بالله بن أحمد المستظهر بن المقتدي .

(5) أخطأ ابن القطان هاه مرة ثالثة إذ أورد وفاة الخليفة الفاطمي الحافظ عبد المجيد في هذه السنة ، وإنما كانت وفاة الحافظ وولاية أبيه الطاهر أبي منصور إسماعيل على مصر في جمادى الآخرة سنة 514 -

لابنه الأصغر وسماه الظافر ، فلما مات عبد المجيد اختلفت العسكرية ، فقامت طائفة منهم مع ولده الأكبر ، « وقامت طائفة أخرى مع الأصغر ، وظهر الأدر على الأصغر ⁽¹⁾ ، وكان بالإسكندرية وال يعرف بابن السلار ⁽²⁾ ، فطلع بالعساكر والجنود لنصرة الظافر ، وزعم أن أباه جعله له حاجبا ، فكسر العساكر التي قامت مع الأكبر ، وقبض على الأكبر القائم .

وكانت قد قدمت على الإسكندرية جارية كانت لعلي بن يحيى صاحب المهديّة ⁽³⁾ - أفضت الإمارة إليه بعد وفاة أبيه - ولها جمال رائع ، فقبل لها : من أنت ؟

(انظر ابن تغري بردي : النجوم 288/5 ، ابن الأثير : الكامل 24/9) ، هذا ويبدو أن ابن هدارى تابع ابن القطان على ذلك الخطأ ، إذ أرجح الظن أنه كان مرجعه فيما أورده من أخبار الفاطميين (انظر البيان المغرب 312/1) .

(1) كان الظافر أبو منصور اسماعيل بن الحافظ عبد المجيد فعلا أصغر إخوته سنا ، ولد بالقاهرة سنة 527 (انظر ابن خلكان : الوفيات 237/1 - 238 ؛ ابن تغري بردي : النجوم 288/5) ؛ على أننا لا نعرف في مختلف المراجع ما يشير إليه ابن القطان هنا من القتال بين الظافر وبين أخيه الأكبر .

(2) هو أبو الحسن وأبو منصور علي بن إسحاق المعروف بابن السلار والمتلقب بسيف الدين الملك العادل ، كان كرديا من تربية القصر بالقاهرة وتقلب في ولايات الصعيد وغيره حتى ولي وزارة الظافر في رجب سنة 544 ، وكان الظافر قد استوزر أولا نجم الدين أبا الفتح بن مصال في أول ولايته ، ثم قدم ابن السلار القاهرة ، وتولي تدير الأمور ، وحشد ابن مصال جماعة من المغاربة فانتصر عليه ابن السلار بدلاص في الوجه القبلي وذلك في أواخر سنة 544 ، وقد ظل ابن السلار على الوزارة حتى قتله على فراشه نصر بن العباس ، وكان أبوه العباس ربيبا لابن السلار ، وذلك في سنة 548 في شهر محرم ، وسيورد ابن القطان خبر مصرعه (عن ابن السلار انظر ترجمته في وفيات الأعيان 416/3 - 419 ؛ الكامل 24/9 - 25 والدكتور حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ص 181 - 185) .

(3) اسم هذه الجارية على ما تذكر المصادر الشرقية بلار بنت القاسم بن تميم بن المعز وزوجة أبي الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي : وكانت قد وصلت إلى مصر في سنة 503 مع ولدها أبي الفضل عباس ، وكان طفلا إذ ذلك ، فتزوج منها ابن السلار واتخذ ابنها أبا الفضل عباسا ربيبا له درج في كنفه ، حتى كان منه ومن ابنه نصر ما يشير إليه ابن المطالع (انظر المراجع المذكورة في الحاشية السابقة) .

هالك : من قصر صاحب المهديّة ، فبلغ خبرها ابن السلار ⁽¹⁾

والها عليها قدمه عبد المجيد المذكور ، وجعل له النظر لولي عهده الظافر ، فارتفع
قاره ، ونشأ العباس ربيبه في رفاهيّة ، وتزوج وولد له ولد ⁽²⁾ .

فلما مات عبد المجيد المذكور ووطد ابن السلار دولة ولي عهده الظافر
استوطن ابن السلار وربيه العباس ⁽³⁾ مع أمه وزوجته وولده مصر ، وقدم وال آخر
على الإسكندرية ، ويسمى هذا ابن السلار بأمير الجيوش شاهنشاه ⁽⁴⁾ سيف
الدولة ⁽⁵⁾ ، وكان والي مصر المسمي بالظافر من نحو ستة عشر عاما ، وكان يميل
إلى مخالطة الصبيان ، فدخل إليه ولد العباس ، وتعرف به وخالطه .

فلما أراد الله تعالى إنفاذ وعده قال الظافر لولد العباس : اقتل ابن السلار ،
ونولي الحجابة أباك ونستريح معه . فعمل مع بعض العبيد على قتله ، فقتله . فقام
الناس والعباس يطلبون قاتله ولا يدرون من هو ، فقالت أم العباس للعباس ⁽⁶⁾ :
والله ما قتله إلا ابنك ! فهم بقتل ابنه ، فقالت له : تقتل ابنك وقد قتل ⁽⁷⁾ محل

(1) لم يترك الناس فراغا بعد هذه الكلمة ، غير أنه من الواضح أن عبارات سقطت من هذا
الموضع ، وعلى أية حال فإننا نعرف من المراجع المصرية والشرقية أن ابن السلار تزوج من هذه الحاربه
واتخذ منها عباسا ربيبا له .

(2) هو نصر بن العباس الصنهاجي الذي سيورد ابن القطان خبره دون أن يذكر اسمه .

(3) في الأصل : العباسي .

(4) في الأصل : شاه بن شاه .

(5) الذي جاء في المراجع الشرقية أن لقبه كان « سيف الدين » ، وقد ذكر الدكتور حسن ابراهيم
حسن أن ابن السلار كان سنيا غالبا على الرغم مما يشعر به ذلك اللقب « سيف الدين » من انصوائه تحت
أواء المذهب الفاطمي (انظر تاريخ الدولة الفاطمية ص 183) .

(6) في الأصل : العباسي العباسي .

(7) في الأصل : قتل .

أيك ، فتجتمع عليك وزرين⁽¹⁾ ؟ فكف ، ورجع العباس حاجباً ، وذلك في سنة أربع وأربعين⁽²⁾ .

فلما بقي شهراً قال الظافر للصبي : قتلت ابن السلار ، اقتل والدك العباس وتكون الحجابة لك ، ولا نجد من ينقض⁽³⁾ علينا فما زال حتى أسلم له . وأخذ في ذلك مع بعض العبيد ، فوشى العبد بذلك إلى العباس⁽⁴⁾ فأشفق من ذلك ، ووجه عن ولده ، واستفهمه عن القصة ، وتوعده إن لم يصدقه ليقنتله . فصدقه وعرفه أن الظافر أمر بقتله ، فقال : لا بأس عليك ! اعمل طعاماً * وادع الظافر للأكل عندك والمبيت ، وليأتك مستترا ، فقال الصبي للظافر : بنيت داراً ، وأريد أن أعمل فيها طعاماً ، فعسى أن تشرفني وتكون أنت أول من يأكل طعامي فيها . قال له : وكيف يكون ذاك ؟ قال : تأتي مستترا في الليل في زي الأستاذين⁽⁵⁾ ، وترجع مع السحر في الغيش فأسعفه في ذلك ، فلما كان بعد المغرب خرج مستترا إلى أن دخل دار العباس . فلما اطمأن به المجلس هجم عليه العباس ، وقتله ودفنه .

(1) في الأصل : فتجتمع عليك ورعين .

(2) يختلف ما يذكره ابن القطان هنا عما أورده المؤرخون المشاركة والمصريون فبينما يجعل ابن القطان الخليفة الظافر هو محرض نصر بن عباس على قتل ابن السلار كافل أبيه ، ويقول إن عباساً لم يكن لديه علم بمشروع ابنه إذا بالمؤرخين المصريين يقولون إن عباساً نفسه هو الذي حرّض ابنه على قتل ابن السلار ، وكان ممن شجعه على ذلك أسامة بن منقذ ، وذلك أن ابن السلار أنفذ عباساً إلى الشام ليشترك في قتال الفسليين وكان في صحبته أسامة بن منقذ وابنه نصر ، فلما وصل إلى بليس تذكر طيب البلاد المصرية وعسر ما هو مقدم عليه من بلاء الحرب ، فأظهر شكواه لأسامة بن منقذ ، فبين هذا له أنه يستطيع أن يتجنب كل ذلك بقتل ابن السلار واتفق معه على أن يقوم ابنه نصر بتنفيذ خطة الاغتيال ، وأن ذلك إذا تم فإنه أى عباساً يستطيع أن يتولى الوزارة مكانه ، فعاد نصر إلى القاهرة ، وتولى القيام بهذه المهمة الغادرة في 6 محرم سنة 548 (انظر الدكتور حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص 184 و 185 والمراجع المذكورة في هذا الموضوع) .

(3) في الأصل : ينقض ، ويمكن أيضاً أن تكون « ينقص » .

(4) في الأصل : العباسي .

(5) يعني خدم القصر الحصان .

فلما أصبح وأقبلت الأجناد على جرى العادة إلى العباس ركب معهم إلى (1) القصر ، وقال : نريد الدخول للظافر ، فقبل له : هو مشغول ، فقال : لابد من ذلك . وحمل الأجناد فدخل القصر ، فلما حصل فيه قال للصقالبة (2) أين الظافر ؟ قالوا : لا علم لنا . قال لهم : قتلتموه . فأرسل عن وجوه الناس والفقهاء والشيعية وقال لهم : ما جزاء من قتل ؟ قالوا : يقتل قال : فهؤلاء قتلوا الظافر وأخفوه . فضرب أعناقهم ، واستحوذ على القصر .

وكان في الصعيد (3) رجل تركي يعرف بكلكي (4) ، فسمع ما جرى . فمسكر وحشد ، وأقبل يريد مصر للعباس ، فسمع العباس خبره ، فأخذ جميع الأموال والذخائر وعياله وولده ، وخرج يريد الشام ليصير إلى حلب أو دمشق ، فيجند ويدعو لبني العباس ويخلع العبيدية من مصر ، فخرجت إليه العرب والروم من عسقلان ، فقاتلهم هو ومن معه ، فقتلوا عن آخرهم ، واستولى العرب والروم على تلك الأموال .

(1) زيادة يقتضيه السياق .

(2) ورد في تاريخ أسامة بن منقذ وفي وفيات الأعيان أن العباس إنما قتل الظافر أخويه يوسف وجبريل فقتلتهما (تاريخ أسامة ص 16-18 على ما يذكر الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص 186 ؛ ووفيات الأعيان 237/1 - 238 ؛ واتعاظ الحنفا للمقرئ 213/3 - 214) ؛ وهذا وقد ذكر ابن الفلاني أن الظافر قتله أخواه يوسف وجبريل وابن عمهما صالح بن الحسن حقيقة ، ولكن ابن تغري بردي الذي يورد هذه الرواية يقول إن جمهور المؤرخين اتفقوا على أن قتله نصر بن عباس (النجوم الزاهرة 291/5) .

(3) في الأصل : الصعيد .

(4) كذا في الأصل ، ويبدو ذلك وهما من الناسخ ، فالمعروف أن والي الصعيد الذي استصرخ به ساء القصر اللاتي اتبعن العباس وابنه نصرأ بقتل الظافر هو طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح الذي نخلع بالثار من العباس وولى الوزارة حتى قتل أخيراً بدسيسة من صهره (زوج ابنته) الخليفة العاضد الذي كان آخر الخلفاء الفاطميين . وذلك في رمضان سنة 556 (انظر في ترجمته النجوم الزاهرة 311/5 وما بعدها ؛ ووفيات الأعيان 526/2 - 529 ابن الأثير : الكامل 44/9 ؛ الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ ص

وجاء التركي فدخل مصر ، فوجد لها مقبرة وقصورها خالية وأموالها فانية ، فقال : يا قوم ، بقى من أهل البيت - يعنى العبيدية - أحد ؟ قالوا : ما بقى إلا ولد للظافر من نحو خمسة أعوام . فأخرجه وأجلسه وسماه بالفائز بالله ⁽¹⁾ ، وقام بحجابه ، وتلقب هو بالصالح .

وأما ولد العباس فحمل إلى بيت المقدس ، فاحتضنته أم الملك ، وكانت هي القائمة بالملك ، فصرفت الملك إليه - أعنى ولد العباس - وتنصر وأقام معها ، إلى أن شرب مع خاصة قوادها وقال لهم : أنتم رغاء الأمم ، تتبعون امرأة ذات فرج وتتركون من يملككم ديار مصر ؟ فتمى الخبر للملكة فأمرت بتثقيفه ، وخاطبت بني عبيد بأنها توجهه لهم ، فرفعوا لها فيه أربعين ديناراً مصرياً ، وبعثته إليهم * في قفص من حديد ، فأدخلوه القصر في القاهرة . وقرضوا لحمه بالمقاريض ، وحرقوه بالنار ، وذلك في سنة سبع وأربعين وخمسمائة ⁽²⁾ .

فهذه أخبار مصر إلى هذه السنة ، وتعذر تقطيعها على السنين فأوردناها هكذا جملة .

وكان بالمهدية حسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز من عام أربعة عشر وخمسمائة كما تقدم .

* * *

(1) هو أبو القاسم عيسى بن الخليفة الظافر أبي منصور إسماعيل بن الحافظ عبد المجيد ، ولد في الحرم سنة 544 ، وولى الخلافة بعد مقتل أبيه الظافر في الحرم سنة 549 ، وتوفى في رجب سنة 555 ، عن إحدى عشرة سنة .

(2) يتفق هذا الخبر في جملة مع ما أورده ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة (310/5 - 311) وإن كان ابن القطان قد انفرد ببعض التفاصيل الجديدة .

باب

ذكر أخبار سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى :

في هذه السنة تحرك سيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله تعالى عنه من مدينة تينملل شرفها الله تعالى . ونزل في بلد بني ملول من منانة الفحص من حاحة ، فرحف تاشفين بن علي بن يوسف من مراكش بالعساكر ومعه الربربير⁽¹⁾ ، فنزل بجيشه في تاحكوط من حاحة ، وكانت منانة الجبل قد قتل علي بن يوسف أعيانهم ، فوجدوا ، ثم ارتدوا ، ثلاث مرات ؛ فأقام سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه في بني ملول شهراً وثلاثة أيام يضرب عليهم ويقتلهم قتلاً ذريعاً في وعمرهم العظيم ، فلما اجتمعت الغنائم وما في تلك الحومات من الحلى والثياب والزبيب والعسل والزيت والطعام والحنا وغير ذلك تحرك سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه إلى قبيلة بني وجدزان ، ثم إلى بني سوار من منانة الجبل ، وهم الذين قتل منهم [أبو] بكر بن علي بن يوسف أشياخهم وأعيانهم لأجل توحيدهم في كاسطت من منانة .

ثم سار سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه من بني سوار إلى آجر فرجان ، فتبعه الجسم تاشفين ، وسد⁽²⁾ له الطريق لئلا ينفذ إلى جبل مزورح حيث الطريق ، فرتب سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه العساكر ، ولحقت به الجيوش من مزورح وغيره بالدرق والرماح ، فكان القتال في آجر فرجان ، فانهزم تاشفين ، وقتل أصحابه كل مقتل ، فغضب أخيبته وقاتل ،

(1) في الأصل : اللبربير .

(2) في الأصل : وشد .

١٨٢ | فَأُخْرِجَ عَنْهَا ، فَانْهَزَمَ ، ثُمَّ ضَرَبَ أُخْبِيَّتَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَتَّى فَرَ « بِنَفْسِهِ إِلَى »
المِيزَتَانُوتِ ، فَضَمَّتْ (١) السِّلَاحَ وَأَحْمَالَ الثِّيَابِ وَالنَّبَالِ وَالْحُلَاتِ وَالْبَغَالِ وَالْمَعَالِ
وَالْحَيَوَانَ وَغَيْرَ ذَلِكَ .

وَكَانَ عَسْكَرُ جَزُولَةَ قَدْ وَصَلُوا مَدَدًا لِمَرَكَشَ فَتَشَبَّطُوا بِهَا عَنْ اللَّحَاقِ ،
بِتَاشَفِينَ ، حَتَّى كَانَتْ الْهَزِيمَةُ عَلَيْهِ ، فَوَصَلُوا إِلَى مَوْضِعِ الْهَزِيمَةِ ، وَطَمَعُوا أَنْ
يَسْتَنْقِذُوا (٢) الْغَنِيمَةَ وَأَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَثَرُ يَرِيقِ ذَلِكَ الْخَرْقِ ؛ فَجَعَلَتْ لَهُمُ الْكَمَائِنُ
وَالْخُنَادِقُ وَالْأَوْعَارُ ، وَقَدَّمَ سَيِّدُنَا الْخَلِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ الْغَنَائِمَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ
لِلْكَمَائِنِ : إِذَا سَمِعْتُمُ الطَّبُولَ فَادْفَعُوا .

فَضَرَبَتْ جَزُولَةُ فِي سَاقَةِ الْغَنِيمَةِ ، وَقَتَلُوا نَاسًا ، وَطَمَعُوا فِي أَنْ يَحْزُوا الْغَنِيمَةَ
، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا الْوَعْرَ ضَرَبَتْ الطَّبُولُ ، وَخَرَجَتْ الْكَمَائِنُ فَقَتَلَتْ جَزُولَةَ عَنْ
آخِرِهِمْ : وَأَخَذَتْ دَوَابَّهُمْ وَأَسْلَحَتَهُمْ ، وَكَانُوا آلَافًا مِنَ الْفَرَسَانِ وَالرَّجَالَةِ ، وَسَارَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَلَى أَمْسْكَرَ ، وَظَنَّ الْجَبَلَ الْجَبَلَ (٣) عَلَى بِلَادِ
جَنْفِيَسَةَ ظَافِرًا ظَاهِرًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَقَدْ قِيلَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ غَيْرَ هَذِهِ الْمَسَاقِ وَإِنْ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةُ رَضِيَ
اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَبْنِيَ حَائِطًا فِي أَضْيَاقِ مَوْضِعٍ مِنْ هَذِهِ الْمَضَاقِ يَمْنَعُ بِهِ
الْمُلْتَمِثِينَ مِنَ الْإِنْصِرَافِ إِذَا انْصَرَفُوا حَتَّى يَهْلِكُوا فِي تِلْكَ الْهَضَابِ ، فَأَحْسَ تَاشَفِينَ
بِذَلِكَ ، فَهَرَبَ نَحْوَ مَرَكَشَ ، وَرَجَعَتْ عَنْهُ جَزُولَةُ مِنْ رَجْرَاجَةٍ ، وَقَدْ أُرْصِدَ
لَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ عَسْكَرٌ عَلَيْهِ الشَّيْخُ أَبُو حَفْصٍ آصْنَاجَ فَقَتَلَهُمْ وَاسْتَأَقَ مِنْ خَيْلِهِمْ

(١) كَذَا ، وَرَبَّمَا كَانَتْ تَحْرِيفًا لِلْفِعْلِ : فَغَنِمَتْ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : يَسْتَنْقِذُوا .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَلَمْ يَهْدِ إِلَى وَحْدِهِ فِي تَأْوِيلِهِ .

إلى ثلاثمائة ألف (1) فرس اقتسمها الموحدون أعزهم الله تعالى وقووا بها . ثم
أما ، حرولة بعد ذلك ووجدوا (2) .

* * *

(1) في الأصل : الألف .

(2) بكاد ابن القطان ينفرد بهذا الخبر وما تضمنه من تفاصيل حول هذه الغزوة ، انظر كذلك
أويني : تاريخ الدولة الموحدة 117/1 - 118 .

أخبار الأندلس وغيرها في هذه السنة :

منها غزوة الزبير بن عمر ⁽¹⁾ ، افتتح فيها حصن مورة .

و غزوة عسكر شنترين وياورة لعسكر من النصارى « أرادوا دخول بلاد المسلمين ، فالتقوا على غير وعدة ، فكانت للمسلمين جولة ، ثم كر المسلمون عليهم . فانهزم النصارى - دمرهم الله تعالى - ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأسروا منهم جملة ، واحتوى المسلمون على أسلابهم وأنهابهم .

وغزوة المسلمين للسليطيين ⁽²⁾ ؛ وذلك أن اللعين طاغية النصارى السليطيين

(1) في الأصل : الزبير بن عمراني ، والصواب ما أثبتنا ؛ وهو أبو محمد الزبير بن عمر ، كان من أعظم مواد المرابطين في الأندلس ، وكان على ما يذكر ابن الخطيب وزيراً لتاشفين بن علي بن يوسف أثناء «...» على الأندلس ، ووصفه ابن الصيرفي بأنه كان ندرة الزمان كرماً وبسالمة وحرماً وأصاله (انظر الإلمام - ط . - مع الدين الخطيب - 279/1 ؛ وط . - عنان 450/1) ، وقد اشترك في موقعة إفراغة التي هزم فيها المرابطون جيوش ابن رذمير (ألفونسو الأول المعروف بالمحارب ملك أرغون) سنة 528 (انظر ابن الأثير : الكامل 351/8) ، ولما استدعى علي بن يوسف ابنه تاشفين من الأندلس ليؤليه عهده خلفه على عمل إشبيلية سنة 533 ثم ضم إليه عمل قرطبة ، وظل عليهما حتى استشهد في المعركة التي دارت بينه وبين مونيو أونسو Muno Alonso قائد طليطلة المسيحي ، وذلك في سنة 538 ، وكان الزبير بن عمر عاملاً على قرطبة في سنة 536 بشهادة ابن عبد الملك المراكشي إذ يذكر أنه شهد جنازة الكاتب ابن المرحى المتوفى في قرطبة في 17 من ذى الحجة من هذه السنة (انظر ترجمة ابن المرحى رقم 1080 في المجلد السادس ص 405 ، وتسميه المراجع المسيحية Azuel) انظر « نبد تاريخية من أخبار الزبير » ص 82 ؛ وأويشي : على ابن يوسف ص 111 ، 113 ؛ وكوديرا : انحلال دولة المرابطين ص 17 ، 27 - 28) وأورد ابن سعيد في المغرب (102/1 ، 242 ؛ 127/2 - 128) أخبار بعض من اتصل به من الشعراء ، ونقل بعض ذلك المقرئ في نفح الطيب (489/3 - 490) ، وكان في قرطبة منتزه مشهور ينسب إليه ويعرف بمجنة الزبير (النفح 471/1) .

أما هذه الغزوة التي يشير إليها ابن القطان فلم نعدنا المراجع الأخرى بأي شيء عنها .

(2) كذا ، ويفهم من السياق أن العبارة «ان يسمى أن تكون» «وغزوة السليطيين للمسلمين» .

أما (1) أريابه (2) في شهر رمضان المعظم من هذه السنة ، فهبت إليه عساكر الأتراك من جميع أقطارها أجناداً ومطلوعة ، ثم كفوا ورجعوا من الطريق ، وأسلموا أهل أريابه (3) ، فحلت بهم الفاقة ، وقطع عنهم الماء ، واشتد بهم الحصار ، فأسلموا الحصن للنصارى .

وفي هذه السنة هلك سير بن علي بن يوسف في آخر صفر (4) وكان علي بن يوسف قد فتن به وقدمه ولي عهده ، ولم يكن أهلاً لشئ ، فعكف (5) على الدلالة ، ودخل متسوراً (6) على أخيه عمر يريد زوجته ، فخرج جراحة فمات ميتة ، فجزع عليه أبواه .

وفيهما كانت ولاية تاشفين بن علي بن يوسف للعهد كما كان أخوه سير قبله في الثامن من شهر ربيع الآخر .

وفيهما كانت ولاية الزبير بن عمر لقرطبة (6) وغرناطة .

(1) إضافة يقتضيها السياق .

(2) في الأصل : إريابه ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، وإنما يعني القلعة التي كانت تسمى Auelin والى أصبح اسمها الإسباني بعد ذلك Oreja ؛ وهذه الغزوة لا نعرف عنها شيئاً في المراجع العربية الأخرى ، فابن القطان هو أول من أمدنا عنها ببيان ، أما المراجع المسيحية فقد أفاضت في الحديث عنها معتبرة إياها من أكبر انتصارات الجيوش النصرانية على المرابطين . وتشير إليها الحوليات الطليطلية Auelin Toledanos فتقول إن الامبراطور (أي ألفونسو السابع ملك قشتالة الذي تسميه المراجع العربية الأتراك) اقتحم أرض المسلمين واستولى على أريابه المذكورة ، كذلك تشير إلى هذه الغزوة « حوليات الامبراطور Cronica del Emperador » (انظر كوديرا : انحلال دولة المرابطين ص 26) .

(3) حول مصرع سير وأقوال المؤرخين في كيفية وقوعه ، وهي أقوال قطع ابن القطان الحاد ، فها هنا النص الصريح انظر مقالنا « وثائق تاريخية جديدة » ص 133 .

(4) في الأصل : فعكف .

(5) في الأصل : مقصوراً .

(6) في الأصل : للمقرطبة .

وفيهما وقع الحريق في سوق مدينة فاس . واحترق من رأس عقبة الخرازين إلى باب ⁽¹⁾ واحترق سوق الثياب والقراقين ⁽²⁾ وغير ذلك ⁽³⁾ من الأسواق إلا البقالون ، وكان ذلك في أول الليل . فتلفت فيه أموال جلييلة . وافتقر فيه خلق كثير . فاشتد القاضي علي بن سليمان على أهل الريبة حتى رجع بعض الشيء من أيديهم .

* * *

٢٠

(1) كلمة مطموسة لم نستطع تبينها .

(2) القراقون هم باعة الأفراق - جميع قرق (بضم القاف وسكون الراء) وهو ضرب من الأحفاف أو الصنادل . انظر حول هذا اللفظ ومشتقاته ما كتبه دوزى في ملحق القواميس العربية 334/2 والمقال القيم الذي اختصه به الباحث الأستاذ خايمة أوليفر أسين تحت عنوان « الفرق في الأندلس » : (Jaime Oliver Asin : « Quercus » en la España Musulmana) مجلة الأندلس ، المجلد الرابع والعشرين ، سنة 1959 ، ص 125 - 181 .

(3) كلمتان مطموستان لم نتبين منهما شيئا .

المصادر والمراجع
المستخدمة في الدراسة والتحقيق

المصادر والمراجع
المستخدمة في الدراسة والتحقيق
I المصادر

- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي) :
إعتاب الكتاب ، تحقيق الدكتور صالح الأشتري ، دمشق 1961
التكملة لكتاب الصلة ، نشر فرانسيسكو كوديرا ، مدريد 1887 1889
- الحلة السيرة ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة 1963
- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصديقي ، نشر كوديرا ،
مدريد 1885
- المقتضب من تحفة القادام ، تحقيق إبراهيم الإياري ، القاهرة 1957
ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الكرم) :
-- الكامل في التاريخ ، القاهرة 1348 - 1353 (1929 - 1934)
أحمد بابا التنبكتي (أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر) :
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج (على هامش « الديباج المذهب » لابن
فرحون ، القاهرة 1351 (1932)
أحمد بن حنبل الشيباني :
- المسند ، القاهرة 1311 (1893)
الإدريسي (الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد) :
- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من كتاب
« نزهة الآفاق في اختراق الآفاق » ، بتحقيق راينهاردت دوزي
ودي خويه ، 1866
الإصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين القرشي) :

الأغاني ، ط . دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة 1921

الرمحاني (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) :

الصحيح ، القاهرة 1312 (1894)

ابن ...ام (علي بن بسام الشنتري) :

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ،

بيروت 1979

ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن أحمد بن عبد الملك) :

الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ، نشر عزت العطار

الحسيني ، القاهرة 1955

البهاقي (أبو بكر الصنهاجي) :

أخبار المهدي ابن تومرت ، تحقيق ليفي بروفنسال ، باريس 1928

(ومعه قطعة من المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة

الأصحاب)

ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ط . دار الكتب المصرية ،

القاهرة 1929 - 1949

ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي) :

- الإصابة في تمييز الصحابة ، القاهرة 1352 (1933)

ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) :

- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، القاهرة

1971

ابن حمادة (أبو الحسن علي بن حمادة الصنهاجي) :

-- النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة

- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، نشر فوندرهايدن ، الجزائر 1977

الحميدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح) :

- جذوة المقتبس ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة 1952

الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) :

- صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب « الروض المعطار في خبر

الأقطار ») تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة 1937

الخزرجي (أحمد بن عبد الله) :

- خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال ، القاهرة 1322 (1904)

الخطيب البغدادي (أبو بكر محمد بن علي) :

- تاريخ بغداد ، القاهرة 1931

ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي) :

.. الإحاطة في أخبار غرناطة ، نشر محب الدين الخطيب ، القاهرة 1319

- الإحاطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ط . الخانجي ، القاهرة

1973 - 1975

- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، القسم

الخاص بتاريخ الأندلس ، تحقيق ليفى بروفنسال ، بيروت 1956

- أعمال الأعلام ، القسم الثالث الخاص بتاريخ المغرب (نشر تحت

عنوان تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط) ، تحقيق الدكتور

أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، الدار البيضاء 1964

ابن خفاجة (أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة الشقري) :

- ديوانه ، تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي ، القاهرة 1960

ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد) :

- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القاهرة 1284 (1867)

ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) :
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ،

بيروت 1968 - 1972

أبو داود (سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني) :
السنن ، القاهرة 1348 (1929)

ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن الحسن الكلبي) :
- المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق الأستاذ إبراهيم الإياري ،
القاهرة 1954

ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني) :
- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس 1286 (1869)
الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز) :
- تذكرة الحفاظ ، حيدرآباد الدكن 1333 - 1334 (1914 - 1915)

ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق) :
- العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين
عبد الحميد ، القاهرة 4391

ابن الزبير (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم) :
- صلة الصلة ، القسم الثاني ، تحقيق ليفي بروفنسال ، الرباط 1947
ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي) :
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة
فاس ، ط . دار المنصور ، الرباط 1973

الزركشي (محمد بن إبراهيم اللؤلؤي) :
تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تونس 1289 (1872)

السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي) :
- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح
محمد الحلوة ، القاهرة 1967

ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي) :
- المغرب في حلى المغرب ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة
1953 - 1955

السلوي (أحمد بن خالد الناصري) :
- الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى ، الدار البيضاء 1954 - 1956
السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد) :

- الجامع الصغير (انظر عبد الرؤوف المناوي)
- شرح سنن النسائي وعليه حاشية الإمام السندي ، القاهرة 1930
ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن محمد بن أحمد الباجي) :
- المن بالإمامة على المستضعفين ، السفر الثاني ، تحقيق الأستاذ
عبد الهادي التازي ، بيروت 1964

صفوان بن إدريس التجيبي المرسى :
- زاد المسافرين وغرة محيا الأدب السافر ، تحقيق عبد القادر محداد ،
بيروت 1949

الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة) :
- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، نشر فرانسيسكو كوديرا ،
مدريد 1884 - 1885

العباس بن إبراهيم المراكشي :
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، فاس 1936
ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر التمرى) :
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، على هامش الإصابة لابن حجر

العسقلاني ، القاهرة 1358 - 1359 (1939 - 1940)

عبد الرؤوف المناوي :

فيض القدير في شرح الجامع الصغير للسيوطي ، القاهرة 1918

عبد السلام بن سودة :

دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، تطوان 1950

عبد الملك بن حبيب :

- التاريخ الكبير ، مخطوطة المكتبة البودليانية بأوكسفورد ، برقم 127

(وانظر محمود على مكى : مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي

في المراجع الأوربية)

ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري) :

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة :

- بقية السفر الرابع والسفر الخامس ، تحقيق الدكتور إحسان

عباس ، بيروت 1964 - 1965

- السفر السادس ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت

1973

- السفر الثامن ، تحقيق الدكتور محمد بنشريفة ، الرباط

1984

ابن عبد المنعم (انظر الحميري)

عبد الواحد المراكشي :

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ،

القاهرة 1963

ابن عذاري المراكشي :

- البيان المغرب في أخبار المغرب :

المجلدان الأول والثاني ، تحقيق ليفى بروفنسال وجورج كولان ،

باريس 1948

- المجلد الثالث الخاص بملوك الطوائف ، نشر ليفي بروفنسال ، باريس

1930

- المجلد الرابع الخاص بالمرابطين ، نشره أويثي في مجلة إسبريس ثم أعاد

نشره الدكتور إحسان عباس ، بيروت 1967

ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد) :

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مكتبة القدسي ، القاهرة

(1350) 1931

علي بن يوسف الحكيم :

- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تحقيق الدكتور حسين

مؤنس ، مدريد 1960

العبرني (أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله) :

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ،

الجزائر 1910

الفتح بن خاقان :

- قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، ط . القاهرة 1283 (1866)

ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد) :

- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، القاهرة 1351 (1932)

ابن القاضي (أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي) :

- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، ط .

فاس الحجرية سنة 1309 (1892) وطبعة دار المنصور ، الرباط 1973

ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري) :

- قطعة من كتاب « الاكتفا في أخبار الخلفاء » حققها الدكتور أحمد

مختار العبادي ونشرها بعنوان « تاريخ الأندلس » ، مدريد 1971

ابن ماجه القروني (أبو عبد الله محمد بن يزيد) :

- سنن المصطفى ، القاهرة 1349 (1930)

مجهول :

- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق الدكتور سهيل زكار

والأستاذ عبد القادر زمامة ، الدار البيضاء 1979

مجهول :

- مفاخر البربر ، نشر ليفى بروفنسال بعنوان « نبذ تاريخية جامعة في

أخبار البربر في القرون الوسطى » ، الرباط 1934

مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، نشر ليفى بروفنسال ،

الرباط 1941

محمد بن تاويت :

- محاضرات في تاريخ التشريع الإسلامي ، تطوان 1961

محمد بن تومرت المهدي :

- أعز ما يطلب ، نشر لوسياني Luciani وتقديم جولدتسيهر I. Goldziher ،

الجزائر 1903

محمد بن جرير الطبري :

- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ،

القاهرة 1979

مسلم بن الحجاج القشيري :

- الجامع الصحيح ، القاهرة 1933 (1915)

المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني) :

- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق الدكتور إحسان

عباس ، بيروت 1968

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) :

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة 1124 1126
(1906 1908)

- اتعاظ الخنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، القاهرة 1187 (1967)

الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري) :

- مجمع الأمثال ، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة

1955

النباهي (أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي المالقي) :

- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشره ليفى بروفنسال

بعنوان تاريخ قضاة الأندلس ، القاهرة 1949

النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب) :

السنن ، بشرح السيوطي وحاشية الإمام السندي ، ط . القاهرة

1930

النووي (محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الخوراني الشافعي) :

تهذيب الأسماء واللغات ، ط . القاهرة ، المطبعة المنيرية ، بدون تاريخ

النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) :

- نهاية الأرب في فنون العرب ، الجزء الخاص بتاريخ المغرب والأندلس ،

نشر وترجمة المستشرق جاسبار ريمرو Gaspar Remiro في مجلة المركز

التاريخي للأبحاث الخاصة بمملكة غرناطة Centro de Estudios

Historicos del Reino de Granada, 1917 - 1919

الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى التلمساني) :

المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس

والمغرب ، بيروت 1981

2 المراجع العربية

أ - كتب :

- حسن إبراهيم حسن :
- تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة 1958
- حسن أحمد محمود :
- قيام دولة المرابطين ، القاهرة 1957
- حسن حسني عبد الوهاب :
- الإمام المازري ، تونس 1955
- محمد المنوني :
- العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، تطوان 1950

ب - أبحاث ومقالات :

- دكتور أحمد مختار العبادي :
- دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين ، مجلة تطوان العاد الخامس سنة 1960
- دكتور حسين مؤنس :
- الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين مع أربع وثائق جديدة ، مجلة كلية الآداب بالقاهرة ، المجلد الحادي عشر ، الجزء الثاني ديسمبر 1949 ص 91 - 143
- نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين
- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدير ، المجلد الثالث ، سنة 1966 ص 97 - 140

- سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس ،

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد الثاني ،

سنة 1954 ص 57 - 84

دكتور عبد العزيز الأهواني :

- ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في الحن العامة ،

مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، مايو 1957

دكتور محمود على مكى :

- التشيع في الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية

بمدريد ، المجلد الثاني سنة 1954

- مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي

(انظر قائمة المراجع الأوربية)

- وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد

الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلدان السابع والثامن

1959 - 1960 ص 109 - 198

ج - كتب مترجمة :

- يوسف أشباخ :

تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة الأستاذ

محمد عبد الله عنان ، القاهرة

- أنخل جونزالث بالنتيا :

تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ،

القاهرة 1955

2 المراجع الأوربية

Aguado Bleye, Pedro :

Manual de historia de España, Espasa-calpe, Madrid, 1947 .

أحوادو بلييه ، بدرو : موجز تاريخ إسبانيا ، مدريد 1947

- Alarcon, Maximilano :

Lámpara de 105 principes, de Abu Bakr al-Turtusi, Madrid, 1930

ألاركون ، مكسيميليانو : ترجمة إسبانية لكتاب « سراج الملوك » لأبي بكر الطرطوشي ، مدريد 1930

- Bel, Alfred :

Les Benou Ghanya, Paris, 1903

بيل ، ألفريد : بنوغانية ، باريس 1903

- Bosch Vila, Jacinto :

Los almoravides, Tetuan, 1956

بوسك فيلا ، خائنتو : المرابطون ، تطوان 1956

- Brockelmann, Carl :

Geschichte der Arabischen Literatur, ed. Leyden, 1943

بروكلمان ، كارل : تاريخ الأدب العربي ، ليدن 1943

- Brunschwig, Robert :

Un Aspect de la littérature historico-géographique de l'Islam, Mélanges Gaudesfro,

Demombynes, Le Caire, 1936 - 1945

برونشفيج ، روبر : مظهر من مظاهر الأدب التاريخي الجغرافي في الإسلام ،

بحث في مجموعة الدراسات المهداة للذكرى جودفروا ديمومبين ،

القاهرة 1946 - 1945

Colera, Francisco :

Estudios Críticos sobre la historia árabe española, Vol. ix, Zaragoza, 1917

فرانسيسكو كوديرا : دراسات نقدية عن تاريخ الأندلس ، المجلد التاسع ، 1917

Decadencia y desaparición de los almorávides, Zaragoza, 1899

Dozy, Reinhardt :

Supplément aux dictionnaires arabes, Paris-Leyden, 1927

رينهارت دوزي : ملحق القواميس العربية ، باريس - ليدن 1927

Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge, Leyden,

1881

أبحاث حول تاريخ إسبانيا وأدبها خلال العصور الوسطى

Ferriol :

Les ruines de Tinmel, Hespéris, 1922

فيربول : أطلال تينمل ، مجلة إسبيريس 1922

- Gaspar Remiro, Mariano :

Historia de Murcia Musulmana, Zaragoza, 1905

جاسبار ريميرو : تاريخ مرسية الإسلامية ، سرقسطة 1905

- Huici Miranda, Ambrosio :

Historia política del imperio almohade, Tetuan, 1956

(أويثي ميراندا ، أمبروسيو : التاريخ السياسي لدولة الموحدين ، تطوان 1956)

Las grandes batallas de la Reconquista, Madrid, 1956

(المعارك الكبرى في حرب الاسترداد المسيحي ، مدريد 1956)

Ali b. Yusuf y sus empresas en al-Andalus, en Tamuda, Tetuan, 1959, pp. 77 - 122

(علي بن يوسف وأعماله في الأندلس ، مجلة تامودا ، 1959 ص 77 - 122)

- E. Lévi-Provençal :

Six fragments inédits d'une chronique anonyme du début des Almohades, Mélanges

René Basset, Paris, t. II, pp. 335 - 391

(ليفي بروفنسال : ست قطع مخطوطة من تاريخ مجهول المؤلف حول بداية

دولة الموحدين ، مجموعة الدراسات المهداة للذكرى رينيه باسيه ،

باريس ، 1928 ص 335 - 393

Notes d'histoire almohade, Hespéris, 1930

(ملاحظات حول تاريخ دولة الموحدين ، مجلة إسبيريس 1930)

- Pons Boigues, Francisco :

Ensayo biobibliográfico sobre los historiadores y geógrafos árabe-españoles,

Madrid, 1898

(فرانسيسكو بونس بويجيس : المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون ، مدريد

(1898

- Menéndez Pidal, Ramón :

La España del Cid, Madrid, 1947

(رامون منندث بيدال : إسبانيا في عصر السيد ، مدريد 1947)

Oliver Asin, Jaime :

Quercus en la España Musulmana, Al-Andalus, Vol. xxiv, 1959, pp. 125 - 181

(خايمه أوليفر أسين : القُرُق في الأندلس ، مجلة الأندلس ، المجلد الرابع

والعشرون ، سنة 1959 ص 125 - 181)

Henri Terrasse & Basset :

Sanctuaires et forteresses almohades,

(هنري تيراس وباسيه : المشاهد والقلاع الموحدية)

Makki, Mahmud A. :

Egipto y los orígenes de la historiografía árabe-española, Revista del Instituto Egipcio

de Estudios islámicos en Madrid, vol. v, 1957, pp. 157 - 248

(محمود مكى : مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي ، صحيفة معهد

الدراسات الإسلامية بمدرهد ، المجلد الخامس 1957 ص 157 - 248)

الفهارس

- 1- فهرس الآيات القرآنية
- 2- فهرس الأحاديث النبوية
- 3- فهرس الشعر
- 4- فهرس أسماء الأعلام
- 5- فهرس الأعلام الجغرافية والقبائل والطوائف والفرق
- 6- فهرس أسماء المؤلفين
- 7- فهرس أسماء الكتب العربية والأوربية

فهرس الآيات القرآنية

- « الآن حصحص الحق » سورة يوسف ، آية 51 ص 120
- « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً » سورة التوبة ، آية 97 ص 117
- « الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه » سورة الزمر ، آية 18 ص 119
- « إن النفس لأماراة بالسوء » سورة يوسف ، آية 53 ص 103، ص 120
- « إنما المؤمنون إخوة » سورة الحجرات ، آية 10 ص 202
- « قلبت فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً » سورة العنكبوت ، آية 14 ص 120
- « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر » سورة المجادلة ، آية 22 ص 98
- « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » سورة الأنفال ، آية 63 ص 118
- « يميز الله الخبيث من الطيب » سورة الأنفال ، آية 37 ص 147
- « من يهد الله فهو المهتد » سورة الكهف ، آية 17 ص 119
- « منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » سورة آل عمران ، آية 110 ص 147
- « واخلض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » سورة الشعراء ، آية 215 ص 191
- « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » سورة البقرة ، آية 89 ص 108
- « ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » سورة الجاثية ، آية 18-19 ص 99
- « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » سورة هود ، آية 113 ص 98
- « ولا تطع الكافرين والمنافقين » سورة الأحزاب ، آية 4، 48 ص 98
- « ولا تطع كل حلاف مهين » سورة القلم ، آيات 10-13 ص 98
- « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » سورة الكهف ، آية 28 ص 98
- « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ... » سورة الأنبياء ، آية 105 ص 117
- « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ... » سورة الحج ، آية 40 ص 100
- « وما ينطق عن الهوى ... » سورة النجم ، آية 3-4 ص 106
- « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » سورة المائدة ، آية 51 ص 98
- « ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » سورة الممتحنة ، آية 9 ص 98
- « ومن يضلل الله فلا تبارك له ولها مرسلنا » سورة الكهف ، آية 17 ص 101

- « ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه » الآية ١١١ سورة النساء ، آية ١١١ مس ١٥١
- « يا أيها النفس المطمئنة ... » سورة الفجر ، آيات 27 30 مس ١٥١
- « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا ... » سورة آل عمران ، آية ١٤٧ مس ٥٨
- « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » سورة التوبة ، آية ١2١ مس ٥٥
- « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ... » سورة الممتحنة ، آية ١ مس ٥٨
- « يخادعون الله والذين آمنوا ... » سورة البقرة ، آية ٩ مس ١٥2

فهرس الأحاديث النبوية

- « إذا اختلف الناس فالعدل في مضر » ص 171
- « أميالك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون بعدى ... » ص 95
- « إن طالت لك مدة أو شكت أن ترى قوماً ... » ص 80
- « إن في أمتي محدثين وإن عمر منهم ... » ص 147
- « إن في أمتي المهدي ... » ص 110
- « إنما يرحم الله من عباده الرحماء » ص 191
- « بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ... » ص 96
- « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ... » ص 97
- « الحب والبغض في الله من علامات اليقين » ص 98
- « الحلال بين والحرام بين ... » ص 198
- « خالفوا اليهود وخالفوا المشركين ... » ص 97
- « الخمر جماع الإثم » ص 197
- « خير القرون الذي أنا فيه ... » ص 181
- « صنفان من أهل النار لم أرهما ... » ص 80
- « على المرء السمع والطاعة ، أمرت أن أقاتل الناس ... » ص 99
- « على المرء السمع والطاعة ، ما لم يؤمر بمعصية ... » ص 99
- « فليذاذن رجال عن حوضي كما يذاذ البعير الضال ... » ص 95
- « لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي ... » ص 109
- « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق ... » ص 171
- « لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ... » ص 95
- « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ... » ص 97
- « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم ... » ص 109
- « ما أسكر كثيره فالجرعة منه حرام » ص 198
- « ما من نبي بعثه الله في أمته قبل ... » ص 100

- « المسلمون تتخافوا منهم ... » ص 197
- « من قتل عصفوراً بغرر حق عبثاً ... » ص 197
- « المهدي من عترتي من ولد فاطمة ... » ص 198
- « وددت أني قد رأيت إخواننا ... » ص 96
- « يسروا ولا تعسروا ... » ص 100
- « يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل هارباً من أهل المدينة ... » ص 116
- « يكون المهدي في أمتي سبعاً إن قصر ... » ص 117

فهرس الشعر

- قالت لي النفس إني في أذى وقذى
فقلت صبراً وإجمالاً كذا يجب
ص 102 من بحر البسيط مجهول القائل
- فعاوجوا فأنثوا بالذى أنت أهله
ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق
ص 213 من بحر الطويل لنصيب بن رياح
- بث الصنائع لا تحفل بموقعها
لآمل شكر الإحسان أو كفرا
ص 75 من بحر البسيط - لأبي الحسن ابن سراج
- لعمري لقد لاحت عيون كثيرة
إلى ضوء نارٍ باليفاع تحرق
ص 175 من بحر الطويل - للأعشى
- بخليفة المهدي سيدنا اغتدى
نهج العلوم معبداً ومذلاً
ص 174 من بحر الكامل - لابن حبوس الفاسي
- صاحب المهدي يأتي بعده
خيرة الأعراب طراً والعجم
ص 181 من بحر الرمل - منسوب لعبد الملك بن حبيب
- أقول لنفسي حين فاجأها الردى
ولاذت فراراً من يسار إلى يمنى
ص 102 من بحر الطويل مجهول القائل ، لعله لابن طاهر المرسى

- ويرجع الأمر إلى عدنان
لماجد قد خص من عيلان
من بحر الرجز . منسوب لابن عبد ربه
مس 100
- جاء وفي يساره قوس وفي اليمنى قدح
من مجزوء الرجز
مس 99
- إذا رتل القرآن في جنح ليله أنى بن كعب لم يغن مخارق
من الطويل - مجهول القائل ، تمثل به ابن القطان
مس 98
- ألا فاقدروا قدر هذا المقام فهذا الإمام وهذا الإمام
من المتقارب - لابن القطان
مس 97

فهرس الأعلام

أبو علي أو أبو العباس (صاحب الخليفة
الحافظ الفاطمي) 221 / 219 / 218

233

- أحمد بن نومرت الكفيف (أخو محمد بن

نومرت المهدي) 123

- أحمد بن جعفر بن محمد بن عطية / أبو جعفر

/ 210 / 209 / 188 / 179 / 178 / 47

211

- أحمد بن سلمة الأنصاري اللورقي 30

- أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن يوسف بن

هود 229 / 32

- أحمد بن عبد المؤمن بن علي / السيد

أبو العباس 208

- أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد (أبو القاسم)

قاضي الجماعة بقرطبة 256 / 243

- أحمد بن محمد بن حمد بن / أبو القاسم (قاضي

الجماعة بقرطبة) 74

- أحمد بن المستنصر / أبو القاسم (المستعمل

الفاطمي) 219 / 79 / 75 / 42

231

- أحمد بن المقتدي عبد الله / أبو العباس

(المستظهر العباسي) 75 / 69

- أحمد بن يزيد بن مخلد القرطبي / أبو القاسم

21

- ابن الأحمر 32

(الهجرة) (*)

الام ، بأحكام الله انظر : منصور بن

أبي القاسم المستعلي

الإمامي / أبو حاتم 41

إبراهيم بن جامع (من الغرياء من طبقات

الموحدين) 209 / 85

إبراهيم بن خلف الغساني السهري /

أبو إسحاق 28

إبراهيم بن سليمان الجفيسي / أبو إسحاق

(من أهل الحمسين - من طبقات

الموحدين) 85

إبراهيم بن عبد المؤمن / السيد أبو إسحاق 207

أبو إبراهيم الهزرجي (انظر : إسماعيل بن

يسلالي إبيحج)

إبراهيم بن هشك 207 / 165

إبراهيم بن يوسف بن تاشفين / ابن تاعيش

أو تاعيش 234 / 131 / 130

أبي بن كعب (الصحابي) 23

أجداي ، عامل المرابطين على إشبيلية) 149 /

215 / 154 / 50

الأحبد انظر : يوسف بن محمد بن المعز

/ أبو الحجاج

الأحسن بن علي (من أهل العشرة / من

طبقات الموحدين) 125

أحمد بن الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي /

(*) هذا الفهرس الأعلام الذي وردت أسماءهم سواء في متن الكتاب أو في حواشيه ، مرتباً على حروفه ، المعجم ، بعد حذف كلمات أرب وابن وأداة المعرفة ، وقد أدخلت فيه الكمي والأنساب والألقاب .

إسماعيل بن يوسف بن عبد المؤمن / أبو إبراهيم
214

إسماعيل بن يوسف الحسني (من أهل
الحسين) 85

الأسقف انظر : بهرام الأرمني
إسماعيل بن عبد المجيد الحافظ (الطاهر
الفاطمي) 258 / 259 / 260 / 261
262

إسماعيل بن عبد المؤمن بن علي / السيد
أبو إبراهيم 207

- إسماعيل بن محمد بن عباد 42 / 43 / 44
- إسماعيل بن يسلاي إيجيغ / أبو إبراهيم المزرعي
(من أهل العشرة) 126 / 163
236 / 170

- الأشعري / أبو الحسن 175
- الأشيري انظر : الحسن بن عبد الله /
أبو علي الأشيري
- ابن أصلماط 33
- ابن أضحى (الثائر على المرابطين في غرناطة)
253

- الأعرج / أبو زيد 36
- الأعشي (الشاعر الجاهلي) 175
- الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي (صاحب
الآمر الفاطمي) 75 / 79 / 143
144

- البرهانش (القائد القشتالي) 63 / 64
- ألفونسو الأول (المحارب) / ابن رزمير (ملك
أرغون) 64 / 65 / 66 / 149
151 / 152 / 153 / 154 / 243 / 244 / 245
246 / 247 / 248 / 266

ألفونسو السادس (أذفونش الطاغية ملك
لشنتاله) 63 / 64 / 65 / 153

أحبل بن إدريس الرندي (من كتاب : عبد المؤمن

ابن علي ، 210 / 211

إدريس بن إبراهيم بن جامع (وزير عبد المؤمن

ابن علي) 209

إدريس بن إدريس بن عبد الله (ثاني أمراء

الآدراسة بالمغرب الأقصى) 111 /

181

إدريس بن عبد الله بن الحسن (مؤسس الدولة

الإدرسية بالمغرب) 111 / 181

إدريس (المأمون) أبو العلاء 24 / 25 /

37 / 26

إدريس (الوثائق) / أبو العلاء - أبو دبوس

34 / 35 / 36

إدريس بن يعنى الحمودى 43

أد فونش انظر -

ألفونسو الأول (المحارب / ابن رزمير)

ألفونسو السادس

ألفونسو السابع (السليطين)

ألفونسو التاسع

أراكة (ملكة قشتالة وليون بنت ألفونسو

السادس وأم ألفونسو السابع) 64 /

155

- أسامة بن منقذ (الوزير الكاتب في دولة

الفاطميين) 260 / 261

- أبو إسحاق بن دانية (قائد مرابطي) 76

- إسحاق بن أبي زيد / أبو إبراهيم (من القبائل

من طبقات الموحدين) 85

- إسحاق بن عمر الهنتاتي / أبو يعقوب (من

مشايخ هنتاة) 134

- إسحاق بن محمد الصنهاجي (من أهل

الخمسين) 85

- إسحاق المرغني (من أهل الخمسين) 84

255

- أبو بكر الحصار (من رجال الموحدين)

179

- أبو بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين (بكو

أو يكور) ولي عهد علي بن يوسف

/ 166 / 157 / 155 / 153 / 150 / 149

263

- أبو بكر بن القبطورنه 243

- أبو بكر بن أبي قحافة (خليفة رسول الله ﷺ)

111 / 99

- أبو بكر بن اللمطي (قائد مرابطي) 223

- أبو بكر بن محمد (انظر : أبو بكر بن بندوج)

- أبو بكر بن ميمون (من طلبة الموحدين)

212 / 20

- أبو بكر بن ناصر 151

- أبو بكر بن واسينو (قائد مرابطي) 76

- أبو بكر بن ورييل (انظر : سير بن ورييل)

قائد مرابطي 136 / 133 / 129

225 / 164

- أبو بكر بن ورسوال أو وزروال (قائد مرابطي)

224 / 223

- أبو بكر بن يحيى / أبو يحيى (من أهل

الخمسين) 84

- أبو بكر اليعمري الوبذي (شاعر موحدي)

165

- أبو بكر بن بندوج (أبو بكر بن محمد

اللمتوني) قائد مرابطي 157 / 156

- بلار بنت القاسم بن تميم بن المعز الصنهاجية

(زوجة ابن السلال) 258

بلج بن بشر القشيري 41

- هرام الأرمي / الأسقف (صاحب الحافظ

الفاطمي) 221 / 220 / 219

177 / 155

أهو... السابع (السليطين ملك قشتالة)

267 / 266 / 229 / 216 / 155 / 151

أهو... التاسع 17

إمام الحرمين انظر : عبد الملك بن عبد الله

المجوهي / أبو المعالي

(الباء)

البايج (ملك ليون) 17

ابن باحة السرقسطي (الفيلسوف) 216

البايجي (انظر : سليمان بن خلف /

أبو الوليد) الفقيه 143 / 91

أبو النجوم البايجي 54 / 52

باديس بن حبوس (ملك غرناطة) 43

باديس بن المنصور بن الناصر بن علاء الناس

أو علناس (صاحب بجاية) 76

البرشلوني (انظر : ريمند بن برنجار)

برعش / العادل (من خدام الخليفة الفاطمي

الأمير) 145

برغوار / حرز الملوك أو هزار الملوك أو هزار

الملوك جوامرد (أحد خدام الخليفة الأمر

الفاطمي) 233 / 221 / 218 / 145

البشير الونشريشي (انظر : عبد الله بن

محسن / أبو محمد) 125 / 44

165 / 161 / 157 / 147 / 146 / 126

ابن البقار انظر : أبو عبد الله

ابن البقال (انظر : سليمان بن مخلوف

الحضري الهواري / أبو الربيع أو ابن

تاغظيتم من أهل العشرة) 127

أبو بكر بن إبراهيم المسوفي الصحراري (عامل

المرابطين على مرسية وبلسية وسرقسطة)

ابن تيفلويت 291 / 216

أبو بكر بن الجوهري (من فواد المرابطي)

- ابن جامع (انظر)
 إبراهيم بن جامع
 إدريس بن إبراهيم بن جامع
 أبو سعيد بن جامع ()
 ابن الجدة (من أشياخ إشبيلية) 1/9
 - الجراوى الصنهاجى / أبو محمد (من أهل
 الخمسين) 85
 - جرجى (قائد أسطول رجار الثاني الصقلي)
 257 / 78
 جروول بن أوس العيسى (الخطيئة) الشام
 المخضرم 175
 - الجزولى (العالم المغربي) (انظر :
 عيسى بن عبد العزيز / أبو موسى)
 - أبو جعفر بن عطية 47
 - أبو جعفر بن مضاء 12
 - أبو جعفر بن يحيى الخطيب 12
 - الجنفيسى / أبو إسماعيل (من أهل الخمسين)
 85
 - ابن جنونة (أو قنونة) انظر : عبد الله بن أبي
 بكر بن يوسف بن تاشفين
 (أبو محمد) 228 / 227 / 226 /
 222
 - جوامرد (هزبر الملوك) انظر : برغوارد (أحد
 خدام الخليفة الأمر)
 - ابن الجوهري انظر : أبو بكر بن الجوهري
 (الحاء)
 - ابن الحاج (انظر : على بن الحاج / أبو الحسن
 عمر بن على بن الحاج / أبو حفص
 (ابن مجوز)
 محمد بن أحمد بن خلف / أبو عبد الله
 (قاضي الجماعة بقرطبة)
 محمد بن سمون بن محمد بن ترهوت /

- ابن بيطر انظر : محمد بن أحمد بن خلف
التجيبى (ابن الحاج)
(التاء)

التادلي انظر : (أبو محمد التادلي)
تاشفين بن سليمان (عامل مرابطي على قرطبة)
68

تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين (أمير
المسلمين) 148 / 149 / 168 / 178
/ 210 / 215 / 216 / 227 / 228 / 241 / 242
245 / 251 / 252 / 256 / 263 / 266 / 267
تاشفين بن ماخوخ (من قواد الموحدين)
254

ابن تاعظميت (انظر : سليمان بن مخلوف الحضري)
ابن ناعياشت أو ابن تعيشت انظر : إبراهيم
ابن يوسف بن تاشفين

التجيبى انظر : أبو عبد الله 12
تميم بن علي بن يوسف بن تاشفين (عامل أبيه على
فاس) 154 / 155 / 156 / 216

تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي (أمير
إفريقية) 69 / 75 / 92

تميم بن يوسف بن تاشفين 63 / 64 / 65 / 156
توجين (قائد مرابطي) 237

ابن تومرت انظر : أحمد بن تومرت
ابن تيفلويت انظر :

أبو بكر إبراهيم المسوفي الصحراوي
(عامل المرابطين على مرسية وبلنسية
وسرقطة)

- عبد الله بن يحيى بن أبي بكر بن
إبراهيم (قائد عسكري الغرب
للمرابطين) 253

(الجيم)

جابر بن عبد الله (الصحابي) 94

(ابن القطان المؤلف) 15 / 27 /
28 / 29 / 30 / 31 / 32 / 36 / 37 / 38 / 39 /
40 / 42 / 44 / 45 / 46 / 47 / 48 / 49 / 50 /

53 / 54

- الحسن بن علي بن يحيى بن نعيم الصنهاجي
(أمير إفريقية) 78 / 145 / 151 /

166 / 217 / 257 / 262

- أبو الحسن بن كوثر 12

- أبو الحسن بن مؤمن 12

- أبو الحسن بن النقرات 12

- الحسين بن علي بن عبد الملك / أبو عبد الله
(ابن القطان) 15 / 28

- الخطيئة (الشاعر) انظر : جرول بن أوس

- أبو حفص بن تفرجين (عامل عبد المؤمن على
مراكش) 123

- حمدين بن حمدين / أبو جعفر (قاضي
الجماعة بقرطبة الثائر على المرابطين)

243 / 245 / 246 / 256

- ابن حمدين انظر :

- أحمد بن محمد بن حمدين /

أبو القاسم (قاضي

الجماعة بقرطبة)

- محمد بن علي بن حمدين /

أبو عبد الله

- ابن الحنفية انظر : محمد بن علي بن أبي طالب

- حيدرة بن عبد المجيد الحافظ الفاطمي (ولي
عهد الحافظ) 219 / 220

(الحناء)

- أبو خالد بن رفاعة 12

- الحشني انظر : أبو ذر الحشني

- ابن أبي الخصال (كاتب علي بن يوسف)

انظر : محمد بن مسعود الفافقي /

أبو عبد الله (ابن عم يوسف بن
ناشفين

يحيى بن علي بن الحاج / أبو زكريا
(ابن مجوز)

الحافظ (الفاطمي) انظر : عبد المجيد
(الحافظ) بن منصور (الأمر) بن

أحمد المستعلي)

حبيب بن هبة 184

ابن حبيش 71

حجاج بن يوسف الهواري (من قضاة عبد المؤمن
ابن علي) 210

أبو حرب الجدميوي (من أهل الخمسين)
85

حز الملوك (انظر : برغوارد / أحد خدام
الخليفة الأمر)

ابن حزمون انظر : عبد العزيز بن عبيد الله
القرطبي (أبو الأصبع) (إمام المسجد

الجامع بقرطبة)

الحسن بن إبراهيم الجذامي / أبو علي 89
أبو الحسن بن الأشبيلي (الخطيب في حضرة

عبد المؤمن) 20 / 212

أبو الحسن التينملي (من أهل المشورة السبعة)
86

الحسن بن عبد الله الأشيري (من كتاب
عبد المؤمن) 210

حسن بن عبد المجيد الحافظ (الثائر على
أبيه) 219 / 220 / 221

الحسن بن عبد المؤمن بن علي / السيد أبو علي
207

- الحسن بن علي بن أبي طالب (رحمه)

110 / 111 / 44 / 109

- حسن بن علي بن عبد الملك أبو محمد

للشعالة (

227 / 228

الرهبيسيع بن يعمر (من قواد المرباطين)

136 / 137

رمند بن برنجار (الطاغية الرشيدون) قواد

برشلونة 244 / 249

(الزاي)

- الزبير بن عمر اللمتوني (أمير قرطبة من

قواد المرباطين) 242 / 266 / 267

- ابن زرقون انظر : أبو عبد الله بن رافو

زكريا بن عمر القرطبي / أبو الوليد 12

- زكريا بن يحيى بن وسنار / أبو يحيى (من

مشايخ الموحدين) 61

- ابن زهر انظر : أبو مروان عبد الملك

- زيادة الله بن علي الطنبلي (الأديب الراوية)

183

- أبو زيد بن إسحاق 33

- أبو زيد تيكلمت (عامل المرباطين على قرطبة)

150 / 215

- زيد بن الحواري العمى البصري (قاضي هراه

المحدث) 110

- زيري بن ماخوخ الزناتي (من مشايخ زناتة من

قواد المرباطين والموحدين) 254 / 255

- زينب بنت تومرت (شقيقة المهدي)

123 / 167 / 170

- زينب بنت موسى بن سليمان التينملي (زوجة

عبد المؤمن بن علي) 210

(السنين)

- سحبان وائل (الخطيب) 175

- سحنون بن غازي الجدميوي / أبو علي (من

أهل الخمسين) 85 / 127

- سراج بن عبد الملك بن سراج / أبو الحسن

أبو عبد الله

- ابن خفاجة الشقري (الشاعر الأندلسي)

216 / 130

- خلف الحصري (المشبه بهشام المؤيد) 43

- خلف بن والال الهنتاتي (من مشايخ هنتاتة)

134

- ابن الحياط : انظر : محمد بن سليمان

(الدال)

- دانيال (عم) 184

- ابن دانية : انظر : أبو إسحاق بن دانية

- داود بن عاصم الهنتاتي (من أهل الخمسين)

84

- داود بن عبد المؤمن بن علي / السيد أبو سليمان

208

- دعلج بن - منطة الذهلي السدوسي (النسابة)

175

(الدال)

أبو ذر الخشني 12

(الراء)

الراشد العباسي : انظر : منصور بن الفضل

- ابن الراعي 47 / 38

الربرتير (من قواد المرابطين) 215 / 141 /

263 / 254 / 238 / 237

- رجار الثاني (ملك صقلية) 78

- ابن رذمير : انظر : ألفونسو الأول

- ابن رشد : انظر :

أحمد بن محمد / أبو القاسم

محمد بن أحمد (الحفيد) / أبو الوليد

محمد بن أحمد (الجد) / أبو الوليد

- ابن أبي رنقى (من قواد وعمال المرابطين)

68 / 65 / 63

- رودري جونثالث (القائد النصراني لحيوش

261 / 255

- سير بن فودي (قائد مرابطي) 137 / 136
- سير بن ورييل / أبو بكر (قائد مرابطي)
- 255 / 164 / 136 / 133 / 129

(الشين)

- شانجه بن أذفونش (ابن ملك قشتالة المقتول في
- أقلش) 177 / 66 / 64 / 63
- شانجه الثاني (ملك ليون) 64
- شيت (عم) 185

(الصاد)

- صفية بنت عبد المؤمن بن علي 208
- صلاح الدين الأيوبي انظر : يوسف بن
- أيوب

(الطاء)

- طارق بن زياد 41
- الطاغية البرشلوني انظر : ريمند بن برنحار
- ابن طاهر المرسى انظر : محمد بن عبد الرحمن
- / أبو عبد الرحمن (الحفيد) ، محمد بن
- أحمد بن إسحاق / أبو عبد الرحمن

(الجد)

- الطيني انظر : زيادة الله بن علي
- ابن الطراوة المالقي 30
- الطروطوشى انظر : محمد بن الوليد الفهرى /
- أبو بكر

- طلائع بن رزيك (الوزير الفاطمي) الملك
- الصالح 261

- ابن الطوير انظر : عمر بن محمد بن علي
- الصنهاجي / أبو علي

(الطاء)

- الظافر الفاطمي انظر : إسماعيل بن

(الأديب الأندلسي) 74

- سطيع بن ربيعة (الكاهن) 84
- ابن سعادة (الفقيه الأندلسي) 71
- سعد الله الجديوني (من أهل الحمسين)
- 85

- أبو سعيد ابن جامع 18
- أبو سعيد الخدري (الصحابي) 110 / 109
- 112

- ابن السقاء 43
- سكانه أبو عمدة (من أهل المشورة السبعة)

86

- سكاتو (من طلبة الموحدين) 134
- ابن السلار انظر : علي بن إسحاق
- السلطون انظر : ألفونسو السابع
- سليمان الجزولي (من الغرباء من طبقات

الموحدين) 85

- سليمان بن خلف التجيبي الباجي / أبو الوليد
- (الفقيه) 143 / 91

- سليمان بن عبد الملك بن مروان (الخليفة
- الأموي) 213

- سليمان بن عبد المؤمن بن علي / أبو الربيع
- 207

- سليمان بن مخلوف الحضري الهواري / أبو الربيع /
- ابن البقال أو ابن تاعظيمت (من أهل

العشرة) 127

- سواجات البرغواطى 43
- السيد القنيطور (القائد النصراني) 63 /

74 / 65 / 64

- سير بن علي بن يوسف بن ناشون 130 /
- 148 / 149 / 154 / 249 / 250 / 251

- أبو عبد الرحمن بن طاهر المروزي 47

- عبد الرحمن بن عبد المؤمن بن علي / السلمي

أبو زهد 802

عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله (الخليفة

الأموي) 182

عبد الرحمن (المستظهر الأموي) بن هشام ،

عبد الجبار 42

عبد الرحمن بن بنومر (من أهل الحمص)

85

- عبد السلام بن محمد الكومي / أبو محمد

(وزير عبد المؤمن بن علي) 209

- عبد العزيز بن تومرت (أخو ابن تومرت

المهدي) 123

- عبد العزيز التينملي / أبو محمد (من أهل

الخمسين) 84

- عبد العزيز بن عبد الله الغيفاني / أبو محمد

(من أهل الدار - من طبقات الموحدين)

239 / 87

- عبد العزيز بن عبد الله القرطبي / أبو الأصبع

ابن حزمون (إمام المسجد الجامع

بقرطبة) 74

- ابن عبد العزيز القاضي / أبو بكر (صاحب

بلنسية 153

- عبد الكريم أفغو (من أهل الدار) 87

- عبد الكريم بن تماري الجدميوي (من أهل

الخمسين) 127 / 85

- عبد الله بن إدريس بن إدريس (أمير السوس

الأقصى وجد محمد بن تومرت) 111

أبو عبد الله بن البقار 12

أبو عبد الله التجيبي 12

عبد الله أبي بكر بن سير اللمتوني (قائد

مرايطي) 150 / 149

عبد الجبار (الحافظ)

(العين)

عائشة بنت عبد المؤمن بن علي 208

ابن عائشة انظر : محمد بن يوسف بن تاشفين

العادل انظر : برغش العادل / عبد الله العادل

العاقد الفاطمي 261

العباس بن أبي الفتوح الصنهاجي / أبو الفضل

(ربيب ابن السلار) 258 / 259

260 / 261 / 262

أبو العباس بن سلمة اللورقي 12

عبد الحق بن إبراهيم (الفقيه / خصم المهدي بن

تومرت) 83

عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي 10 / 13

عبد الحق بن عبد الله بن معيشة / أبو محمد

(قاضي فاس) 248 / 250 / 252

عبد الحق بن معاد الزناتي / أبو محمد (من

أهل الخمسين) 85

عبد الرحمن أمازار الجنفيسي / أبو زيد (من

أهل الخمسين) 85

أبو عبد الرحمن التينملي (من أهل الخمسين)

84

عبد الرحمن بن حبيب 41

عبد الرحمن بن داود الهرغي / أبو زيد (من أهل

الخمسين) 84

عبد الرحمن بن زجو الجنفيسي / أبو زيد (من

أهل الخمسين) 85 / 223 / 236

255

- عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الفهمي /

أبو المطرف (ابن الوراق السرقسطي)

151

عبد الرحمن بن سليمان الهرغي / أبو زيد (من

أهل الخمسين) 84

- أبو عبد الله بن أبي بكر بن بندوس المسكوري
(من أهل الخمسين) 85
- عبد الله بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين /
أبو محمد (ابن جنونة أو قنونة)
222 / 226 / 227 / 228
- عبد الله بن جبل الوهراني / أبو محمد (من
كتاب عبد المؤمن) 20 / 177 /
- 210 / 212
- عبد الله بن الحاج الحنفيسي (من أهل
الخمسين) 85
- عبد الله بن رحمن (أو عبد الرحمن) العراقي
(الفقيه الراوية) 72
- أبو عبد الله بن زرقون 12
- عبد الله بن زيدون (شيخ حضر وقعة إقليش)
178
- عبد الله بن سعيد بن أحمد الشتريني الإشبيلي
/ أبو محمد (ابن يربوع الإشبيلي)
المحدث 151
- عبد الله بن سليمان التيمملي المسكالي (من
أهل الخمسين - قائد أسطول عبد المؤمن)
186
- عبد الله العادل 31 / 24 / 28
- عبد الله بن عبد الرحمن المالقني / أبو محمد
(من قضاة عبد المؤمن) 177
- عبد الله بن عبد الرحمن أو وجليد (والد
المهدي بن تومرت) 88
- عبد الله بن عبد المؤمن بن علي / السيد
أبو محمد 206
- عبد الله بن عبيد الله المسكوري (من أهل
الخمسين) 85
- أبو عبد الله بن عروس 2
- عبد الله بن عمر بن عبد الواد (من قواد
- المرابطين) 150
- عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضى)
- الصحابي 94
- عبد الله بن عمرو بن العاص (الصحابي)
94
- عبد الله بن فاطمة / أبو محمد (من قواد
المرابطين) 65 / 76
- أبو عبد الله بن الفخار 12
- أبو عبد الله اللخمي 181
- عبد الله بن محسن / أبو محمد (البشير
الونشريسي) 44 / 125 / 126 /
- 146 / 147 / 156 / 157 / 161 / 165
- عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن
(البياسي) 24
- عبد الله بن أبي العباس محمد بن القائم بأمر
الله (المقتدى) 69
- عبد الله بن همشك 164
- عبد الله بن يحيى بن أبي بكر بن إبراهيم (قاله
عسكر الغرب للمرابطين) 253
- عبد الله بن يعلى أو يعلاتن الزناتي / ابن ملوكة
128 / 162 / 163
- عبد الله ينسك التيمملي (من أهل الخمسين)
84
- عبد الله بن أبي يوسف المربني 34
- عبد الله بن يونس 34
- عبد المجيد بن الأمر منصور بن المستعل أحمد
(الحافظ الخليفة الفاطمي) 42 /
- 78 / 145 / 218 / 219 / 220 / 221 / 211
- 233 / 257 / 258
- عبد الملك بن بيضا القيسي / أبو مروان
(قاضي المرابطين على فاس) 248 /
- 252

عبد الواحد بن يوسف (أبو منصور) 24

عبد الله الشامي المهازي 42

عبد الله بن يوسف الراسي (من العرباء) 85

عثمان بن عبد المؤمن بن علي / السيد أبو هـ

206

عثمان بن عفان (رضه) 21

العناني 18 / 22 / 26 / 31

العذري (المحدث الجعفري الأندلسي) 141

ابن العربي الإشيلي / أبو بكر (الفقيه المالكي)

المحدث (71 / 101 / 234)

العزفي 34

العزير بالله بن المنصور بن الناصر بن علاه

الناس أو علفاس (صاحب نجاة)

76 / 93 / 146 / 257

ابن عطوش 35

ابن عطية انظر : أحمد بن جعفر بن محمد

ابن عطية

عطية بن جعفر بن محمد بن عطية القضاءي /

أبو محمد أو أبو عقيل (كاتب

عبد المؤمن) 209 / 210

عطية (أو ابن عطية) المنجصى / أبو محمد

(من طلبة الموحدين) 20 / 138 /

226 / 139

عقبة بن نافع 40

علي بن أحمد بن محمد الجذامي 89

علي بن إسحاق / أبو الحسن أو أبو منصور

(عامل الإسكندرية ووزير الظافر

الفاطمي) 258 / 259 / 260

علي بن أبي بكر بن إبراهيم بن تيفلويت / ابن

فانو 253

علي بن باشا اللعتوني (من قواد المرابطين)

129 / 133

- عبد الملك بن جهور (أمير قرطبة) 41

- عبد الملك بن حبيب الإلبيري / أبو مروان

(الفقيه المؤرخ الأندلسي) 183

- عبد الملك بن زهر / أبو مروان (الطبيب

الأندلسي) 149

- عبد الملك بن سراج / أبو مروان (الأديب

الرواية) 143

- عبد الملك بن عبد الله الجويني النيسابوري /

أبو المعالي (إمام الحرمين) 175

- عبد الملك بن عياش الأزدى البصري القرطبي /

أبو الحسن (من كتاب عبد المؤمن)

189 / 210

عبد الملك بن مروان 29

عبد الملك بن مسعود الغافقي الشقري /

أبو مروان (ابن أبي الخصال) كاتب

علي بن يوسف المرابطي 154

عبد الملك بن موسى الوراق 47

- عبد الملك بن يحيى المرغني / أبو مروان (من

أهل الخمسين) 84

- عبد المؤمن بن علي الكومي القيسي (خليفة

ابن تومرت المهدي) 20 / 44 / 47 / 48 /

77 / 78 / 84 / 101 / 102 / 121 / 123 /

125 / 126 / 127 / 133 / 135 / 137 / 146 /

148 / 158 / 161 / 162 / 163 / 165 / 170 / 171 /

212 / 224 / 225 / 226 / 236 / 237 / 239 /

240 / 249 / 250 / 251 / 253 / 254 / 255 /

263 / 264

- عبد الواحد الرشيد (ابن المأمون) 37

- عبد الواحد بن عمر التونسي (من فقهاء

إفريقية تلميذ ابن تومرت المهدي)

77

- عبد الواحد بن عمر (من أهل الدار) 87

246 / 248 / 250 / 251 / 253 / 254 / 256 /

263 / 266 / 267

علقمة بن عبدة الفحل (الشاعر الجاهلي) 175
ابن عمار الشلبي / أبو بكر (وزير المعتمد بن

عباد) 101

- عمر بن أبي إبراهيم إسحاق بن يوسف بن

عبد المؤمن (المرتضى) 11 / 26 / 31 /

32 / 33 / 34 / 35 / 36 / 40 / 47 / 49 / 214

- عمر أصناج / أبو حفص عمر أو بملوك بن علي

الصنهاجي (من أهل العشرة ووزير ابن

تومرت) 126 / 125 / 127 / 130 /

158 / 163 / 164 / 170 / 236 / 264

- العمران (؟) 138

- ابن أبي عمران التينملي 23 / 24

- عمر بن تورزجين (قائد مرابطي حضر وقعه

إقليش) 178

- عمر بن تورجير بن يوسف (من قواد المرابطين)

158

- عمر بن الخطاطب (رضه) 99 / 147

- عمر بن ديان (قائد مرابطي) 138

- عمر بن سير اللمتوي (قائد مرابطي) 150

- عمر بن عبد المؤمن بن علي السيد أبو حفص

206 / 208 / 210

- عمر بن علي بن الحاج / أبو حفص (ابن مجوز)

153 / 227 / 228

- عمر بن علي بن يوسف بن تاشفين 155 /

216 / 267

- عمر بن فلفول (كاتب العزيز بن علاء الناس

صاحب نجاة) 94

- عمر بن محمد بن علي الصنهاجي / أبو علي

(ابن الطوير) 15

عمر بن محمد بن علي بن عمار 15

علي بن أبي الحسن الجذامي (القاضي

صاحب ابن تومرت المهدي) 47 / 89

علي بن الحاج / أبو الحسن 153 / 216

علي بن البربرير (من قواد الموحدين) 141

علي السعيد 32

علي بن سليمان (قاضي فاس) 268

أبو علي الصوفي 89

علي بن أبي طالب (رضه) 42 / 109 / 113 /

113 / 114 / 182 / 183

علي بن عبد الملك بن يحيى الكتامي الفاسي /

أبو الحسن (ابن القطان الأب) 9 /

10 / 11 / 12 / 13 / 14 / 15 / 17 / 18 /

19 / 20 / 21 / 22 / 23 / 24 / 25 / 26 / 27 /

28 / 29 / 30 / 31 / 32 / 39 / 50

- علي بن عبد المؤمن علي / السيد أبو الحسن

207 / 208

- علي بن محمد الجذامي البرجي 89

- علي بن ميمون (قائد البحر المرابطي) 141

علي بن ناصر الصنهاجي / أبو الحسن (من

أهل الخمسين) 85

- علي بن يا مصبل التينملي (من أهل الخمسين)

84

- علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي (أمير إفريقية)

69 / 78 / 92 / 258

علي بن يدر 34

- علي بن يوسف بن تاشفين (سلطان المرابطين)

43 / 63 / 64 / 65 / 66 / 69 / 70 /

71 / 74 / 76 / 83 / 128 / 130 / 132 /

133 / 136 / 143 / 148 / 149 / 150 / 151 /

152 / 153 / 154 / 155 / 156 / 159 / 160 /

161 / 164 / 165 / 166 / 178 / 219 / 216 /

222 / 223 / 225 / 228 / 234 / 244 / 245 /